مجلة الشام
فكرية أدبية فنية تراثية تصدر شهرياً عن وزارة الثقافة
العدد الأول نيسان 2026 - دمشق

سوريا والهوية الثقافية

قراءات في التحولات والأبعاد

ما المطلوب من الثقافة؟

نحو ثقافة تُبنى بمشاركة الشباب

نعسان: تسلّمنا إرثاً ثقيلاً وخلال عام بدأنا باستعادة الدور الثقافي الحقيقي لسوريا

يارا صبري وماهر صليبي في عرض مسرحي جديد من إنتاج وزارة الثقافة

مجلة الشام

مجلـة ثقافية شـهرية تُعنى برصد وتحليل المشـهد الثقافي السـوري في الداخل والخـارج، وتعمل على تقديم محتـوى فكـري وثقافـي يواكب التحـولات، ويعيد وصل الثقافـة بمجالها الحيـوي في المجتمع، ويمنـح القضايا الثقافيـة قراءة أعمق تتجـاوز الخبر إلى معناه، والحـدث إلى دلالاته.

تنطلـق المجلـة مـن رؤية تَعُـدُّ الثقافـة قوة فاعلـة في إنتـاج المعنى، وصـون الذاكـرة، وإعادة بنـاء الوعي، وتعزيـز الصلـة بين الإنسـان السـوري وتاريخـه ومجتمعه ومسـتقبله. ومـن هنا، تأتي «مجلة الشـام» سـفيرةً للثقافـة السـورية، ومنبـراً يفتـح المجال للأسـئلة الكبـرى، ويعيد للكلمـة دورها فـي التحليل وإنتـاج المعرفة.

ويستنـد هـذا التوجّـه إلى إرث الصِّحافـة الثقافيـة السـورية، المرتبط بتجارب رائـدة في تاريخ دمشـق، وفي مقدمتهـا «جريـدة الشـام» التي تـولّى رئاسـة تحريرها العلّامـة محمد كرد علي عام 1897، حيث اسـتُلهم اسـم المجلـة من هذا الامتـداد التاريخـي، تأكيداً لاسـتمرارية الدور وتجـدّد أدواته.

وفـي كل عـدد، تفتـح «مجلـة الشـام» نوافذهـا على آفـاق فكريـة متعـددة، تُقـارب قضايـا المشـهد الثقافـي عبـر مقـالات الـرأي والحـوار والقـراءة النقدية، وتسـلّط الضوء على تحـوّلات الثقافة السـورية وأسـئلتها الراهنـة. وتفسـح المجال للأصوات الشـابة لتكـون جـزءاً مـن صياغـة الرؤيـة، وحضوراً فـاعلاً في تشـكيل ملامـح المشـهد الثقافي.

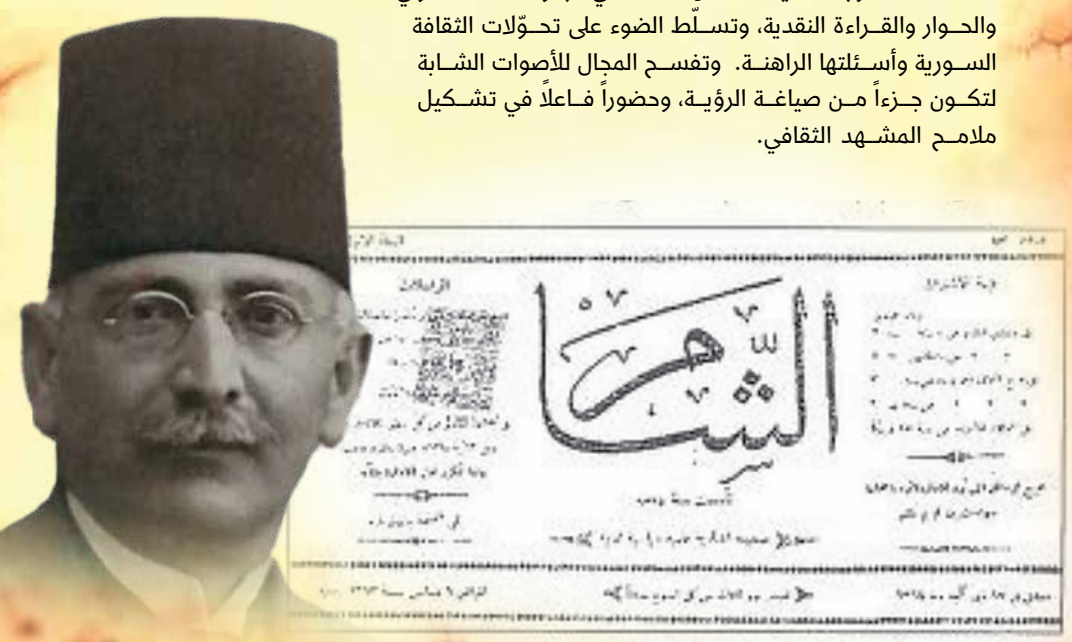

فكرية أدبية فنية تراثية
تصدر شهرياً عن وزارة الثقافة

العدد الأول نيسان 2026 - دمشق

الإشراف العام
وزير الثقافة
محمد ياسين الصالح

المدير المسؤول
إبراهيم الزيبيبي

رئيس التحرير
تيم الحاج هزّاع

مديرة التحرير
مريم حجير

فريق عمل المجلة
ربا سهلي
ميشيل لحام
عمار وتد
هزار الكُليب
سامر جنيد

الإخراج الفني
هيثم الشيخ علي

التدقيق اللغوي
مناف بعّاج

شعار المجلة
الخطاط نضال إبراهيم آغا

الإشراف الفني والطباعي
مرهف عبد الجواد

- ساحة المالكي - طلعة شورى، دمشق، سوريا :
- +963987558240 :
- +963987558240 :
- +963113331556 + 963113331557 :
- mag@moc.gov.sy :
- mag.moc.gov.sy :

- **للمراسلات والاشتراكات**، يمكنكم التواصل عبر معلومات الاتصال أعلاه.

الآراء الواردة في المواد المنشورة تعبّر عن وجهة نظر أصحابها، ولا تعكس بالضرورة رأي المجلة، كما يخضع ترتيب المواد لاعتبارات فنية.

مطابع
الهيئة العامة السورية للكتاب

ما المطلوب من الثقافة؟

محمد ياسين الصالح
وزير الثقافة

تُبنى الثقافة على أسسٍ مكينة من القيم والتقاليد، أسسٍ تُستقى من أصالة المجتمعات ومن تاريخها العريق وثوابتها الحضارية.. أسسٍ تمدّ الأبصار نحو الذُّرى، وتصرّ على النجاح في الوصول إليها متحدية الشاهقات من الصعاب.

ويمثّل البنيان الثقافي، بعد ذلك، خيمةً معرفية تظلّ الشعب وتحميه في المنعطفات التاريخية الحرجة، معينةً له على العبور نحو المستقبل متحصناً بإرث زاخر ثري من الآداب والفنون والسَّرديات.

سوريا التي وصلنا إليها بتضحيات الملايين، وبعذابات شهد عليها الحجر والبشر، تستحق أن تُبنى فيها الثقافة بأحلام من ضحَّوا، بالرؤى التي كانت تخامرهم، وهم يتأملون في شكل الغد ورسمه وألوانه.

أول تلك الأحلام أن يشرع أبناء سوريا في ترميم بلدهم الذي دمّرته همجية النظام البائد، وهي ثقافته البشعة، التي تفرض على من انتصروا أن يقدّموا ثقافةَ جمالٍ ورقيٍ بالمقابل.

واليومَ وقد صرنا في مرحلة الإنتاج بعد الترميم، أصبح من واجبنا أن نواصل دور سوريا الثقافي، في الداخل والخارج، ونكمل ما بدأه الأجداد، ومن سبقنا من المبدعين وكبار المفكرين والأدباء وصنّاع المعرفة.

مـا المطلـوب مـن وزارة الثقافة لتجعل مما سـلف واقعـاً، متاحـاً مرئيـاً بمتنـاول الأجيال؟ سلسـلة هائلة مـن المفاهيم والأفـكار، تتواصل وتَسـتلهم من بدوي الجبل دعـاءه العتيق:

ويارِبّ من أجـــل الطفـــولة وحـــدها
أفِضْ بـــركـات السِّلم شرقـاً ومغـــرباً

سِـلمٌ أردنـاه قويـاً متماسـكاً، بعد معركـة أطلقها الثـوار الفاتحون لـردع العدوان، اشـتعلت وتلظّت حتى انتصـرت، لتقول فور نصرها: اللهمّ فتحـاً لا ثأر فيه.. لا انتقـام ولا إقصـاء، ولكن عدالة ونمـاء للجميع.

ما المطلوب من وزارة الثقافة؟
الجواب باختصار: كلُّ شيء.

الحياة الاجتماعية وإنعاشـها، والإسـهام في النهضة، والمشـاركة فـي إرجـاع الألـق والنظافـة إلى شـوارع سـوريا وحاراتهـا الجميلـة، التي عاشـت كئيبـة حزينة علاهـا غبار اليـأس مثلما تراكمـت عليها الهمـوم، وآن أوان غسـلها بالنـور والهمـم العالية.

المطلـوب مـن وزارة الثقافـة أن تعرّف السـوريين على بعضهـم، بعـد عشـرات السنيـن مـن الحرمـان والحجـب وزرع الشـروخ بيـن المجتمعـات المتآخيـة.. يسـمّيها الباحثـون مكوّنـات وهـي فـي أصلهـا روافد ثقافية وأنهار معرفة وحضارة اشـتَهرت بها سـوريا عبر التاريـخ كله.

أن تعـرف كيـف يفكّـر الآخـر، العربـي والكـردي والسـرياني والأرمنـي والتركمانـي والآشـوري والشركسـي وغيـره، وأن تتجاهـل مـا كان يقـال لـك عنـه في زمن التلقيـن الأيديولوجي البائـد المجرم، وأن تصغـي إلى ترانيـم الكنائـس كمـا تسـتغرق وَجْداً في مقامـات الأذان، وأن تتلمّـس أحجـار العمـارة بأطوارها فـي المـدن والبلـدات السـورية.

المطلـوب مـن وزارة الثقافـة أن تقـف حـائلاً دون نشوب سـوء فهم بين الأطياف السـورية، سوء الفهم الذي يأتي دائماً مـن عدم الاطلاع الكافي على الظواهر والآخريـن وما يطمحـون إليه.

إنّ مـن كرم الذات الأصيلـة أن تنظر إلى أخيك فتراه كمـا يحب أن يرى نفسـه.. أن تفتح الحـوارات وتنظّم المحاضـرات والمؤتمـرات عن القضايا التي تَشـغل بال النـاس، وتلك الأسـئلة التـي تقلقهم ويبحثـون لها عن إجابات.. أن توسّـع مـن منصة الحوار بيـن أبناء الوطن الواحـد وتجعله فـعلاً حيوياً يصنع التشـاركية لا الجدل والصراعات.

المطلـوب مـن وزارة الثقافـة أن تنيـر للنـاس على معنـى العـدل، والامتناع عـن ثقافة السـطو والغنيمة التـي شـاعت وانتشـرت بفعـل الاستبـداد، بشـكلها الممنهـج المؤذي للآخريـن، وأن تحلّ فـي محلّها ثقافة المنـح والعطاء السـخي، ثقافة الاعتـزاز بأصالة الفكرة وجِـدّة الخطاب، سـواء كان في فيلـم سينمائي أو في مسـرحية أو قصيـدة أو روايـة أو لوحـة أو أغنية.

المطلـوب مـن وزارة الثقافـة أن تنقّـي الهـواء من جديـد أمام صـدر الحيـاة التشـكيلية السـورية، معيدة عصـور المـدارس الكبـرى التـي انتشـرت فـي العالم والتي أسـهم سـوريون عظماء فيها، من فاتح المدرس إلى لـؤي كيالي إلى نذيـر نبعة ونصير شـورى ومحمود حمـاد وعمر حمـدي وأدهم إسـماعيل.

ينابيـع مـن الألـوان فاضـت مـن لوحـات هـؤلاء وغيرهـم، وانتشـرت فـي حيـاة السـوريين قبـل أن تقضـي عليهـا ظلمـات الظلـم والجهـل.

الافتتاحيـــة

المطلـوب مـن وزارة الثقافـة أن تنصف نبيـل المالح وعمر أميـرالاي وهيثم حقي وحاتم علي وأسـامة محمد ممـا تعرضوا لـه، حين حُرمـت أفلامهـم السينمائية من فرصـة أن تـرى النور، بعد أن قدّموا أبـرز الأعمال الفنية، فـي أشـد الظـروف صعوبـة، وفـي أسـوأ شـروط من الرقابـة والقمع، وفـي أكثر الإمكانات شـحّاً.

المطلـوب مـن وزارة الثقافـة أن تمـدّ يدهـا إلى المـجلات والمنابـر الثقافيـة السـورية الشـهيرة، التـي خرّجـت المـدارس الأدبيـة والنقـاد، وتسـاعدها على النهـوض من جديـد، بعـد أن أوهنها الإهمـال والازدراء، وأن تدفعهـا بقـوة لإكمال ما كانت تسـعى لترسـيخه.

المطلـوب مـن وزارة الثقافـة أن تهيّـئ المتاحـف والأماكن الأثرية السـورية وتفتح أبوابهـا أمام المجتمع، بأطفالـه ونسـائه ورجالـه، كـي يسـتمتع السـوريون بكنوزهـم الحضاريـة، وكـي يعرفـوا كـم هـم أثريـاء بثقافتهـم السـورية المتعـددة وجذورها الضاربـة عميقاً فـي الزمن.

المطلـوب مـن وزارة الثقافـة أن تقـدِّم كلَّ يومٍ من أيام السـنة حزمةً مـن الفعاليات والندوات والنشـاطات التـي تقرّب الناس مـن المعرفة، وتجعلها بنـداً من بنود يومياتهـم، وحصةً أساسـية في برنامجهـم اليومي.

المطلـوب مـن وزارة الثقافـة أن تمضـي بالمسـرح السـوري الـذي أسسـه أبـو خليـل القبانـي وتوفيـق العطـري ونهـاد قلعي وعبـد اللطيف فتحـي، وكل من مشَـوا على خطاهـم، وأن توصلـه إلى الآفـاق، وتضعـه فـي ميادين المنافسـة بيـن مسـارح العالم وخشـباته ومهرجاناتـه.

المطلـوب مـن وزارة الثقافـة أن تصنـع أغنيـة ولحناً يـوصلان الرسـائل الثقافيـة الصحيحة، قصائـد وقصصاً تعيـد الهُويّـة الوطنية الجامعـة وتكرّسـها، مركّزة على البعـد الأخلاقـي السـامي، وعلى مـا أُنجِـز بعـد انتصـار الثـورة، وعلى أن الحريـة كانـت وسـيلة، وأن الحريـة فـي منتهاهـا، وفـي أعـرق مدارسـها الفكريـة، هـي وعـيٌ بالـذات والآخـر، وتحمّـلٌ للمسـؤولية التاريخيـة والاجتماعية، وليسـت غايةً تقـود إلى التفكّك والانحلال مـن القيـم والمبادئ.

خلال عـام مـرّ، قبل صدور هذا العـدد الأول من مجلة «الشـام»، اسـتطاعت وزارة الثقافة تفعيـل كافة الدور والمديريـات التابعـة لهـا، والتـي أصابهـا الشـلل خلال السـنوات الطويلة الماضية، ونشـطّت الكوادر ورفدتها بالكفـاءات، ووضعت المؤسسـات الثقافية على سـكة العمـل، لتقلع مـن جديد.

فكانـت «الحافلـة الثقافيـة» زائـرة المـدن ورفيقـة القـرى والأحيـاء القريبـة والبعيـدة، مكتبـة تبحـث عن الطفـل والقـارئ حيـث هـو، وتجلـب لـه المعرفـة عبر وسـائل عديـدة، وانطلقـت المهرجانـات التـي رعتهـا الـوزارة ونظمتها، وأقيمت الشـراكات الدولية والمحلية، وأطلقـت الحـملات الواسـعة لإشـراك المجتمعات في قضاياهـا المشـتركة، وانطلـق معرض دمشـق الدولي للكتـاب مسـجلاً أفضـل نسـخة عرفتهـا سـوريا فـي تاريخهـا، معـرِضٌ اسـتقبل أكثر مـن مليون زائـر، خلال أيامـه المعدودة، وتـرك أثراً كبيـراً لدى الـرواد والدول الشـقيقة المشـاركة، وشجّع دُور النشـر على القدوم إلى سـوريا مجـدداً وافتتـاح مكتبات وفـروع فيهـا؛ ليضوع عطـر الثقافـة فـي شـوارع دمشـق وريفهـا وحلـب والسـاحل السـوري والجزيـرة السـورية وحمـص وحماة وإدلـب والقنيطـرة والسـويداء ودرعا.

عادت المكتبة الوطنية لاسـتقبال روادها، واستأنفت الهيئـة العامـة للكتـاب إنتـاج الكتـب والمطبوعـات،

وشـهدت دار أوبـرا دمشـق انعطافـة نوعيـة جعلتهـا ملكاً للسـوريين من جديد لترتفع الموسـيقى فوق دَورِ تمجيـد الطغـاة، ولتعود لغـةً عالميـةً راقية.

وعـاد المعهـد العالـي للفنـون المسـرحية لينتظـم أكاديميـة رفيعـة المسـتوى، وأشـرقت قلعتا دمشـق وحلـب باستثمار الثقافـة العمرانية لبث رسـالة التحضّر والانفتاح السـورية.

دمشـق تسـتحق هذا كلّـه، والمزيد منـه، فهي كما قال عنها شـاعر الشـام شـفيق جبري:

مـلءَ العيـــونِ دمـوعٌ مـــن هنـاءتهـا
فـالـــدّمـع درٌّ عـلـى الخـــدّيـن منضـودُ
عـلى النـــواقيـس أنغـــامٌ مُسـبِّحة
وفي المـــــآذن تســـبيحٌ وتحميـدُ

اليـوم نصـدر مجلـة «الشـام» لنـردّ الجميل للشـام أولاً، ولواحـد مـن أبرز من عرفتهم سـوريا فـي تاريخها الثقافـي المعاصـر، إنـه العلامـة محمـد كـرد علـي مؤسـس مجمـع اللغة العربيـة ورئيسـه، المجمع الأول على مسـتوى العالـم العربـي.

محمـد كـرد علـي أدار تحريـر صحيفـة «الشـام» الحكوميـة عـام 1897، فـزرع فيهـا تقاليـد العمـل الصَّحفـي مـن بوابته الثقافيـة، ومنها انطلق ليؤسـس «المقتبـس»، ونحـن اليـوم نريـد أن نصـل الماضـي بالحاضـر، لنعيـد لكلمـة «الشـام» مجدهـا فـي مجلة ثقافية شـاملة منوّعـة، تفتح الملفـات وتعالج القضايا، وتَفسـح المجـال أمـام الآراء المتعـددة والمختلفـة، فتنشـر الأعمـال الإبداعيـة للمخضرميـن، وتأخـذ بيـد المواهـب الجديـدة، وتنقـل الخبـر والتحقيـق الثقافي، وتغطـي الفعاليات، وتدشّـن الحوارات بشـأن مسـائل الفكـر والمعرفـة والإبـداع والفنـون.

نريـد لمجلـة «الشـام» أن تكـون مجلـة القـارئ السـوري الأولى، التـي ينهل منها ما يتمنـى، ويقتطف مـا يلبي اهتماماته وشـغفه، وكلّ ما يمكن أن يسـهم فيـه بالتعليـق والكتابـة والتفاعل.

مجلة «الشـام» تبـدو لنا، وهـي بين أيدينـا، قطعةً أنيقـةً مصغّـرةً مـن الوطـن، ذلـك الوطـن الـذي قال عنـه محمـد كـرد علـي ذات يـوم: «وبعـد، فليـس الوطـن حـدوداً محددة وبـروراً وبحـوراً ممـددة، وجبالاً ونجـوداً وسـهولاً معـددة، ليـس هـذه المـدن والقرى ولا هذه البيـوت والمصانع، ولا هـذه الحدائق والحقول والغابـات، الوطـن أرضٌ درجنا عليها ورُبِّينـا في حجرها، وغُذِّينـا بخيراتها ولبانها وأَلِفْنا أهلهـا وأَلِفُونا، وتعاطفنا وتراحمنـا، سَـواء فـي ذلـك قاصينـا ودانينـا وحاضرنا وبادينـا، والوطنيـة روح وعقيدة يُستسـهل في سبيلها بـذلُ كل عزيز وتُغـذى بالحيـاة؛ لأن بها تحفـظ الحياة شريفةً سـعيدة.»

نريد لمجلة «الشام» ولسـائر المجلات التي تصدرها وزارة الثقافـة، أن تكون مرآةً للهُويّة الثّقافيّة السـوريّة وتحدياتها وقوّتها وقدرتها على ضمّ النسـيج السـوري، واحتـرام الاختلاف، واعتباره ثراءً وزيـادةً لا نقصاناً.

وسـيعمل فريـق «الشـام» التحريري ومراسـلوها، والكاتبـات والكتّـاب المتعاونـون معهـا، وعدسـات كاميـرات المجلـة، على الوصـول إليكـم أينمـا كنتـم، وعلى متابعـة مـا يَشـغلكم ومـا يـدور بينكـم فـي نقاشـاتكم، ليقـدّم لكم هديـةَ وزارة الثقافـة الجديدة فـي كل عـدد، مرصّعـة بالأفـكار والـرؤى والتحليلات التـي تـدرس الواقـعَ وتستشـرف المسـتقبل الثقافي المشـرق لسـوريا وللسـوريات والسـوريين جميعـاً.

المحتويات

مقاربات

المدير المسؤول
إبراهيم الزبيبي:
مجلة الشام
مساحة ثقافية
لمرحلة جديدة
8

رئيس التحرير
تيم الحاج هزّاع:
مجلة الشام
من تحرير المكان
إلى تحرير المعنى
9

حوار خاص

نائب وزير الثقافة
سعد نعسان:
تسلّمنا إرثاً ثقيلاً وخلال عام بدأنا
باستعادة الدور الثقافي الحقيقي
لسوريا
10

قضية وآراء

الذاكرة الثقافية وسلطة السَّرد.. كيف تُصاغ الحكاية وتُصان الهُويّة؟
د . أيمن يزبك
18

مشكلة الهُويّة الثقافية السورية
د . أحمد برقاوي
20

الهُويّة الثقافية السورية وفضاء التشكّل المستمر
إبراهيم الجبين
24

كيف تُسهم حماية التراث الثقافي في بناء الهُويّة الوطنية السورية؟
د . أحمد إيبش
26

تحولات الهُويّة الثقافية السورية خلال نصف قرن.. من تعدد الانتماءات التاريخية إلى سؤال الأمة الثقافي
فارس الذهبي
30

تأملات في الهُويّة الثقافية السورية.. لسنا مقطوعين من شجرة
بشير البكر
34

إعادة الاعتبار للتاريخ المغيّب
تيسير خلف
36

في حماية الهُويّة الثقافية السورية وتعزيزها
د . عبد الحكيم بشار
38

على أبواب سؤال الهُويّة
أحمد مظهر سعدو
40

من أكون وما أكون تلك هي المسألة.. تساؤلات شخصية بشأن الهُويّة الثقافي
ثائر الزعزوع
42

الهُويّة الثقافيّة السوريّة.. إصلاح الضرر، وتحديد المسؤوليّات
إسلام أبو شكير
44

هل الأدب السوري أدب أقليات أو أدب هُويّة معلّقة؟ نحو قراءة في سؤال الهُويّة السورية في الثقافة
علي سفر
46

ملف العدد

عام من الخطوات الواسعة
لإعادة تصويب
المسار الثقافي

50

أعلام سورية

الدكتور نزار أباظة لمجلّة الشام
نستَنطِق تاريخ دمشق
لنقرأ حاضرها ونبنيَ وعيها

56

عدسة من ثقافتنا

في اليوم العالمي للمواقع والمعالم
صور من مواقع سورية
بعدسة المصوّر العالمي شادي نصري

62

قوافي الشعر

محمد صارم - ماجد الأسود
محمد زياد شودب

68

الفن التشكيلي

أعمال الفنان
خالد الساعي

72

حرفة من بلدي

حرفة
الخزف والفخار

78

المحتويات 80

- معرض دمشق الدولي للكتاب 2026 ... حضور محلي وإقليمي ودولي 80
- جولة وزير الثقافة في دير الزور والرقة، وإعادة تفعيل المراكز الثقافية 82
- إطلاق "ملتقى رواق" لتوثيق التراث المادي واللامادي وتطوير حضوره الرقمي 83
- أمسية "ديوان خالد" في خان أسعد باشا احتفاءً باليوم العالمي للشعر 83
- مهرجان مونودراما حلب وفعالياته المسرحية والفكرية المتخصصة 84
- تظاهرة "أفلام الثورة السورية" بمشاركة 24 فيلماً بين روائي ووثائقي 85
- مهرجان "نيسان حمص" وبرنامجه الفني والحرفي والتفاعلي 86
- دار أوبرا دمشق في الربع الأول من 2026.. تنوع فني يعكس حيوية المشهد الثقافي 86
- المكتبة الوطنية السورية.. حراك معرفي متجدد يعزز حضور الثقافة في الربع الأول من 2026 87
- في ذكرى الثورة السورية: استحضار "أسماء الجَمَع" ذاكرة حيّة جمعت السوريين 88

مسرح

تقدّم وزارة الثقافة عرض "بروفة – يوم الحساب"، من بطولة يارا صبري وإخراج ماهر صليبي، قريبًا على مسارح سوريا.

92

مساحة شبابية

تشكيل المشهد الثقافي ومتطلبات
فاعليتهم وإسهامهم في صياغة
السياسات الثقافية".

94

مسامير ثقافية

ريشة الفنان
موفق قات

100

مساحة ثقافية لمرحلة جديدة

إبراهيم الزيبيبي
المدير المسؤول

قـد يتبـادر إلى الذهن سـؤال عن جـدوى إصدار مجلـة مطبوعة فـي هـذا العصر، لكـنّ اللحظـات التي تشـهد التحولات تُبـرز الحاجة إلى منابـر قـادرة على التوقـف عند الأسـئلة الكبـرى، وقراءتها بعمق وهـدوء.. ومـن هنـا، يأتي إصـدار مجلة «الشـام» في لحظـة تحتاج فيهـا الثقافـة فـي سـورية إلى مِسـاحة للتأمل والحـوار ومزيـدٍ من التشاركية.

مـن خلال مجلـة «الشـام» نرصـد المشـهد الثقافـي السـوري شـهريا ونحلله، ونفتـح المجال أمام مقاربات فكريـة ومعرفية تتجاوز المتابعـة العابـرة إلى التفسـير والتأمل.

ونطمـح في مجلة شـام إلى أن نكون جسـراً يعيد وصـل الثقافة بمجالها المجتمعي الحيوي، ومِسـاحةً حرة تحتضـن الأقلام والخبرات، والقراءات التي تسـتحق الحـوار والنقاش.

يمثـل صـدور العـدد الأول إعلاناً لمشـروع ثقافي نأمُـل أن يضع بصمة حقيقية في المشـهد الثقافي السـوري.. ولـذا ركزنا في عددنا الأول على مِلـف الهُويّـة الثقافيـة السـورية تجسـيداً لوعينـا بمـدى أهمية هذا الطرح، وارتباطه المباشـر بنقاشـات السوريين وواقعهم.

إننـا نأمُـل أن تجـد مجلة «الشـام» مكانهـا الطبيعي بيـن القرّاء والكتّـاب والمهتميـن بالشـأن الثقافـي، وأن تتحـول مـع أعدادهـا المقبلـة إلى مسـاحة للحـوار والمعرفـة والتوثيـق، وإلى منبـر يليـق بتاريـخ الثقافـة السـورية، وبالـدور الـذي يمكـن أن تؤديه.

من تحرير المكان إلى تحرير المعنى

تيم الحاج هزاع
رئيس التحرير

هنـاك قاعدة شـبه ثابتة مُفادها أن ما من مجلة تسـتطيع رسـم ملامحها وأبعادها منـذ أعدادهـا الأولى، لكـن قـد لا نبالـغ إن قلنا، إننـا في «مجلة الشـام» كسـرنا هذه القاعـدة مـع أول اجتمـاع تحريري عقدنـاه تحضيراً لعددهـا الأول، فخلاله اسـتمعنا إلى أصواتنـا الملأى بأفـكار لا يقيدها الخوف من الرقيب، حتى إن كانت تُصنع تحت سـقف وزيـر الثقافة، الأول بعد تحرير سـوريا من النظـام البائد، والذي وافقنـا الرأي بأن تكون المجلة بسـقف حرية عال يضمن اسـترداد السَّـردية السـورية والحرية الفكرية والعدالة الثقافية ويفتح الباب واسـعاً للمشـاركة الشبابية.

يضـاف إلى ما سـبق الحمولـةُ التاريخية الأصيلة للمجلة ف مجلة الشـام» تسـتدعي روحهـا المرتبطـة بتجارب رائدة في تاريخ دمشـق، وفي مقدمتها «جريدة الشـام» التي تولّى رئاسـة تحريرهـا العلّامة محمد كرد علـي عام 1897م.

ماذا تطرح المجلة؟

مـع إيماننا بـأن الثقافة واحدة من السـاحات التي تنعكـس فيها تحـولات المجتمع، عبر إثـارة الأسـئلة ذات العمـق والجوهـر، تفتح «مجلة الشـام» أبوابهـا لتكون مِسـاحة ثقافية شـهرية تُعنـى بالفكـر والتحليـل والتوثيـق، وتُراجـع فيهـا الذاكـرة، ويُقـرأ خلالهـا الحَراك الثقافـي، لنسـتخلص إجابـات توضـع في سـياقها الصحيح لتمكيـن المجتمع مـن فهم ذاته مجدداً.

رسالة «مجلة الشام»

تمثـل «مجلة الشـام» أداة ثقافية ناعمة تُسـهم في إعادة بناء الوعي السـوري عبر الحـوار، وتوثيـق المرحلة، وتقريب وجهـات النظر، بما يدعم مسـار التعافي الوطني.

كل ذلـك يأتـي في لحظـة تتزاحم فيها منصـات التواصل الاجتماعي، وتتسـارع فيها الوقائـع، وتضيـق فيها المسـاحات التي تمنح الفكـرة وقتها الطبيعي.

وعليـه فإصـدار مجلـة ثقافية شـهرية يأتي اسـتجابة لحاجـة الكاتب إلى منبـر أهدأ، وحاجـة القـارئ إلى مسـاحة أوسـع للتفكيـر، وحاجة النقـاش الثقافـي إلى بنـاء يتجاوز التلقـي العابر.

محتويات العدد الأول

حرَصنـا فـي «مجلـة الشـام» على كسـر القوالـب الجامـدة والابتعـاد عـن التبويـب الكلاسـيكي التقليـدي، سـعياً وراء تجربة قرائية تتسـم بالتنـوع والحيوية، فتعمدنا تنويع الأبـواب لتكـون مـرآة تعكـس ثـراء الواقـع وتعـدد زوايـا الرؤية.

ومـن هنـا، جاء بـاب «قضيـة وآراء»، الذي فتح مِلـف الهُويّـة الثقافية السـورية بوصفه سـؤالاً يسـتحق أن يعود إلى قلب النقـاش الثقافي، وأن يُقرأ بهدوء وعمق ومسـؤولية، في محاولـة لفتـح أفق أوسـع للفهم، لا لحسـمه لصالـح جهة على حسـاب أخرى، فهذا السـؤال يتموضـع بيـن الذاكـرة والمسـتقبل، وهـذان مشـتركان يجمعـان كل السـوريين، تأكيـدا لتعددهـم، وفتـح المجال أمام السَّـرديات التـي حُجبت طويلاً، ثـم عبر القـدرة على بناء لغة مشتركة تسـتوعب التعقيد.

وفـي ملـف العدد أيضـا، نسـتدعي في بـاب قوافي الشـعر معنـى العيش المشـترك، ونفتـح في باب المسـاحة الشـبابية المجال أمـام جيل جديـد ليعبّر عن موقعه فـي الثقافة، فيمـا تذكّرنـا الحرفـة والتغطيـات الثقافيـة بـأن الهُويّـة تُقـرأ أيضـاً فـي تفاصيـل الحياة والذاكـرة والفعـل اليومي.

وفـي موازاة ذلـك، تحـرص «مجلـة الشـام» على توثيق الحَـراك الثقافي السـوري بمختلـف تجلياته، مـن المبادرات الفرديـة إلى الفعاليات العامة، بوصفه جـزءاً من ذاكرة تتشـكّل الآن.. ذاكـرة لا تُكتـب بعـد وقوعها فحسـب، بل في أثنـاء حدوثهـا، بكل ما تحملـه من تـردّد، وتحـوّل، واحتمال.

سعد نعسان نائب وزير الثقافة لـمجلة الشام

تسلمنا إرثاً ثقيلاً وخلال عام بدأنا باستعادة الدور الثقافي الحقيقي لسوريا

لم يكن العام الأول لتشكّل الحكومة عاماً عادياً، ولا سيما في المجال الثقافي؛ إذ وجدت وزارة الثقافة نفسها أمام إرثٍ ثقيل خلّفه النظام البائد، حيث شوّه البنية الثقافية وجعلها أداةً للسطوة الفكرية.

خلال هذا العام، تحرّك العمل الثقافي عبر مسارين متوازيين: تفكيك هذا الإرث، وإعادة البناء على أسس أكثر اتصالاً بالناس والمجتمع. وفي تقاطع هذين المسارين، بدأت تتشكّل ملامح رؤية تضع الثقافة في قلب الفضاء العام، وتعزّز حضورها بوصفها مِساحة لإنتاج المعنى والتفاعل.

في هذا الحوار، يضيء الأستاذ سعد النعسان نائب وزير الثقافة على ملامح هذا المسار، بوصفه عملية مستمرة تتقدّم تدريجياً، وتفتح أفقاً مختلفاً للعمل الثقافي في سوريا.

"مجلة الشام" - دمشق - خاص:

ما الرؤية التي اعتمدتها وزارة الثقافة خلال العام، وكيف انعكست على مسار العمل الثقافي؟

يمكن توصيف العام الأول على أنه عام "استعادة المعنى والدور" قبل أي شيء؛ فقد انطلق العمل من إدراك أن التحدّيَ لم يكن في ضعف النشاط الثقافي بقدر ما كان في تشوّه وظيفته، وهو تشوّه كرّسه النظام البائد على مدى عقود، وأفضى إلى فصل الثقافة عن سياقاتها المجتمعية، وتعطيل دورها بوصفها فضاءً جامعاً للسوريين.

وعليه، اتجهت الوزارة إلى فتح المجال الثقافي، وتحريره أمام الفاعلين في مختلف الحقول، والعمل مع شركاء محليين ودوليين، إلى جانب المجتمع المدني، لتفكيك هذا الإرث، وفهم أبعاده وبنيته، والانطلاق منه لصياغة رؤى وسياسات ثقافية أكثر اتصالاً بالمجتمع، وقادرة على الإسهام في إعادة بناء المجال العام.

ما عملنا عليه خلال عام يمثّل بداية مسار يستعيد فيه الفعل الثقافي حيويته، ويعيد للثقافة دورها لتكونَ مساحة للبناء والإصلاح وتعزيز قيم السلام والعدالة.

ما أبرز الإنجازات التي يمكن اعتبارها نقاط تحوّل في المشهد الثقافي؟

يمكن النظر إلى أبرز ما تحقق خلال هذا العام من زاوية التحوّل في طبيعته، لا في عدده، فالمؤشّر الأهم لم يكن كثافة الفعاليات، بقدر ما كان استعادة دور الثقافة نفسه، وعودتها إلى الفضاء العام.

في هذا السياق، مثّل معرض دمشق الدولي للكتاب محطة مَفصِلية، أعاد الكتاب إلى مركز المشهد الثقافي، وجمع السوريين على المعرفة، ضمن حضور عربي ودولي واسع أعاد وصل سوريا بسياقها الإقليمي والدولي. كما عملنا على إعادة تأهيل وتفعيل عدد من المراكز الثقافية في المحافظات، إلى جانب فتح المكتبة الوطنية أمام الجميع، بما أسهم في استعادة دور هذه الفضاءات منصّاتٍ للتفاعل والحوار. وفي موازاة ذلك، نظّمنا تظاهرة أفلام الثورة السورية، لتُعرض للمرة الأولى في سوريا. ولا يقتصر ما تحقق على هذه المحطات، بل يمتد إلى مسارات متوازية شملت صون التراث الثقافي المادي عبر شراكات في الترميم والحفظ، وتوقيع مذكرات تفاهم مع منظمات دولية، إلى جانب صون التراث اللامادي وتسجيل عناصره، وتفعيل مجالات الفنون والموسيقى، وتعزيز برامج التنمية الثقافية، بما أسهم في دعم جهود الحفظ ونقل الخبرات.

هذه المحطات لا تُقرأ بوصفها إنجازاتٍ منفصلة، بل مؤشرات على بداية تحوّل تدريجي في بنية المشهد الثقافي، يستعيد فيه الفعل الثقافي وظيفته، وتتشكّل معه علاقة أكثر اتصالاً بين الثقافة والمجتمع.

المؤسسات الثقافية: من تقييم البنية إلى مسار إعادة التأهيل

ما أبرز المراكز الثقافية التي أعادت الوزارة تأهيلها هذا العام، وما التحسينات والتطويرات التي شهدتها؟

انطلق العمل في هذا المحور من تقييم واقع المراكز الثقافية في

مختلف المحافظات، وتحديد أولويات التدخّل وفق حالتها الفنية وقدرتها على استعادة دورها. وقد شمل ذلك إعادة تأهيل عدد من المراكز، وتحسين بنيتها التحتية، وتطوير فضاءاتها بما يتيح استضافة أنشطة ثقافية وفنية أكثر تنوّعاً. كما عملنا على إعادة تفعيل هذه المراكز، وفتحها أمام المجتمع المحلي، لتعود منصّاتٍ للنشاط الثقافي والتفاعل اليومي. وارتبط ذلك بتوسيع طبيعة البرامج المقدّمة لتكون أقرب إلى الجمهور في كل محافظة.

كيف تعاملت الوزارة مع واقع البنية المؤسسية للعمل الثقافي؟

واجهت الوزارة منذ البداية تحدّياً يرتبط بطبيعة البنية المؤسسية التي تراكمت خلال عقود، وما حملته من ترهّل في الهيكل الإداري، وضعف في كفاءة توزيع الموارد البشرية، الأمر الذي انعكس على قدرة المؤسسات الثقافية على أداء دورها.

في هذا السياق، انطلق العمل من مراجعة شاملة للواقع المؤسسي، شملت إعادة تقييم الكوادر، وتحديد الفجوات والحاجات، والعمل على إعادة توزيع المهام بما ينسجم مع متطلبات المرحلة.

كما عملنا على استقطاب كوادر جديدة، وإدماجها ضمن بيئة العمل، بما يسهم في ضخ طاقات مختلفة وتحسين الأداء العام، إلى جانب إعادة تنظيم الهيكل الإداري، وتعزيز التنسيق على مستوى العمل الثقافي ككل.

الدبلوماسية الثقافية: إعادة تموضع الثقافة السورية دَولياً

كيف أعادت الوزارة تموضع الثقافة السورية على الخريطة العالمية؟

أعادت الوزارة تموضع الثقافة السورية على الخريطة العالمية عبر استعادة حضورها في الفضاءات الثقافية العربية والدولية، وطرح رؤى نقدية تعيد صياغة دورها، وتستعيد قدرتها على إنتاج المعنى والمشاركة في النقاشات الكبرى، بما يفتح المجال لإعادة التفكير بوظيفة الثقافة وموقعها ضمن التحولات الراهنة... هذا التوجّه انعكس على طبيعة الحضور في المحطات الدولية، حيث لم يعد مقتصراً على المشاركة، بل اتجه نحو الإسهام في النقاشات المرتبطة بالسياسات الثقافية، ودور الثقافة في التنمية، وإدارة التراث. فالمشاركة في Mondiacult 2025، ومؤتمر تشاندي، ومؤتمر الاستثمار الثقافي في الرياض، تعكس انتقالاً من الحضور إلى الإسهام في النقاشات المتعلقة بدور الثقافة في التنمية. بالتوازي، أدت الشراكات الدولية دوراً محورياً في هذا المسار، حيث طُرحت مجالات تعاون مع جهات دولية وإقليمية، من بينها اليونسكو، والإيسيسكو، والألكسو، وكوسف ومؤسسة الآغا خان، إلى جانب مبادرات دولية متخصّصة، وهي اليوم على طاولة الدراسة لتفعيلها ضمن مشروعات مشتركة في مجالات التراث والترميم وبناء القدرات.

كيف أسهمت هذه الشراكات في تطوير العمل الثقافي؟

أسهمت هذه الشراكات في توسيع مجالات التعاون وتبادل الخبرات، خصوصاً في الترميم والحفظ، بما يعزّز قدرات المؤسسات الثقافية ويعيد ترسيخ معايير العمل المهني فيها.

التراث الثقافي السوري: مسارات في صونه وحمايته واستعادته

كيف يجري توثيق التراث، وما أهمية إدراج الكحل العربي و"البشت" والعباءة الرجالية ضمن هذه الجهود؟

جرى توثيق التراث من خلال العمل

التشاركي مع عدد من الدول العربية ضمن ملفات مشتركة.

وفي هذا السياق، قادت سوريا مِلف إدراج الكحل العربي ضمن قوائم التراث الإنساني، إلى جانب مشاركتها في ملفات مشتركة، منها العباءة الرجالية، ما يعكس حضورها في هذا المسار. ويُسهم إدراج عناصر جديدة ضمن قوائم التراث الإنساني في تعزيز حضورها الدولي، وتوفير إطار حماية يضمن استمراريتها.

ما أثر التعاون مع الأردن والجزائر وسلطنة عُمان في صون التراث ونقله للأجيال القادمة؟

أسهم هذا التعاون في توسيع دائرة التوثيق، وإتاحة تبادل الخبرات، بما يعزّز ممارسات صون التراث ونقله.

كما يجري العمل على إدراج عناصر تراثية ضمن ملفات مشتركة مع هذه الدول، في إطار جهود منسّقة تعكس طبيعة التراث ذاكرةً ثقافية ممتدة تتجاوز الحدود.

في ظل ما تعرّض له التراث السوري من نهب وتهريب خلال حكم النظام البائد، يُطرح ملفا الاستعادة والحماية معاً... كيف تتعامل الوزارة مع هذا الملف اليوم، وما أبرز التحديات التي تواجهه؟

يُدار هذا الملف اليوم عبر مسارين متكاملين: استعادة ما فُقد، وبناء منظومة حماية أكثر استدامة.

في مسار الاستعادة، تعمل الوزارة على توثيق القطع المهرّبة، وتفعيل القنوات القانونية والدبلوماسية بالتعاون مع الشركاء الدوليين، بما يسمح بتتبّع هذه القطع واستعادتها تدريجياً، رغم ما يحيط بهذا المسار من تعقيدات.

بالتوازي، يجري العمل على الانتقال من المعالجة الطارئة إلى التخطيط طويل الأمد، من خلال تحديث التشريعات، وتعزيز التوثيق والرقمنة، وتأهيل المواقع والمتاحف، وإشراك المجتمعات المحلية بوصفها جزءاً من عملية الحماية، إلى جانب الاستثمار في بناء القدرات الوطنية.

التحديات ما تزال قائمة، نظراً إلى حجم إرث النظام البائد والضرر المتراكم وتعقيد ملف التهريب، إضافة إلى صعوبة الوصول إلى بعض المواقع المتضرّرة جرّاء الألغام ومخلفات الحرب. لكن هذه التحديات أسهمت في إعادة توجيه الأولويات، ودفع العمل نحو مقاربة أكثر تكاملاً، لا تكتفي بالحماية، بل تؤسس لمنع تكرار الخسارة.

الحراك الثقافي: بين الفعالية وإعادة بناء العلاقة مع المجتمع

شهد معرض دمشق الدولي للكتاب هذا العام مشاركة من أكثر من 500 دار نشر وعُرض أكثر من 100 ألف عنوان، كيف أسهم هذا المعرض في تعزيز مكانة الثقافة السورية محلياً ودَولياً؟

جاء معرض دمشق الدولي للكتاب بوصفه أداةً للتدخل المباشر في إعادة تنظيم قطاع النشر، واستعادة موقع الكتاب ضمن بنية الإنتاج الثقافي، ولم يقتصر أثره على الحضور الكمي، بل أسهم في تنشيط سلاسل القيمة المرتبطة بالنشر، من إنتاج وتوزيع وتلقٍ، مع استعادة ثقة الفاعلين في هذا القطاع.

كما أتاح المعرض إعادة إدماج النشر السوري ضمن شبكات التبادل العربية والدولية. وفي هذا السياق، مثّلت استضافة قطر والمملكة العربية السعودية مدخلاً لتفعيل البعد الدبلوماسي الثقافي، من خلال توظيف المعرض منصةً لإعادة بناء قنوات التواصل الثقافي العربي، وتعزيز موقع سوريا ضمن فضائها الإقليمي.

أما على المستوى المحلي، فقد عكس الإقبال الواسع عودة السوريين إلى الفضاء الثقافي، وإعادة تشكّل العلاقة مع الكتاب ضمن الحياة اليومية.

هل مثّل مهرجان أيام البُردة الدَولي اختباراً فعلياً لعودة سوريا إلى الحراك الثقافي العربي، وكيف انعكس ذلك على مستوى التفاعل؟

عملت وزارة الثقافة خلال العام الماضي على تفعيل الفعل الثقافي العربي داخل سوريا، وفي هذا السياق جاء تنظيم مهرجان أيام البُردة الدولي، حيث جمع شعراء من مختلف الدول العربية، ونقل النقاش الثقافي العربي إلى داخل البلاد، من خلال فعاليات توزّعت على عدد من المحافظات، منها دمشق، وحلب، واللاذقية، وحمص.

عكس المهرجان قدرة الفعل الثقافي السوري على إعادة الانخراط في محيطه العربي، لا على مستوى الحضور فحسب، بل على مستوى إنتاج تفاعل حي، فقد عكست طبيعة المشاركة وتنوّعها، إلى جانب تنقّل الفعاليات بين أكثر من مدينة، حيوية هذا التفاعل. ولعلّ الأهم لم يكن في إقامة المهرجان بحد ذاته، بل في نوعية الاستجابة التي رافقته، سواء على مستوى الجمهور أو على مستوى التفاعل بين الشعراء والمثقفين، وهو ما يمنحه دلالة تتجاوز الحدث، لتشير إلى تحوّل في الدور، من مجرّد المشاركة إلى الإسهام في إنتاج النقاش الثقافي العربي وصياغته.

إلى جانب معرض الكتاب، نظمت الوزارة فعاليات نوعية مثل "ليالي حلب الثقافية"، و"أربعاء حمص"، ومهرجان الطفل الثقافي. كيف أسهمت هذه الفعاليات في تقريب الثقافة من المواطنين وتعزيز مشاركتهم المجتمعية؟

جاءت هذه الفعاليات في إطار العمل على إعادة تفعيل الحراك الثقافي في المحافظات، وتوسيع نطاق الوصول إلى الأنشطة الثقافية، بما أسهم في إعادة الثقافة إلى الفضاء العام، وتعزيز مشاركة المواطنين فيها.

كما ساعدت هذه البرامج في تقليص المسافة بين المؤسسات الثقافية والجمهور.

ما الآليات التي تعتمدها الوزارة لتعزيز استدامة أثر المعارض والمهرجانات؟ بحيث تتجاوز الطابع الموسمي؟

يتجه العمل نحو ربط هذه الفعاليات ببرامج مستمرة، من خلال إطلاق مبادرات مرافقة، وتطوير الأطر التنظيمية، إلى جانب استخدام أدوات رقمية في إدارة الفعاليات ومتابعة أثرها ويسهم ذلك في تحويل هذه الأنشطة من فعاليات موسمية إلى مسار مستمر يدعم استقرار الحَراك الثقافي.

الحضور الفكري والأدبي في المشهد الثقافي بسوريا الجديدة

إلى أي حد يمكن اعتبار التعاون مع اتحاد الكتّاب العرب، كما تجلّى في ملتقى الكتّاب في المكتبة الوطنية خلال العام الماضي، مؤشراً على مقاربة مختلفة للحضور الفكري والأدبي للثقافة في سوريا الجديدة؟

أتى هذا التعاون ضمن رؤية وزارة الثقافة نحو تفعيل الحضور الفكري وربطه بالسياق المجتمعي، حيث طُرح الملتقى بوصفه مِساحة حوار تناولت قضايا الأدب وصلته بالواقع.

تجلّى ذلك في تنوّع المشاركات التي جمعت بين خلفيات أكاديمية وإعلامية وبحثية، ما أتاح نقاشاً تقاطع فيه البعد النظري مع التجربة المباشرة، كما تناولت النقاشات قضايا الهُويّة والتحولات الفكرية، وأعادت طرح العلاقة بين الثقافة والمجتمع، في حضور جمع بين الفكر والممارسة.

وفي هذا الإطار، يجسّد الملتقى توجّه الوزارة في تطوير سياساتها الثقافية نحو فضاء أكثر انفتاحاً وتفاعلاً، بما يعزّز دور الثقافة في قراءة الواقع والمساهمة في صياغته.

السينما واستعادة السَّردية

كيف عكست تظاهرة أفلام الثورة السورية مقاربة الوزارة في تفعيل الحَراك السينمائي، وما أبرز التوجهات للدورة الثانية؟

عملت وزارة الثقافة في إطار مسار إعادة تعريف دور السينما في سوريا، ولا سيما سينما الثورة التي مثّلت خلال السنوات الماضية فعلاً تعبيرياً مقاوماً ضد النظام البائد، وأسهمت في رصد تحوّلات الواقع عبر الكاميرا، إلى جانب توثيق تجربة السوريين في لحظات مفصلية. ويحمل عرض هذه الأعمال للمرة الأولى في سوريا الجديدة دلالة تتصل بإعادة وصل السينما بسياقها المحلي، وتعزيز حضورها، بما يعيد تأكيد موقعها ضمن الحراك الثقافي.

وعليه، يجري التحضير لإطلاق الدورة الثانية من تظاهرة أفلام الثورة، استكمالاً لهذا المسار وتوسيعاً لدائرته.

الفن التشكيلي: من المبادرة إلى المنصة

في ظل التحولات التي يشهدها المشهد الثقافي، كيف تعمل

الوزارة على دعم الفن التشكيلي السوري، وتمكين الفنانين الشباب، وتعزيز حضوره محلياً ودولياً؟

عملت وزارة الثقافة على إعادة تنشيط الفن التشكيلي، مع تركيز واضح ع لى تمكين الفنانين الشباب وإتاحة مساحات حقيقية لحضورهم.

في هذا السياق، أقيم ملتقى الرسم الأول للشباب، إلى جانب ملتقى النحت، كخطوة لفتح المجال أمام جيل جديد من الفنانين للتعبير والإنتاج ضمن بيئة داعمة.

بالتوازي، يتجه العمل نحو توسيع هذا الحضور، عبر التحضير لإطلاق بينالي سوريا، بوصفه منصة أوسع تعيد ربط الفن التشكيلي السوري بمحيطه، وتفتح أمامه أفقاً جديداً للعرض والتفاعل.

هذا المسار يعكس انتقالاً من دعم المبادرات الفردية إلى بناء منصات مستدامة، تعزّز حضور الفن التشكيلي، وتمنحه موقعاً أكثر فاعلية في المشهد الثقافي.

الأطفال والشباب: من بناء العلاقة إلى المشاركة في الفعل الثقافي

ما أبرز البرامج الثقافية التي أطلقتها الوزارة للأطفال، وما أهدافها في تعزيز علاقتهم بالثقافة والمعرفة؟

تركّزت البرامج الموجّهة للأطفال على ترسيخ علاقة مبكرة ومستدامة مع الثقافة والمعرفة، من خلال أنشطة تفاعلية تجمع بين التعلم والتجربة، وتسهم في تنمية مهارات القراءة والتعبير الإبداعي، وتعزيز ارتباط الطفل بالكتاب والمحتوى الثقافي.

ما أبرز المبادرات التي أطلقتها الوزارة لدعم مشاركة الشباب في الفعاليات الثقافية، وكيف انعكست على حضورهم المجتمعي؟

العمل مع الشباب انطلق من نقلهم من موقع المتلقي إلى موقع الفاعل.

فتح المجال أمامهم للمشاركة في تنظيم الأنشطة وتنفيذها، إلى جانب تفعيل مسارات التطوّع داخل المراكز والفعاليات الثقافية، أتاح لهم الانخراط المباشر في إنتاج الفعل الثقافي، لا الاكتفاء بحضوره.

العدالة الثقافية: توسيع الوصول وكسر المركزية

كيف تعمل الوزارة على تعزيز العدالة الثقافية في توزيع الخدمات والأنشطة بين المحافظات؟

العمل على العدالة الثقافية انطلق من معالجة اختلال طويل خلّفه النظام البائد في توزيع الفعل الثقافي، حيث تركزت الأنشطة في المركز على حساب الأطراف، ما حدّ من وصولها إلى شرائح واسعة من المجتمع.

فاتجهت الوزارة نحو توسيع نطاق العمل خارج المركز، وتفعيل ما أمكن من المراكز والمحطات والنوافذ الثقافية في مختلف المدن وربط البرامج بحاجات كل منطقة، بما يعيد التوازن في الوصول إلى الخدمات الثقافية ويعزّز حضورها على مستوى وطني أوسع.

ما دور مبادرات مثل الحافلة الثقافية، وما أبرز النتائج التي حققتها في الوصول إلى المواطنين في مختلف المحافظات؟

الحافلة الثقافية مثّلت ترجمة عملية لمفهوم العدالة الثقافية، من خلال نقل الفعل الثقافي إلى مناطق همّشها النظام البائد وأخرجها من دورة النشاط الثقافي.

الفكرة لم تقتصر على إيصال الكتاب أو تنظيم نشاط، بل قامت على مبدأ الوصول إلى الجمهور في بيئته، وكسر المركزية التي حكمت توزيع الثقافة لأوقات طويلة.

من خلال جولاتها في المحافظات والمناطق البعيدة، أسهمت الحافلة في إعادة ربط الناس بالكتاب والقراءة، وفتحت مساحة تفاعل مباشر، كما أدت دوراً في دعم التعافي المجتمعي، عبر إعادة إدماج الثقافة في الحياة اليومية.

وأتاحت في الوقت نفسه اختبار أشكال جديدة من الحضور الثقافي، تقوم على القرب والمرونة، بدل انتظار الجمهور داخل المؤسسة.

الثقافة والتكنولوجيا: إتاحة المعرفة وتوسيع نطاقها

كيف تُوظّف الوزارة التكنولوجيا والتحول الرقمي في دعم العمل الثقافي ونقل المعرفة؟

تعمل الوزارة على توظيف التكنولوجيا والتحول الرقمي في دعم الوصول إلى المعرفة، من خلال إتاحة المحتوى الثقافي بصيغ رقمية، بما يوسّع نطاق الاستفادة منه خارج الأطر التقليدية. وفي هذا السياق، يبرز دور هيئة الموسوعة العربية في إنتاج المعرفة وإتاحتها، حيث يمثّل موقعها الإلكتروني منصة رئيسية للوصول إلى المحتوى المعرفي، ويشهد إقبالاً متزايداً. كما يجري العمل على توقيع مذكرات تفاهم مع مبادرات معنية بالتوثيق، ومن بينها ملتقى "رواق" للتراث السوري، بما يدعم تطوير هذا المسار وتعزيزه.

رؤية نحو نهضة ثقافية مستدامة

ما الرؤية المستقبلية للوزارة لتعزيز الثقافة وترسيخ مسار ثقافي مستدام في سوريا؟

الرؤية تتجه نحو تثبيت ما بدأ خلال العام، وتحويله إلى مسار مستقر قادر على الاستمرار والتطوّر، عبر بناء بنية ثقافية متماسكة تربط الثقافة بالتنمية المستدامة، وتعيد تأكيد دورها قوة فاعلة واستثمارية.

في هذا السياق، تتقدّم أولويات مثل تطوير التشريعات الثقافية، واستعادة التراث وحمايته، والتوسع في التحول الرقمي، إلى جانب دعم الإنتاج الثقافي، ضمن مسارات متكاملة تعزّز الاستدامة.

كما تتجه الرؤية نحو توسيع الشراكات، وتعميق حضور الثقافة في حياة الناس، خاصة عبر تمكين الشباب، وتعزيز الوصول في مختلف المناطق، بما يرسّخ عدالة ثقافية أكثر توازناً.

وزارة الثقافة
MINISTRY OF CULTURE

مديرية
المسارح والموسيقا

الإدارة والتطوير

تنظيم الشؤون الإدارية
وتطوير القطاع
المسرحي والموسيقي

إنتاج ودعم

دعم إنتاج العروض
المسرحية والأعمال
الموسيقية والفنية

تنشيط المشهد الثقافي

تنظيم الفعاليات والمهرجانات
وتعزيز حضور الفنون في
المجتمع

تعاون ثقافي

بناء الشراكات وتبادل الخبرات
مع الفرق العربية والدولية

وزارة الثقافة
MINISTRY OF CULTURE

دار أوبرا دمشق

نبض فنون العاصمة

مسارح متعددة

تستوعب عروضاً في
الموسيقى والمسرح

منصة للفنون

تستضيف الإنتاجات المحلية
والعروض العربية والدولية

فضاء حيّ

يواكب الحراك الثقافي
ويحتضن تجارب إبداعية
متجددة

تعاون ثقافي

بناء الشراكات وتبادل الخبرات
مع الفرق العربية والدولية

الهوية الثقافية السورية

خصصت مجلة الشـام باب قضية وآراء هذا الشـهر لإعادة قـراءة الواقـع الثقافـي والاجتماعـي، وتوثيـق الذاكـرة الوطنيـة، وفتـح مسـاحة للحـوار بين الفكـر والإبـداع، بما يسـهم في بناء سردية سـورية معاصرة تسـتند إلى التنوع والحريـة الفكريـة والمعرفـة، انطلاقـاً من قضيـة الهوية الثقافية.

وقد ركّـزت المقالات المشـاركة علـى المحـاور الآتية في مناقشـة قضيـة الهويـة الثقافيـة السـورية وتحولاتهـا وأسئلتها:

- الهوية الثقافية والتنوع (من نحن؟)
- جدل بين الهوية الوطنية والتعددية الثقافية
- الاعتراف بالآخر وثقافته.

وسـتواصل مجلة "الشـام" فتح هذا الملف وتحليله في الأعـداد القادمـة ويسـعدنا أن تتعـدد الأصوات المشـاركة في هذا المشـروع الثقافـي، ونثمّن إسـهام أصحابها في إثـراء الحوار والتفكير بشـأنهِ.

من إعداد وتحرير: مريم حجير

الذاكرة الثقافية وسلطة السَّرد: كيف تُصاغ الحكاية وتُصان الهُويّة؟

د . أيمن يزبك

«تتجلى سلطة السَّرد بوصفها القوة التي تُعيد تشكيل الماضي، وتمنحه صورته في الوعي الجمعي».

لا تُعدُّ الذاكرة الثقافية مجرد مخزون من الوقائع، ولا مجردَ سجلٍ محايدٍ يُستعاد كما هو، بل هي روحٌ تُبنى، ومعنى يُصاغ، وصورةٌ تتجدّد مع كل جيل؛ فالأمم لا تعيش بتاريخها فحسب، بل تعيش بالطريقة التي تروي بها هذا التاريخ، وبالمعاني التي تستخرجها منه، ومن هنا يبرز سؤالٌ عميق يتجاوز حدود المعرفة إلى جوهر الوجود الجمعي، ألا وهو: من يروي الحكاية؟ ومن يملك سلطة السَّرد التي تُحوّل الماضي إلى هُويّة، والتجربة إلى وعي، والذاكرة إلى قوةٍ دافعةٍ نحو المستقبل؟

في لحظات الاستقرار، قد يبدو التاريخ وكأنه نصٌّ مكتمل، لا يحتاج إلى إعادة نظر، غير أنّ هذا التصور يتلاشى عندما تدخل المجتمعات في أزمنة التحوّل، ولا سيما بعد النزاعات الكبرى، حيث تتصدّع الصور القديمة، وتبرز الحاجة إلى إعادة ترتيب المعاني، ففي هذه اللحظات، لا يكون التحدي في استعادة الماضي كما هو، بل في فهمه، وتأويله، وبناء سرديةٍ قادرة على احتواء تناقضاته.

إن المجتمعات اليومَ تعيد كتابة تاريخها، لا لأنها فقدت ثقتها به، بل لأنها تسعى إلى استعادته بصورةٍ أعمقَ وأكثر عدلًا؛ فالتاريخ لا يمثل مجرد ما حدث فحسب، بل يتجسد أيضاً في ما يُفهم من الحدث، وما يُروى عنه، وما يُستخلص منه من دلالات.

وبين الحدث وسرده تتدخل عوامل عديدة: الذاكرة، والسلطة، والقيم، واللغة. وهنا تتجلّى «سلطة السَّرد» بوصفها القوة التي تُعيد تشكيل الماضي، وتمنحه صورته في الوعي الجمعي.

غير أنّ هذه السلطة لا تكون دائماً عادلة؛ فقد تتحول إلى أداةٍ لفرض روايةٍ واحدة تُقصي الأصوات الأخرى، وتُعيد إنتاج الانقسام. وقد تنزلق، في المقابل، إلى فوضى سردية حيث تتكاثر الروايات دون وجود ضابط، فيفقد التاريخُ بذلك تماسكَه، وتضيع الهُويّة في تعددٍ غير منظم. ومن هنا، فإن التحديَ الحقيقي لا يكمن في وجود رواياتٍ متعددة، بل في كيفية تنظيم هذه الروايات ضمن أفقٍ جامع.

وتتجلّى هذه الإشكالية بوضوح في الجدل بشأن الذاكرة الجماعية والرموز التاريخية؛ فكل مجتمع يحمل رموزه الخاصة التي تعبّر عن ذاته، لكن هذه الرموز لا تكون دائماً محلَّ اتفاق؛ فالشخصية التي تُعدّ بطلاً في سرديةٍ ما، قد تُرى بصورة مختلفة في سرديةٍ أخرى. ولا يُعدُّ هذا الاختلاف مجردَ تباين في الرأي، بل يُعدُّ بمنزلة تعبيرٍ عن تنوع التجارِب، وتعدد مواقع النظر.

وهنا، يكون السؤال:

هل يمكن بناء سرديةٍ جامعة في ظل هذا التعدد؟

والجواب لا يكون بإلغاء الاختلاف، ولا بفرض التماثل، بل بإيجاد إطارٍ قيميٍّ يضمن العدالة في السَّرد، ويمنح كل صوتٍ حقّه دون أن يفقد القدرة على الجمع؛ فالسَّرد العادل ليس هو الذي يُرضي الجميع، بل هو الذي يُنصفهم، ويضع كل تجربة في سياقها، ويمنع تحويل الذاكرَة إلى أداةٍ للصراع.

وفي هذا السياق، تقدّم التجارب الحضارية العميقة نماذج تُمكن الاستفادة منها؛ فقد نجحت بعض هذه التجارِب في إدارة التعدد، من خلال ربط السَّرد بمنظومةٍ من القيم التي تقوم على العدل، والإنصاف، وصيانة الحقوق. وفي هذا الإطار، يبرز الدور الذي أدّاه الإسلام في تنظيم الذاكرة والسَّرد في المجتمعات التي تأثرت به، حيث لم يُلغِ التعدد، بل أعاد ترتيبه ضمن رؤيةٍ أخلاقية.

لقد أسّس الإسلام لفكرة مُفادُها أن الإنسانَ مكرّمٌ لذاته، وأن حقوقه مصونة، وأن الاختلاف بين الناس حقيقةٌ ينبغي إدارتها، لا محوها. ومن خلال حفظ الضرورات الكبرى -الدين، والنفس،

والعقل، والعِرض، والمـال- وُضعت قاعدةٌ أخلاقيـة تحكـم العلاقات داخـل المجتمع، وتمنـع تحـوّل السَّـرد إلى أداة ظلـم. وهكـذا، لم يكـن السَّـرد في هـذا الإطار مجـرد روايـةٍ للماضي، بـل وسـيلةً لحفظ التـوازن، وبناء التماسـك.

وهـذا لا يعنـي أن السَّـرد كان واحـداً أو مغلقـاً، بـل كان متعـدداً، لكنّه منضبط بقيـم عامـة تمنـع انزلاقَـه إلى الإقصـاء، فالروايـات المختلفـة كانـت تجـد مكانها، مـا دامـت لا تُنكـر حقـوق الآخريـن، ولا تُحـوّل الاخـتلاف إلى قطيعـة. ومـن هنا، يمكـن القـول إن قـوة هـذا النمـوذج لم تكـن في توحيد السَّـرد، بل فـي تنظيمه.

وفـي العصـر الحديـث، ازدادت تعقيـدات السَّـرد، بفعـل التحـولات السِّياسـية، وتطور وسائل الإعلام، واتساع فضـاءِ التعبير؛ فلـَم تعد الروايـة تُنتج في مؤسسـات محـدودة، بل أصبحـت موزعة بيـن أفـراد وجماعات، لـكلٍّ منهـا رؤيتُها، وخلفيتهـا، وتجربتُهـا ممـا أتـاح تعدديـةً كبيـرة، لكنـه فَـي الوقـت ذاتـه أحـدث تحدّيـاً جديـداً، وهـو:

كيف نحافظ على تماسك الذاكرة في ظل هذا التعدد؟

أن الإجابـة عـن هـذا السـؤال لا تكمن فـي العـودة إلى سـردٍ أحـاديّ، بـل فـي تطويـر «أخلاقيـاتٍ للسَّـرد»، تقـوم على الصـدق، والعـدل، والمسـؤولية؛ فالسَّـرد الذي يُبنى على الكراهية يعمّق الانقسـام، والسَّـرد الـذي يقـوم على التزييـف يُفقد الثقـة، أمّا السَّـردِ الذي ينطلـق من القيم، فإنـه يفتح أفقـاً للفهـم، ويمنـح المجتمع قـدرةً على تجـاوز أزَماتِه.

وفـي المجتمعـات الخارجـة مـن النزاعـات، يصبـح هذا الأمـر أكثـر إلحاحاً؛ فإعادة تفسـير السَّـرديات الوطنية ليست مجـردَ عمليـةٍ فكريـة، بـل هـي خطـوةٌ أساسـية فـي بنـاء الـسلام؛ إذْ إنَّ السَّـردَ الذي يُنصـف الضحايا، ويعتـرف بالأخطاء، ويُعيـد ترتيـب العَلاقـة بيـن الماضـي والحاضـر، يمكـن أن يتحـول إلى جسـر للمصالحـة، بـدل أن يكون وَقـوداً للصراع.

وخلاصـة القول تتجلّى فـي أن الذاكرة الثقافية ليسـت ماضيـاً يُسـتعاد، بل قوةٌ يُصاغ بها الحاضر، ويُبنى عليها المسـتقبل. وسـلطة السَّـرد، في هذا السـياق، ليست مجـردَ قـدرةٍ على الـكلام، بـل مسـؤوليةٌ عميقـة، تحـدد اتجـاهَ المجتمـع، وتُشـكّل وعيـه بذاتـه، فـإذا أحسـن اسـتخدامها، أصبحـت وسـيلةً للفهم، وجسـراً للتواصل، وأداةً لبنـاء هُويّةٍ متماسـكة، وإذا أسـيء اسـتخدامُها، تحولـت إلى أداةٍ للإقصـاء، ومصدرٍ للانقسـام.

ومـن هنـا، فـإن الطريـق إلى هُويّـةٍ سـليمة لا يمرُّ عَبر فرض روايـةٍ واحدة، ولا عَبرَ ترك السَّـرد فـي فوضى، بـل عبر بناء سـرديةٍ عادلة، تسـتوعب التعدد، وتُنظّمه ضمن أُفـقٍ أخلاقي.

وفي هـذا التوازن الدقيق بيـن الذاكرة والسَّـرد، بيـن الحقيقـة والمعنـى، تتـجلّى إمكانيـة النهوض، وتُكتـب الحكاية التي لا تُقصـي أحداً، بل تمنح الجميـع مكاناً فيها.

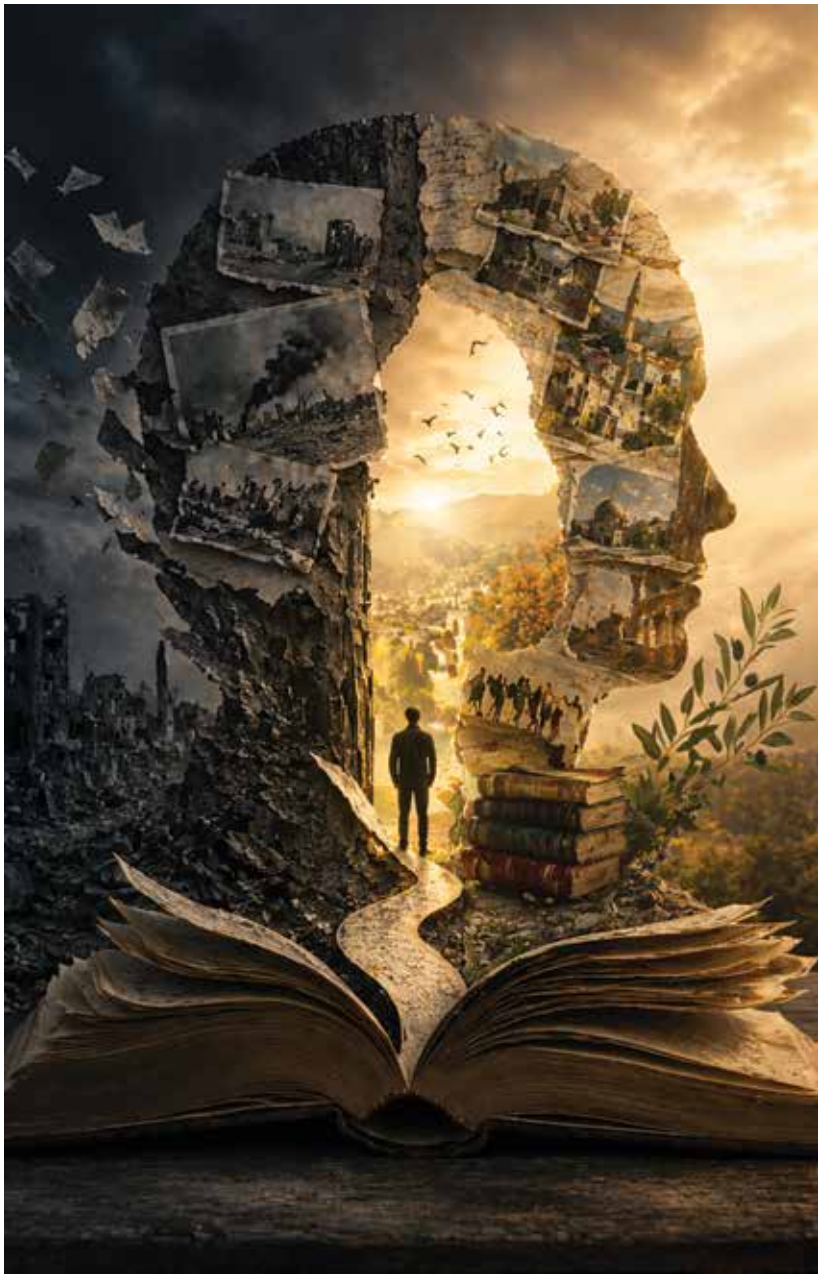

«الطريـق إلـى هُويّـةٍ سـليمة لا يمـرّ عَبـر فـرض روايـةٍ واحـدة، ولا عبر تـرك السَّـرد فـي فوضـى، بـل عبـر بنـاء سـرديةٍ عادلـة، تسـتوعب التعـدد».

مشكلة الهُويّة الثّقافيّة السوريّة

أحمد برقاوي

«إن تاريخية الهُويّة البشرية، هُويّة الجماعة الواحدة، يحدد سيرورةً تؤدي الثقافة فيها الدور الأبرز».

كنتُ قد كتبتُ نصّاً طويلاً عن مشكلة الثقافة العربية المعاصرة، وتساءلتُ في حينها:

ترى ما الذي يجعل جماعةً من البشر، تُعَدُّ بمئات الملايين، تطرح على نفسها، منذ أزيد من قرن، سؤال الهُويّة؟

دعوني أعِدْ طرح السؤال مرةً أخرى بصيغة مختلفة: ما الذي يحمل السوريَّ على طرح السؤال عن هُويّته في عَلاقتها بالثقافة؟

سؤال الهُويّة المطروح علينا ليس سؤالاً منفصلاً عن مفهوم الهُويّة فلسفيّاً، فضلاً عن أنه سؤال ثقافي بامتياز، فمن ذا الذي باستطاعته أن يفصل الهُويّة عن الوعي بالهُويّة، وعن الثقافة بوصفها أهم عناصر بنية الهُويّة؟

ونحن لا نستطيع أن نحلل تلك العلاقات التي ينطوي عليها سؤال الهُويّة الثقافية دون التحديد النظري لهذين المفهومين.

الهُويّة مفهوماً

ما يتقوَّم به الشيء، صفةٌ أو صفاتٌ أساسيةٌ ثابتة، لا يكون الشيءُ المتعيِّن شيئاً إلا بها.. إنها الصفات الجوهرية الثابتة التي تقوم بعامل التميز. الهُويّة، إذاً، بقدر ما هي تعبير عن الثابت، هي في الوقت نفسه تعبير عن الاختلاف، لأنها حقل تمييز، والتمييز هو تحديد الاختلاف.

ولسنا واجدين أيَّ مشكلة ذات شأن عندما يتعلق الأمر بهُويّة الأشياء والحيَوان، فمهما اختُلف في هُويّاتها يظل الاتفاق هو السائد.

فمن ذا الذي ينكر أن النهر مجرى من الماء ينبع من مكان أو أمكنة، ثم يصب في مكان آخر؟ إن صفاتٍ ثانويةً للنهر قد تميز نهراً عن نهر دون فِقدان ماهية النهر، كالطول والعَرض واتجاه المصب... إلخ.

بل وحتى لو حددنا الإنسان المجرَّد، دون أصل وفصل، من حيث هُويّته الكلية، لا يكون هناك اختلاف، حتى لو اغتنى بصفات متعددة، فالغنى لا ينفي الاتفاق على تحديد هُويّة الإنسان المجرَّدة، كالنطق والتفكير والضحك والإبداع والشعور بالجمال... إلخ. يتعقّد جوابنا عن الهُويّة ويغدو مشكلةً بسبب ارتباطه بالوعي الهُوياتي وبالثقافة. وتتحول الهُويّة الإنسانية، أقصد هُويّة الإنسان، إلى مشكلة بسبب وعي الإنسان لتعيُّنه، ووعي تعيُّنه ثقافيٌّ بالأصل.

ها هي الذات تحدد هُويّتها بوعيها لذاتها على نحو محدد. الذات هنا ليست مجردَ فرد، إنها جماعة تنطوي بالضرورة على أفراد يعُون ذاتَهم بانتمائهم إلى هُويّة الجماعة.

يتحول الوعي الذاتي بالهُويّة إلى مشكلة حين يصل وعي جماعة من الناس إلى أشكال متعددة من الوعي بالهُويّة، ويكون هناك اختلاف ونفي متبادل بين الهُويات الموعى بها، وقد تتحول إلى أساس لتناقضات عميقة تؤدي إلى صراع أيديولوجي سياسي عنفي... إلخ.

وتزداد المشكلة، أقصد مشكلة الهُويّة، تعقيداً إذا انطوت الجماعة على عدة هُويّات في آن، وإذا انطوت على هُويّات مستيقظة وهُويّات نائمة قابلة للاستيقاظ في شروط محددة، وإذا انطوت على هُويّات سالبة لبعضها بعضاً.

ولما كان الوعي بالهُويّة يتكون تاريخيّاً ثم يلبس لَبوساً لا تاريخيّاً عند بعض الجماعات، فإن أيَّ تناقض بين التاريخ والهُويّة، الهُويّة التي صارت لا تاريخية، فإنه يمهد للتعصب الهُويّاتي، الذي يجعل من كل هُويّة متعينةٍ بجماعة عرضةً لحشد ما لا حصر له من القيل الثقافي الأيديولوجي وغير الأيديولوجي، والتعامل معه على أنه حقيقة مطلقة بامتياز.

إن تاريخيّة الهُويّة البشرية، هُويّة الجماعة الواحدة، يحدد سيرورةً تؤدي

الثقافة فيها الدور الأبرز.

وآية ذلك أن الكائن الإنساني هو، في نهاية الأمر، كائن ثقافي، بل إن الثقافة هي نمط الوجود الإنساني، سواء كانت الثقافة جملة العادات والتقاليد والقيم والمعتقدات، أو كانت جملة المعارف التي يبدعها الإنسان، أو جملة أدوات الحياة التي يستعملها البشر بفضل العلم والتِقْنية.

ولأن الثقافة على هذا النحو من الشُّمول، فإنها لا تنفصل عن الهُويّة صفةً أساسيةً من صفات الهُويّة ومرتبطة بالسلوك؛ فالسلوك الإنساني هو الثقافة وقد تحققت على الأرض.

والثقافة مرتبطة بطريقة التفكير، حتى ليُمكنُ القول، دون تردد: إن عقل الفرد هو ثقافته؛ فالعقائد كلها طريقة تفكير وتظهر في السلوك، والأفكار ثقافة، والعلم ثقافة، وكل خطاب هو ثقافة. فالعقائد والأفكار والخطابات تشكل الوعي البشري، فضلاً عما يتوارثه الإنسان من قيم. والثقافة، بوصفها وعياً، هي التي تكوّن الذهنيات، الحالة الأبرز في ظهور الهُويّة الثقافية.

وإذا أخذنا سورية مثالاً لنطبّق عليها أطروحاتنا السابقة، فالذي نخلُص إليه هو الآتي:

كانت سورية المستقلة حديثاً سائرةً في طريق الرأسمالية، والرأسمالية تشكيلة اقتصادية اجتماعية، أهم ما ينتج عنها توحيد المجتمع عبر توحيد السوق، وقيام الدولة الرأسمالية بعملية تحطيم البنى ما قبل الرأسمالية؛ فالإنتاج الزراعي الرأسمالي يحطم العلاقات الفلاحية التقليدية، وما يرافقها من ثقافة وقيم وعادات ووعي.

كانت الثقافة الروحية في حالة انفجار في كل مجالات الإبداع، من الشعر إلى الرواية إلى الفنون التشكيلية إلى المسرح إلى الفكر.

لقد تحطم طريق التطور الطبيعي السوري في كل مجالات الحياة الاقتصادية والثقافية والسياسية، وبخاصة بعد الاستيلاء على السلطة عام 1970؛ لأن إنجاز التقدم التاريخي لم يكن ضمن إستراتيجيتها في الحكم، إذ كان هدفها الرئيس هو البقاءَ في السلطة عبر قوة مسلحة عنفية ذات عصبية ضيقة، وكانت تقيم علاقاتها مع بنى مجتمعية ما قبل الدولة؛ لأن بناء الدولة لا يستقيم مع سلطة ذات عصبية ضيقة تحكم بالقوة.

كان لا بد، من أجل تحقيق ذلك، من توفير مؤسسات القوة العنفية منذ السنوات الأولى؛

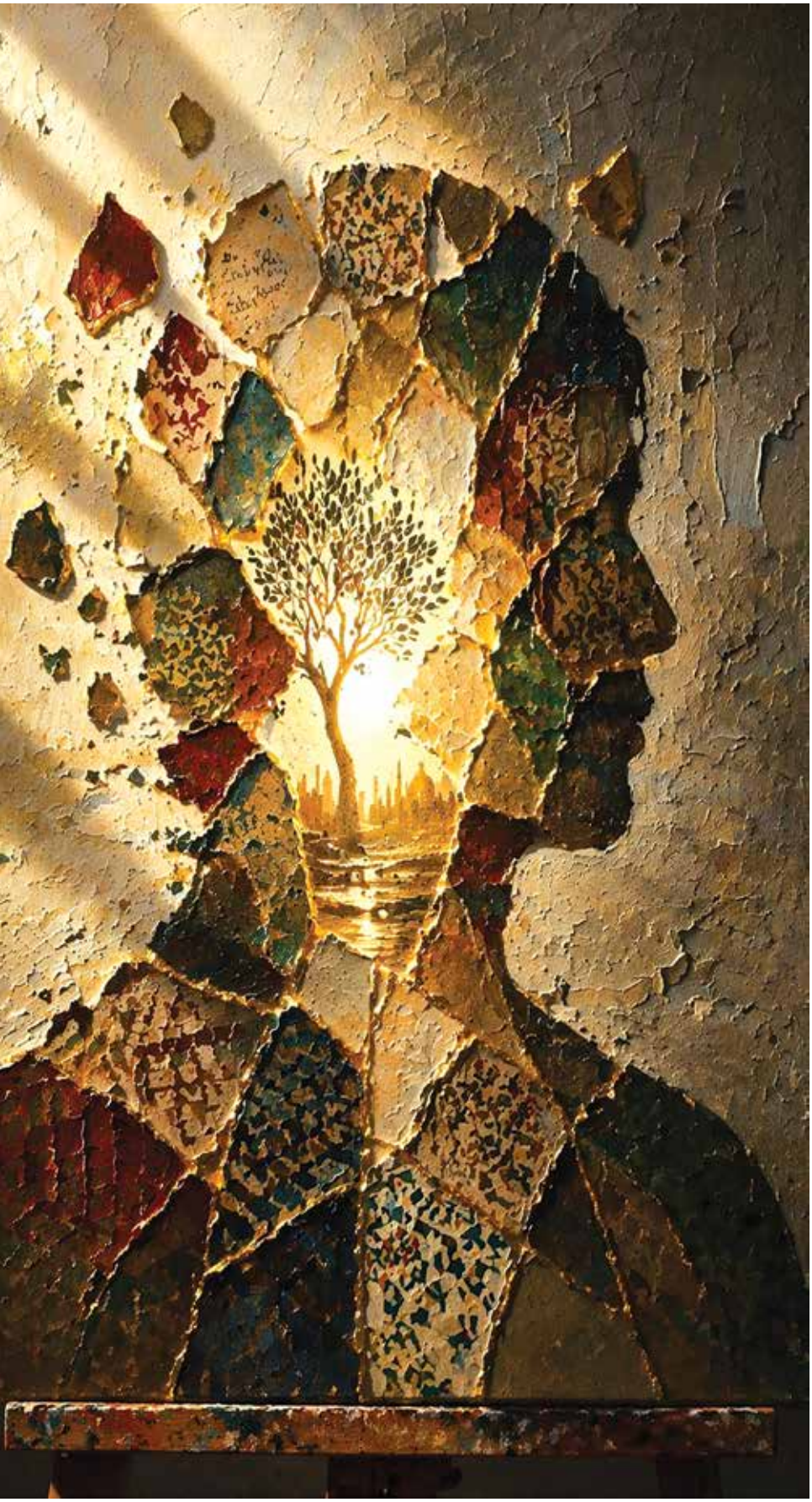

فكانت مؤسسة الجيش المعبِّر الأبرز عن استمرار البنية التقليدية الريفية من جهة، والمناطقية والطائفية من جهة ثانية، وداخل هذه المؤسسة نمت أسوأ ظاهرة عسكرية في تاريخ بلدان العالم، وهي ظاهرة أجهزة الأمن و«سرايا الدفاع» وما شابهها، والتي قامت على مبدأ الاستباحة خارج أي سلطة عليها، من استباحة القيم الثقافية بشِقيها المادي والروحي.

حين بدأت الثورة السلمية ذاتُ الروح الشبابية غير الطائفية، سارع النظام إلى استخدام بنيته الطائفية فوراً بأدواتها العسكرية والأمنية، وانشق جزء من العاملين السنّة في الجيش، ضباطاً وصفَّ ضباطٍ وجنوداً، ولم يطل الوقت حتى انتقل استخدام العنف، كردة فعل طبيعية، إلى جزء من الطائفة السنية، وراحت الحركات السنية وغير السنية تعلن سنيتَها في الصراع عبر الثقافة الدالة عليها.

وكوَّن الأكراد البنى المسلحة الكردية بأهداف كردية، كما وجد بعض المسيحيين في «الحزب السوري القومي»، الذي هو الآخر صار طائفيّاً، والعشائر هي الأخرى كوَّنت ميليشياتها. وهكذا اجتمعت كل البنى بماهيّاتها الثّقافيّة الدينيّة والطائفيّة والإثنيّة والعشائرية في صراع البنى، ولم تعد الجماعة الحاكمة إلا بنيةً من هذه البنى التي حافظت عليها، وحالت دون انتصار بنية المجتمع ـ الدولة، وحفرت قبرها بيدها في الوقت نفسه.

بل إن صراع البنى الثقافية أعاد بعض المثقفين، الذين بدا أنهم متحررون من انتماءاتهم البنيوية، إلى بناهم الأصلية، وتحولوا إلى مثقفي ثقافة بنى دينية وطائفية وإثنية.

لهذا كله لا بد من تأسيس فهم صحيح لمسألة الثقافة السورية، لجعلها عنصراً مهمّاً من عناصر الهُويّة السورية.

إذا انطلقنا من فهمنا السابق للثقافة تعبيراً عن جملة علاقات موضوعية تحدد نمط الحياة أو السلوك، كالقيم والعادات والتقاليد والنظرة إلى العالم، فإن العالم الرحب يصنع الفرد، من طريقة الطهي وعادات الزواج والتعبير عن الأفراح وطريقة التعامل مع الأتراح وعلاقات الجوار وفض الخصومات اجتماعيّاً وعادات الثأر وطرق التحية والمعتقدات الدينية... إلخ.

ليس المجال الآن الدخولَ في الجانب الأنثروبولوجي للثقافة. حسبي القول إنَّ علينا ألّا ننطلق من زاوية رؤية تقدس الثقافة بهذا المعنى الذي أشرت إليه، لأننا في هذه الحالة ننفي عن الثقافة سيرورتها وتناقضاتها، ونضفي عليها صفة الجواهر الثابتة التي لا تعرف السيرورة التاريخية.

أمّا الحديث عن الثّقافة، فإننا ننتقل إلى صعيد آخر من الثّقافة، هو ذلك النشاط الإنساني المبدع، فرديّاً كان أم اجتماعيّاً، المرتبط بحب الوطن والدفاع عنه ضد الأخطار الداخلية والخارجية، والدفاع عن تقدمه وازدهاره وحريته. ثقافة كهذه تعبر عن نفسها روحيّاً وعمليّاً؛ أي إن الثقافة هنا تتجسد في القصيدة كما في الرواية، في الفلسفة كما في العلم.

وتتجسد في الطابع الرمزي لأولئك الذين ضحّوا بأنفسهم أو عن طريق أفكارهم، واكتسبوا صفة الفرادة والبطولة، وتتجسد في عالم القيم الذي يخلق الارتباط الحميم بالوطن وبمشكلاته الحقيقية. إنها، ببساطة، التعبير الروحي والعملي عن جانب من جوانب الوطن الأساسية.

فالهُويّة السورية في مرحلتنا الراهنة تعرضت وتتعرض لشتى أنواع السلب، مما يخلق عطالةً وتشاؤماً كبيرين عسيرين على قيام الثقافة بوصفها عنصراً أساسيّاً من عناصر تعيُّن الهُويّة الوطنية ماديّاً.

بمعنًى آخر، إن العوامل النابذة للهُويّة الثقافية السورية حاضرة على أنّها ممارسة، أما العوامل الجاذبة لها فهي التي تحتاج إلى إستراتيجية ثقافية تشمل الثقافة بكل عناصرها، والتي تسعى لإظهار العوامل الجاذبة عبر الخطاب السياسي والفني الجمالي والأدبي والفكري؛ إذ ذاك فإنها تُسهم في خلق المُناخ المشترك لفاعلية أبناء الوطن.

وهنا نحدد الثقافة بوصفها عامل انتصار الهُويّة الوطنية.

إن الحاجة إلى ثقافة وطنية، في شروط كهذه، حتى ولو كان الواقع بهذه الصفة الكوميدية، حاجةُ مستقبل؛ ثقافة تبقي على الانشداد إلى قضية تنهيها مرحلة عرجاء كالتي نعيش، ذلك أن كل جيل قادم سيعاني مشكلةَ الهُويّة، وعلينا أن نورث الأجيال القادمة زاداً يساعدها على الفعل إن توافرت شروطه تماماً.

ولعَمري إنّ أحد عناصر بناء الإستراتيجيات الثقافية إحداث طقوس سنوية لإحياء ذكرى رموزنا الوطنية السورية.

يجب ألّا ننسى أنه لا انفصال بين الحرية والكرامة والثقافة، والتناقض هو بين الكرامة والاضطهاد، ولا يحصُل الاغتراب بين الإنسان ووطنه إلا حين تصبح الحياة مستحيلة في وطن لا يؤمن الكرامة والأمن والحرية والخبز لبنيه. إن وطناً يؤمن كل ما سبق هو وحدَه الذي يحقّق الشرط الضروري لازدهار الهُويّة الثقافية.

من هنا فإن الثقافة الوطنية ذات جانب سياسي أخلاقي قيمي، لأنها لا تنطلق من الإنسان المجرَّد، بل من الإنسان بكل تعيُّنه الثري وطموحه الإنساني.

بقي أن أقول: إن الثقافة الوطنية، وهي تسعى إلى تغيير العالم، فإنها بالضرورة ثقافة نقدية؛ نقدية تُجاه نفسها من أجل تجديد نفسها دائماً، ونقدية تُجاه كل مظاهر الخراب والتخريب للمجتمع وللإنسان، أي إنها لا تتحرّر إلا في حقل الممارسة والتاريخ كصيرورة.

إن النقد هنا ليس مطلوباً لذاته، وليس وسيلة عدمية تُجاه العالم والأفكار، بل هو المساهمة الإيجابية في صناعة العالم. إذاً، فالثقافة الوطنية السورية، في إستراتيجية خلق الثقافة، ليست ثقافة أيديولوجية تقوم على المدح والذم والفن الهابط وأغاني تمجيد الدكتاتور والاحتفاظ بثقافة ماضوية لم تعد قادرة على أن تجيب عن أسئلة الحاجات الجديدة. الثقافة الوطنية هي التي تنتجها نخبة الوطن في كل مجالات الحياة بوصفها نخبة حرة أوّلاً وثانياً وثالثاً. الثقافة التي تخلق الذهنية الجديدة والنظرة إلى العالم في سيرورته نحو الحرية.

«الثّقافة الوطنيّة ذات جانب سياسي أخلاقي قيمي، لأنها لا تنطلق من الإنسان المجرَّد، بل من الإنسان بكل تعيُّنه الثري وطموحه الإنساني».

وزارة الثقافة
MINISTRY OF CULTURE

المكتبة الوطنية السورية

دمشق

صرح معرفي وطني

يُعنى بحفظ الإنتاج الفكري وتنظيمه وإتاحته

محتوى متنوع

كتب، مخطوطات، دوريات، وثائق

بيئة بحثية

قاعات قراءة ومراجع متخصصة

منصة فكرية

ندوات، معارض، فعاليات

الهويّة الثّقافيّة السوريّة وفضاء التشكّل المستمر

إبراهيم الجبين

«في سوريا تبدو المشكلة أكثر تعقيداً، فالهُويّة الثقافية، عاندت تحولات الكِيان السياسي، ولم تعترف بسطوته، وبقيت تتشكل محافظة على قِوامها وركائزها منذ آلاف السنين»

اعتاد الخطاب النقدي والتأريخي السوري الناشئ في سياق الاستبداد أو على هوامشه، وضع الهويّة الثقافية في المشهد السوري في قفص الاتهام كل لحظة. قفص اتهام قضبانه سكبت من الأفكار السياسية والتصورات المسبقة، محكمتُه تسيّرها الأيديولوجيا، تُقرّ قوانينه وتصدر أحكامه التي يطمئن إليها أصحابها طالما كانت متوافقة مع تصوّراتهم المسبقة عن ماهية الثقافة السورية.

أربك استغلالُ العهد البائد لقيم الهويّة الثقافية السورية، واستمراؤه توظيفها حسَب مصالحه الحزبية أولاً ثم السلطوية، قرّاء هذا البعد الجوهري، وفي سنوات الثورة تفاقم الجدل بشأن تلك الهويّة، وتقاذفتها الآراء والأمزجة، حتى بلغ الأمر ببعض المتناولين لهذا الشأن، أن طالبوا بتركيب هويّة ثقافية سورية جديدة.

الهويّة الثقافية، في كل زمان ومكان، غير مرتبطة بحِقبة حُكم عابرة، وهي تتراكم عبر الأزمنة وتتطّور بجريان الحوادث التاريخية وتحولات المجتمعات، وحتى إن سعت هذه السلطة أو تلك إلى إحداث تغييرات حادة للتأثير في مسار الهويّة الثقافية، من نحو العبث بالديموغرافيا أو البرمجة عبر المناهج والخطاب الإعلامي وقسر الناس على خلع هويّتهم كم تخلع الأزياء وتستبدل بها أخرى، فإن هذا سرعان ما يزول بزوال أسبابه ويعود نهر الهويّة الثقافية الأصيلة إلى التدفق في مجراه الطبيعي.

هذا هو المبدأ، أما في سوريا فتبدو المشكلة أكثر تعقيداً، فالهُويّة الثقافية، عاندت تحولات الكِيان السياسي، ولم تعترف بسطوته، وبقيت تتشكل محافظة على قِوامها وركائزها منذ آلاف السنين، مكتسبة مزيداً من الأبعاد الحضارية عند كل منعطف، وحين ظهرت دول وإمبراطوريات وممالك في بلاد الشام بقيت سوريا محتفظة بطابعها المتعدد، ولكن ظلّ ذلك الطابع المستند إلى محور صُلب، يؤثر أكثر مما يتأثر، وعلى ذلك خرجت من دمشق فكرة العروبة، وانتشرت في أنحاء العالم الذي سمّته دمشق عالماً عربياً، جوهره اللغة العربية، فأصبحت العروبة هويّة لكل ناطق بالعربية، لا جامعةً عرقية أو عصبية ضيقة. وحين انطلقت من دمشق تلك الفكرة لم تنطلق ضد أحد بل تعبيراً رحباً عن حمولة التاريخ الثقافي لهذه الأرض، مستحضرةً زنوبيا من تدمر إلى قبة الصخرة دُرّةِ عمارة عبد الملك بن مروان وحضارته، وصلاح الدين من تكريت إلى قاعة العرش في قلعة دمشق.

مع تلك التحولات كانت الهويّة الثقافية تواصل تشكّلها، وفي الحقب التي يعتبرها المؤرخون حقباً جعلت من دمشق هامشاً لا مركز إشعاع حضاري، كانت دمشق تؤثر حتى دون أن تكون عاصمة، فنشأت نسخ أخرى استلهمت هويّة الشام الحضارية، بلمسات أبولودور الدمشقي الواضحة على روما القديمة، وبقوانين إيميليوس بابينيان الحِمصي الذي غيّر وجه الحضارة الرومانية ورسّخ مبادئ المواطنة، بانتقال صقر قريش من دمشق إلى قرطبة ونشوء حضارة الأندلس على الضفة المقابلة من المتوسّط، واستنسخت إسطنبول روح الشام في أزقتها وعمارتها وتقاليدها، لتعود تلك الحركة إلى الدوران مع وصول مخططات معمار سنان ووثائقه لنراها في التكية السليمانية بعد تأثرها بالمكان الجديد.

وليست العِمارة هنا إلا مثالاً واحداً تجاوره العادات والتقاليد والأزياء والتفاعلات الاجتماعية، وكل ذلك يعني بكلمة واحدة «التمدّن» السوري.

وذلك التمدّن السوري لم يكن من صنع المدن السورية وحدها، بل كانت المدن مصهره ومعبره نحو العالم،

فتشترك فيه الأرياف والبوادي وتصهره المدن السورية ومنها يعبر إلى العالم ويوصل الهويّة الثقافية السورية.

حتى فكرة الدولة العربية الحديثة خرجت من دمشق، عبر ميثاقها التاريخي الذي كُتب في بيت البكري بحاراتِ الشام القديمة، وانتشرت لتصبح دولاً وكِيانات قاتلت من أجل استقلالها وحريتها، ولم يكن الحامل والموصل لذلك كلّه سوى الثقافة السورية.

مدارس الحديث والتفسير الكبرى ومنابر العلوم المختلفة، كانت دمشق التراب الذي نبتت فيه وازدهرت وانتشرت إلى كل مكان، وحين ولدت الأحزاب السياسية العربية الأولى ولدت في دمشق، ومن حلب انطلقت حركات سياسية وثورات لشعوب المنطقة التي دافعت عن حقها في الوجود والتعبير الثقافي عن الذات.

الأبجدية الكردية المكتوبة باللاتينية رأت النور في دمشق، قلب العروبة النابض، على يد الأمير جلادت بدر خان، وفيها طُبعت المجلات والكتب التي أرخت للثقافة الكردية، ولم يكن للهويّة الثقافية العربية السورية أي توجه عَدائي أو رفض مسبق للتنوّع، وفيها رفع المسيحيون شعارات العرب واستحضروا تاريخهم المجيد وبرهنوا من خلاله على العيش المشترك مع إخوتهم المسلمين.

ولما أرادت الحزبية السلطوية استغلال مادة تعزز سلطتها، وجدت في الهويّة الثقافية السورية ضالتها، فتاجرت بالعروبة والتعدد والتمدّن السوري وابتزت به مشاعر السوريين والعرب.

وكان النتاج الثقافي يمشي بموازاة ذلك، وفي خضمّه برزت أسماءٌ وعناوين كتب، وفكرٌ وفنون، بقي بين حالين، منسجماً مع هُويته أو راكباً عليها، فلم يبق منه بعد انهيار الاستبداد إلا المعدِنُ الأصيل، أما الرداءة والعمل الأدبي والفني الملفّق فقد اضمحل، ومع الوقت سيَخفُت تأثيره حتى يمحوه الواقع.

خلال هذه الرحلة تجرأت أصوات على التنظير لأدب أقلّوي، وُوضعت أطروحات دكتوراه وأبحاث تتغنى بفكرة أن التحولِ الإيجابي في الأدب يتطلب تحولاً دينياً وطائفياً، وترجم كِفّته لصالح «الرفض» مستندة إلى افتراقات وروايات مختلفة شقّت الأمّة في ما مضى.

جرى البناء على ذلك وما شابهه، فولد أدبٌ ينطلق، باسم الحداثة، من الثأر من التاريخ، والثأر من الأصالة،

والثأر من الهويّة الثقافية. وحينَ صارتِ الحداثة مسارَ تطور، أراد لها من نظروا لما سلف أن تكون «انقلاباً» كما هي حال فكرتهم عن السلطة، ومثلما كانَ حزب البعث في تعريفه المباشر «حزباً انقلابياً»، صار تحديث القصيدة والقصة والرواية يجري بالانقلاب بالطريقة ذاتها.

قُهرت الهويّة الثقافية، ومُنعت من النمو والتطوّر، وأصبحت المنتجات الثقافية أكثر عنفاً في تفاعلها مع المجتمع، حتى فقدت وظيفتها الأولية، وهي التعبير عنه ومحاولة قيادة وعيه بالإقناع نحو دروب جديدة. وكان الاستبداد يغذّي هذا التوتر ما بين المنتجين الثقافيين والمستقبلين في قواعد الشعب، مستفيداً من تمزيق أيِ صلة للناس بمن يمكن أن يمثّلهم.

صحيحٌ أن بعضَهم حاول مقاومة ذلك المشهد، لكن عنف الحركة الانقلابية كان أكبر وأشدّ وطأة، فيما قرّر غالبية المثقفين السير وَفقاً لقواعد تلك الحركة التي تلاقت فيها نظريتا السلطة واليسار في التعالي على الناس.

اليوم يُعاد لمسار الهويّة الثقافية السورية حقُّها في المضي قدماً، وقد تنشأ إزاءَها صراعات شرسة، وقد تولد في مُناخ سيرورتها تياراتٌ ومدارسُ عدّة، لكنها هذه المرّة لن تكون مدعومة بتعزيزات عسكرية تُرهب السوريين، ولا بسجون وزنازينَ رهيبةٍ تزج بالشعراء والرسامين في ظلماتها، ولا بمنافٍ موحشة تُبعد المبدعين عن أرضهم وفضاء تأثيرهم الطبيعي الأول.

كيف تُسهم حماية التّراث الثقافي في بناء الهوية الوطنية السُّورية؟

د . أحمد إيبش

بعد ستة عقود من حُكم البعث الأسود، الحاقد والفاشل، لسوريا وطننا الحبيب، أطلّ فجر الحريّة والكرامة أخيراً في صباح 8 كانون الأول من عام 2024 فانتعشت آمال الناس وعمّ الفرح الوطن الجريح، بعد 13 سنة من النضال ضد عدوّ مجرم حاقد. وسُرعان ما برزت رغبة عامة لدى الجمهور السّوري بأسره لإحياء نهضة سوريا وتطوير مناحي الحياة فيها، تحت مبدأ عام يقول: كل من كانت لديه نخوة وقيم طيّبة، فليكفّ عن النقد لأجل النقد.. أيُّ شيء لديك قدّمه لهذا الوطن.. سوريا بحاجة إلينا جميعاً، فلنحوّلها إلى ورشة عمل لا تهدأ ولا تستكين؛ حتى ننهض بدولتنا وبلدنا. كما فعل أهل دمشق عندما ردّوا البهاء إلى جامعهم العظيم عقب حريقه المدمّر المُفجع عام 1893 في شهر كانون الثاني من هذا العام الجاري 2026 تبنّت وزارة الثقافة مشكورة مبادرة ثقافية كبيرة بعنوان: «موسوعة الجامع الأموي الكبير»، وتولّى معالي الوزير محمّد ياسين صالح إطلاق فعاليّاتها ضمن تظاهرة ثقافيّة بارزة في 22 كانون الثاني.

يومَها، استرعى هذا المشروع الرّائد تساؤلاتٍ محوريةً كبيرة: كيف تسهم عملية حماية التراث الثقافي وصونه في بناء الهُويّة الوطنية السورية؟ وما رؤانا وأهدافنا ومُهمّتنا من وراء إعادة دراسة تاريخنا والحفاظ على آثارنا؟ بكلمة واحدة: بناء ذاكرة ثقافية جديدة، وإبراز وجه سوريا الماجدة الكريمة، وبناء سرديتها التّاريخية الحرّة الواعدة.

يمثّل التاريخ السَّردي والآثار المادّيّة البنية العميقة للذاكرة الجمعية لأي دولة، ولا يمكن التعامل معهما بوصفهما عناصر رمزية معزولة عن الحاضر؛ فالتاريخ هو سجلّ لتجارب سياسية، واقتصادية، وعمرانية متراكمة، يمكن من خلالها فهم أنماط التّكيّف مع البيئة وإدارة الموارد وبناء السلطة، وعندما يُدمَج هذا الوعي التاريخي في السياسات الثقافية والتنموية، تتحول الآثار من ماضٍ محفوظ إلى مورد معرفي وإستراتيجي، يسهم في إنتاج تنمية مُستدامة وهوية وطنية واعية، قادرة على استشراف المستقبل دون القطيعة مع الجذور.

«الآثار ليست حجارة صمّاء، بل شواهد على نظم حكم، واقتصاد، وعمران، واجهت تحديات مشابهة لما نواجهه اليوم».

ليس تاريخ الدول أرشيفاً مغلقاً، ولا ترفاً ثقافياً يُستحضر عند الأزمات، بل هو مخزون إستراتيجي من الخبرة الإنسانية المتراكمة، فالدول التي وعَت تاريخها بعمق استطاعت أن تفهم ذاتها، وأن تبني مشروعات تنموية منسجمة مع بيئتها وثقافتها، لا مستوردة ولا منبتّة الجذور.

والآثار ليست حجارة صمّاء، بل شواهد على نظم حكم، واقتصاد، وعمران، واجهت تحديات مشابهة لما نواجهه اليوم، وحين يتحوّل التاريخ من مادة للتّفاخر إلى أداة للفهم، يصبح قادراً

على إنتاج تنمية مُستدامة، وهويّة واثقة، ورؤية مستقبلية لا تخجل من الماضي ولا تأسره، بل تبني عليه بعقل نقدي ومسؤول.

فكيف يؤدي تاريخ دولة وعراقة آثارها دوراً محورياً في نشوء مفاهيم فعالة لتطوير هذه الدولة وإنمائها؟

1 - تاريخ الدولة يشكّل الذاكرة الجمعية التي تمنح المجتمع إحساساً بالاستمرارية والهوية.

2 - عراقة الآثار تذكّر بأن الدولة ليست حدثاً طارئاً، بل نتاج تراكم حضاري طويل.

3 - هذا الوعي التاريخي يعزّز الثقة بالذات الوطنية، وهي شرط لأي مشروع تنموي ناجح.

4 - فهم تجارب الماضي يوفّر نماذج نجاح وإخفاق يمكن البناء عليها أو تجنّبها.

5 - الآثار ليست حجارة صامتة، بل شواهد على نظم إدارة واقتصاد وعمران سابقة.

6 - استيعاب هذا الإرث يساعد على تطوير حلول منسجمة مع البيئة والثقافة المحلية.

7 - التّاريخ يمنح الشرعية الأخلاقية والسياسية لمشروعات التطوير الحديثة.

8 - الدّول ذات العُمق التاريخي تستطيع تحويل التّراث إلى قوّة ناعمة اقتصادية وثقافية.

9 - الوعي بالتّراث يرسّخ مفهوم الاستدامة بدلاً من التّنمية السطحية السريعة.

10 - الآثار تخلق رابطاً بين المواطن والأرض، فيزداد الانتماء والمسؤولية.

11 - التّنمية التي تنطلق من التاريخ تكون أقل عرضة للاستنساخ الأعمى للنمذجة الخارجية.

12 - لذلك، فالتاريخ ليس عبئاً على التطوير، بل ركيزة فكرية وإستراتيجية لبنائه. هذا الفهم لا يقتصر على التنظير، بل تؤكده تجارب دولية حديثة، فهناك أمثلة واضحة وناجحة تؤكد كيف نجحت دول حديثة نجاحاً باهراً بالاستفادة من تاريخها للتنمية، وكيف يمكن للتاريخ أن يكون محرّكاً عملياً لهذه التنمية، لا مجرد سردية ثقافية:

1 - اليونان:

استثمرت الإرث الكلاسيكي في السياحة الثقافية، والتّعليم، والدبلوماسية الثقافية، وجعلت الآثار جزءاً من اقتصاد مستدام لا من متحف مغلق.

2 - إيطاليا:
حوّلت المدن التّاريخية إلى مختبرات حية للتّنمية الحضرية، حيث تتعايش الآثار مع الاقتصاد الإبداعي، والحرف، والجامعات.

3 - إسبانيا:
أعادت قراءة تراثها الأندلسي والمتوسّطي بوصفه رصيداً للتّعدّدية الثّقافية والسّياحة والهُويّة الحديثة، لا عبئاً تاريخياً.

4 - تركيا:
أدمجت التاريخ العثماني والبيزنطي في مشروعات عمرانية وسياحية واقتصادية، وربطته بالهوية الوطنية المعاصرة.

5 - المغرب
استثمرَ المدن العتيقة (فاس، مراكش) ضمن خطط تنمية تحافظ على النّسيج التاريخي وتوجد فرص عمل محلية.

6 - اليابان
رغم حداثتها التكنولوجية، حافظت على التّراث التّقليدي وجعلته جزءاً من الصّناعة الثّقافية والاقتصاد السياحي.

7 - ألمانيا
أعادت توظيف تاريخها (حتى المؤلم منه) في التّعليم، والذّاكرة العامة، وتخطيط المدن، مما عزّز الثّقة والشّفافية.

الدّول التي نجحت لم تتعامل مع تاريخها على أنّها حِملٌ رمزي، بل بصفته بنية معرفية واقتصادية تُنتج سياسات تنموية متجذّرة، مرنة، وقابلة للاستدامة. وعلى ذلك، فالتاريخ هنا ليس تمجيداً للماضي، بل أداة لفهم الحاضر وبناء المستقبل.

ما رصيد سوريا الحضاري والأثري؟

سوريا، العريقة والغنيّة بتراثها الضارب في جذور التاريخ البشري، تضمّ أكثر من عشرة آلاف موقع أثري، ما يجعلها واحدة من أغنى بلدان العالم بالتراث الثقافي، حيث لا تكاد تخلو بقعة من أرضها من أثر يشهد على تعاقب الحضارات وتراكم التجربة الإنسانية.. وهذا الرقم يشمل: تلالاً أثرية، ومدناً قديمة، ومعابد، وكنائس وأديرة، ومواقع بيزنطية ورومانية وإسلامية، مواقع ما تزال بكراً حتى الآن، ومنها مواقع كبرى معروفة، كمدينة دمشق القديمة، ومدينة تدمر، وحلب القديمة، وبُصرى.

ومن بين المواقع الأثريّة السُّوريّة مواقع كثيفة جداً، ففي شمال سوريا (المدن المنسية)، مئات القرى البيزنطية، إذْ إنّ مِنطقة إدلب وحدها، تضم نحو 800 موقع أثري في نطاق محدود، كما نجد آلاف التلال المنتشرة: كتل مرديخ (إيبلا)، وتل براك، وتل حلف، وكثير منها لم يُنقّب عنه بعد، ويحتوي طبقات حضارية كاملة.

ومن أعظم الآثار الأثريّة في سوريا قلعة الحصن Le Crac des Chevaliers يقول الآثاري الفرنسي الكبير بول ديشان: Paul Deschamps إنها أروع مثال لعمارة القلاع النورماندية البورغونيّة في عصرها، وفي فرنسا نفسها لا يوجد لها مثيل! تمثّل هذه القلعة الذروة الناضجة للعمارة العسكرية الفرنسية في المشرق، حيث تطوّرت العناصر النورمانية التقليدية تحت ضغط الظروف الشرقية، لتنتج نظاماً دفاعياً أكثر تعقيداً وكمالاً من نظائره في أوروبا.

وإذا كانت جذور قلعة الحصن تمتدّ إلى تقاليد التّحصين النّورمانية في شمال غرب فرنسا، فإنها لا تمثل استنساخاً لها، بل تطوراً متقدّماً بلغ في المشرق درجة من الكمال لم تعرفها القلاع الأوروبية نفسها، حتى غدت نموذجاً عسكرياً قائماً بذاته.

والجميل أنّ التّراث السُّوري يمتاز بأنه لا ينتمي إلى حقبة واحدة، بل يتكوّن من طبقات متراكمة تتجاور أحياناً في الموقع الواحد، مما يجعل من البلاد سجلّاً حيّاً لتاريخ الإنسان عبر آلاف السنين.

سوريا ليست دولة فيها آثار، بل سوريا نفسها موقع أثري واحد واسع، بمعنى أن كل طبقة أرض تمثل تاريخاً، وكل مدينة تمثّل طبقاتٍ حضارية متراكمة، وكل قرية قد تخفي موقعاً غير مكتشف.

أهم العصور التي ترجع إليها الآثار في سوريا:

يمكن تصنيف التراث الأثري في سوريا ضمن تسلسل زمني متصل يعكس تعاقب الحضارات الكبرى:

1 - عصور ما قبل التاريخ
(العصر الحجري القديم والحديث)
– بدايات الاستيطان البشري، القرى الزراعية الأولى

2 - العصر البرونزي
(نحو 3000–1200 ق.م)
– مدن كبرى مثل إيبلا وماري، وظهور أولى الدول المنظمة.

3 - العصر الحديدي
(1200–333 ق.م).
– الممالك الآرامية والفينيقية، وتطور المدن-الدول.

4 - العصر الكلاسيكي
الهلنستي (بعد الإسكندر)
– انتشار الثقافة اليونانية وإعادة تشكيل المدن.

5 - العصر الروماني
– ازدهار عمراني ضخم (مدن، مسارح، طرق، معابد).

6 - العصر البيزنطي
– انتشار المسيحية، وبناء الكنائس والأديرة (المدن المنسية مثالاً).

7 - العصر الإسلامي المبكر
(الأموي والعباسي)
– نشوء العمارة الإسلامية الكبرى (مثل الجامع الأموي).

8 - العصور الإسلامية الوسطى
– السّلاجقة والأتابكة والأيوبيون والمماليك، وازدهار القلاع والمدارس.

9 - العصر العثماني
– تطور المدن التقليدية، والخانات، والأسواق.

10 - العصر الحديث والمعاصر
– امتداد عمراني وثقافي يمثّل الطبقة الأخيرة من الذاكرة الحضرية.

قُصارى القول: حماية التراث ليست صيانة للماضي، بل هي صيانة لقدرة المجتمع على أن يثبت وجوده ويحقّق انطلاقة آمنة نحو المستقبل، وتاريخ الدّول ليس مجرد قصص عن الماضي، ولا مادّة للحنين أو التّفاخر، بل هو تجربة إنسانية طويلة تختزن دروساً ثمينة، ونحن في سوريا الجديدة، الحرّة والسّيّدة والمتجدّدة، عندما نفهم تاريخنا وآثارنا، ندرك أن ما نعيشه اليوم ليس منفصلاً عمّا سبقنا، بل هو امتدادٌ له.

هذه الآثار تشهد على كيف بنى الناس مدنهم، وأداروا مواردهم، وواجهوا الأزمات عبر القرون، وحين نُحسن قراءة هذا التاريخ ونطوّره وننمّيه، يصبح أداة تساعدنا على بناء حاضر أفضل ومستقبل أكثر توازناً، تنمية تحترم الإنسان والمكان، وتمنح المجتمع ثقة بجذوره وقدرته على الاستمرار والتّجدّد.

أكثر من 10,000 موقع أثري في سوريا.. ما يجعلها واحدة من أغنى بلدان العالم بالتراث الثقافي

وزارة الثقافة
MINISTRY OF CULTURE

المعهد العالي للفنون المسرحية

دمشق

صرح أكاديمي رائد

يُعنى بتأهيل الكوادر المسرحية وفق أسس علمية وفنية

تخصصات متكاملة

التمثيل، الدراسات المسرحية، السينوغرافيا، الرقص، الفنون البصرية والسمعية... ضمن رؤية منهجية شاملة.

بيئة إبداعية

تجمع بين البحث النظري والتطبيق العملي على خشبة المسرح

استمرارية وتجدد

رفدٌ مستمر للحركة الثقافية بكفاءات مؤهلة ومبدعة

تحولات الهُويّة الثّقافيّة السوريّة خلال نصف قرن

من تعدد الانتماءات التاريخية إلى سؤال الأمة الثقافي

فارس الذهبي

يثير الحديث عن الهُويّة الثقافية السورية سؤالاً أولياً يسبق كل تحليل لاحق، متى ظهرت هذه الهُويّة أصلاً، وما الذي نعنيه بها حين نستخدم هذا التعبير؟ فالتاريخ الثقافي للفضاء الذي يسمى اليوم سوريا لا يقدم لنا هُويّة سورية متماسكة بالمعنى الحديث الممتد عميقاً في الأزمنة القديمة والوسيطة، وإنما يقدم طبقات متراكبة من الانتماءات، والدوائر الحضارية، والصيغ المحلية والإمبراطورية والدينية والمدنية.

ولهذا فإن مقاربة الهُويّة الثقافية السورية تحتاج إلى قدْر كبير من الحذر التاريخي؛ لأن إسقاط المفهوم الحديث على عصور سابقة يحجب تعقيد الوقائع ويجعل الماضي يبدو وكأنه كان ينتظر الدولة الوطنية الحديثة منذ آلاف السنين.

في الأزمنة القديمة، ظهر هذا المجال بوصفه ملتقى حضارات وطرق تجارة وإمبراطوريات ومراكز مدينية كبرى، من تدمر إلى أنطاكية إلى دمشق إلى حلب إلى السواحل والمدن الداخلية، كانت الثقافة تتشكل عبر علاقات واسعة تتجاوز حدود الكيان السوري المعاصر، وحين يرد اسم «السوريين» عند لوقيانوس السميساطي، كما أشار خيري الذهبي في بعض كتاباته، فإن العبارة تحيل على معنى ثقافي وتاريخي مختلف عن معنى الهُويّة الوطنية السورية الحديثة.

كانت «السورية» آنذاك تسمية جغرافية وحضارية ضمن فضاءات أوسع، ولم تكن بعدُ هُويّة دولة قومية بحدودها وتعريفاتها المعاصرة. ولهذا فإن استخدام لوقيانوس لعبارة «نحن السوريين» يضيء جذراً تاريخياً دالاً، ويفتح باباً مهماً للتأمل في عمق الاسم، لكنه لا يحسم مسألة وجود هُويّة ثقافية سورية حديثة التكوين.

وعبر القرون اللاحقة، استمرت المنطقة في إنتاج هُويّات متعددة المستويات، ظهرت هُويّات دمشقية وحلبية وساحلية وجزيرية وتدمرية، وبرزت انتماءات دينية ومذهبية، وتكونت صلات واسعة بالعالمين الإسلامي والعثماني، وقبلهما البيزنطي، وقبلهما أيضاً المواريث السريانية والآرامية والرومانية والتدمرية.

كانت المدن الكبرى تنتج أساليبها في العيش واللغة والذوق والمعرفة، وكانت الإمبراطوريات تمنح السكان أطر انتماء أكثر اتساعاً، وكانت الجماعات المحلية تطور ذاكراتها الخاصة.. هكذا تبلور المشهد الثقافي عبر تعدد كثيف، قاعدته المدن والملل والولايات والأسواق والطرق والمدارس والزوايا والسلطنات، دون أن تتجمع هذه العناصر في صيغة حديثة مكتملة تحت اسم الهُويّة الثقافية السورية.

ومع أواخر العهد العثماني وبدايات القرن العشرين، بدأت الشروط التاريخية التي تصنع الهُويّات الوطنية الحديثة تتجمع ببطء.. كضعف السلطنة، وصعود الطباعة، وانتشار الصحافة، ونمو التعليم

«صارت الثقافة جزءاً من جهاز التوجيه وإعادة الصياغة، ودخلت الدولة إلى عمق الاجتماع السوري عبر المدرسة والمنظمة والاتحاد والرقابة والمنهج والمصطلح والرمز».

المدني، وتشكل النخب الجديدة، وبداية التفكير في الحدود والإدارة الحديثة، وصدمة الاستعمار الأوروبي، وتزايد الأسئلة بشأن اللغة والقومية والدولة.

في هذه اللحظة، أخذت سوريا المعاصرة تخرج من الفضاءات الإمبراطورية المفتوحة إلى سؤال الكيان السياسي والثقافي المحدد، وهنا بدأ المسار الفعلي لتكوّن ما يمكن تسميته بالهُويّة الثقافية السورية الحديثة.

منذ مرحلة المملكة العربية السورية عام 1920، ثم خلال سنوات الانتداب وما تلاها من الاستقلالات المتدرجة، اشتغل الرواد السوريون على تعريف هذا الكيان الجديد وتحديد عناصره. ظهر سؤال الحدود، وبرزت قضية اللغة، وتقدمت مسألة الانتماء العربي، وحضر المشرق بوصفه فضاءً حيوياً لسوريا، وصار للمناخ والبيئة والجغرافيا والمدن الكبرى والريف والبادية دور في رسم صورة البلد.

نشأت آنذاك محاولة تأسيسية تجمع بين الجغرافيا والتاريخ والمزاج الاجتماعي واللغة والقضية العامة، وكان للآباء المؤسسين، من سياسيين ومثقفين وصَحفيين ومربين، دور محوري في اختيار الوجهة الثقافية للدولة الجديدة.. هذه الوجهة حملت طابعاً عروبياً مشرقياً واضحاً، متصلاً بقضايا المنطقة الكبرى، ومشدوداً إلى اللغة العربية بوصفها وعاء جامعاً، وإلى الحياة المدنية بوصفها الأفق الذي يمنح هذا التنوع إمكان التعايش والإنتاج.

على الرغم من الأسئلة الكبرى التي كانت تطرح عن هذه الهُويّة ومحاولة كل طرف من الأطراف فرض رؤيته على الجميع، أسئلة جوهرية لا تزال تتفاعل إلى يومنا من نوع: ثقافة لا شرقية ولاغربية!!

في تلك المرحلة، أخذت الهُويّة الثقافية السورية الحديثة تتشكل من عناصر متداخلة، عروبة ثقافية، مركزية اللغة العربية، ذاكرة مدنية نشطة، تفاعلٍ بين المدن والأرياف، صحافة حرة نسبياً، أحزاب وحياة برلمانية، وجيل من المثقفين يرى في سوريا بلداً قائماً بذاته داخل المجال العربي الأوسع.

وكانت هذه الصيغة تحمل توتراً خلاقاً بين الخصوصية السورية والانتماء العربي، بين الدولة الوطنية والبعد المشرقي، بين التنوع المحلي والرغبة في سردية جامعة، ومن داخل هذا التوتر نشأ قدر مهم من الحيوية الثقافية التي انعكست في الأدب والصحافة والتعليم والفنون، بما سمي نهضة الخمسينيّات.

واستمرت هذه الوجهة العامة، مع ما فيها من تفاوتَ واضطراب، حتى الانعطافة الحاسمة التي يمثلها انقلاب 1963 وصعود البعث إلى السلطة. عند هذه النقطة دخلت سوريا طوراً مختلفاً تماماً في علاقتها بذاتها؛ فالدولة الجديدة قررت أن تعيد تشكيل البلاد ومجتمعها وثقافتها وفق تصورها العقائدي والتنظيمي.

بدأت الحياة المدنية السورية تفقد ركائزها الأساسية، وتعرض رجالات الثقافة والسياسة والصحافة إلى الإقصاء

والتجريد والتقييد، وتقلصت المشاركة العامة، وتبدل معنى المجال العام نفسه.. ومع هذا التحول، صارت الثقافة جزءاً من جهاز التوجيه وإعادة الصياغة، ودخلت الدولة إلى عمق الاجتماع السوري عبر المدرسة والمنظمة والاتحاد والرقابة والمنهج والمصطلح والرمز.

وفي السياق نفسه، امتدت جسور واسعة نحو الكتلة الشرقية، سياسياً وثقافياً وتعليمياً. فأرسل المبتعثون، وتوسعت صلات النخب الحاكمة والمثقفين الرسميين بمراكز التأثير الفكري في المعسكر الاشتراكي، ودخلت إلى البلاد مناهج نقدية وفلسفية وأدبية ذات منشأ سوفييتي وشرقي أوروبي، كما جرى تأصيل مفردات الواقعية الاشتراكية والمذاهب الثقافية المرتبطة بها في المؤسسات التعليمية والثقافية والإعلامية.

وضمن هذا المسار، جرى إنتاج ثقافة هجينة، ثقافة تحمل لافتات تقدمية كبرى، وتتحرك بعيداً عن النسيج الحي للمجتمع، وعن لغته اليومية، وعن توتراته الفعلية، وعن تحولات الإنسان السوري في المدينة والريف والهامش.. لقد نشأت طبقة من التعبيرات الثقافية تدور حول المفاهيم المطلوبة، وتعيد تدوير الصور المنتقاة سلفاً، وتشتبك مع الإنسان ضمن الحدود التي رسمتها السلطة له.

هذه الثقافة الهجينة صنعت انفصالاً متزايداً بين المجتمع وصورته الرسمية عن نفسه؛ فالسوري الذي يعيش تعقيدات الحياة اليومية، ويعرف طبقاته الفعلية، ويختبر القمع والفساد والتحولات الاقتصادية والهجرات الداخلية، لم يجد نفسه على نحو كامل في الخطاب الثقافي المؤسسي.

«الأمة تبدأ من قدرتها على تخيل نفسها، والثقافة هي الحقل الذي يتشكل فيه هذا التخيل، ويكتسب لغته وصوره ومعاييره».

ومع مرور الزمن، تراكمت مسافة واسعة بين ثقافة الدولة والثقافة الاجتماعية، واستمرت الجامعات والاتحادات والوسائل الإعلامية في إنتاج لغة عالية النبرة، فيما كانت الحياة الواقعية تسير في اتجاهات أخرى، كصعود التدين الشعبي، وتشكل الاقتصاد غير الرسمي، تراجع الطبقة الوسطى المستقلة، وتنامي العصبيات المحلية، وتمدّد الصمت داخل المجال العام.

في العقود اللاحقة، جاءت التحولات الاقتصادية والاجتماعية لتزيد هذا التصدع عمقاً، الهجرة من الأرياف إلى المدن، وتوسع الأطراف العشوائية، تراجع المدرسة العامة، وانقلاب صورة المدينة، وصعود التلفزيون ثم الفضائيات ثم المنصات الرقمية على حساب الثقافة الهادئة، كل ذلك أحدث تغيرات جذرية في البنية الثقافية السورية. ومع أن الخطاب الرسمي استمر في الحديث عن وحدة الهُويّة والنهج والرسالة، فإن البنية الفعلية للمجتمع كانت تتجه نحو تعدد خام وغير معترف به.

وعوضاً عن إدارة هذا التعدد في إطار مدني مرن، جرى احتواؤه أمنياً، أو استعماله، أو تجميده، ففقدت الهُويّة الثقافية السورية قدرتها على التطور الطبيعي.

ومع انفجار السنوات الأخيرة، برزت الشروخ إلى سطح الحياة العامة دُفعة واحدة.. فالجماعات الاجتماعية عادت إلى مخزوناتها العميقة، واستعادت هُويّاتها الصغرى، وارتفعت الأصوات المناطقية والطائفية والإثنية والمنفوية، وأصبحت ذاكرة الألم موزعة على خرائط متجاورة.. هنا ظهرت الهُويّة الثّقافيّة السوريّة بصيغة الجرح الكبير، اسم جامع تآكلت مادته الثقافية المشتركة، وكيان سياسي تحاصر فكرته روايات كثيرة عن الذات والآخر.

وفي هذا السياق، صار من الضروري التفكير في الثقافة بوصفها مجالاً لإعادة التشكيل، لا بوصفها ترفاً مؤجلاً إلى ما بعد السياسة.

الثقافة، في معناها العميق، تملك القدرة على إعادة بناء المجال الرمزي للأمة؛ فهي التي تمنح الجماعة لغتها المشتركة، وصورها عن نفسها، وتوازنها بين الذاكرة والنقد، وبين الخصوصية والانفتاح.

وعبر الفنون تحديداً، تستطيع الشعوب أن تنظر إلى نفسها من جديد.. فالرواية تعيد تركيب المصائر الفردية داخل التاريخ العام، والمسرح يضع الإنسان في مواجهة أسئلته الأخلاقية الخاضعة للتفاعل، والسينما تمنح الوجوه المهملة حضورها البصري والوجداني، والأغنية تحفظ الذاكرة في طبقات العاطفة، والفن التشكيلي يعيد كتابة الألم والحنين والخراب بأشكال تتجاوز الخطابة المباشرة.

ومن هنا تأتي فكرة القوة الناعمة؛ فالثقافة تؤثر في الوعي من خلال الجاذبية والتمثل والتكرار الخلاق.. إنها تبني الانتماء عبر المعنى، وتعيد تشكيل الذائقة، وتصنع مِساحات تعارف بين الجماعات التي فرقتها السياسات والحروب. وفي الحالة السورية، تبدو هذه المهمة شديدة الدقة، المطلوب ثقافة قادرة على جمع التعدديات التاريخية داخل أفق عام، وقادرة على الاعتراف بالعناصر السورية كافة الداخلية والساحلية والجزيرية والكردية والسريانية والأرمنية والشركسية ملتفة حول العربية وغيرها، داخل سردية واسعة تستوعب الفروق ولا تذيبها.

الهُويّة الثقافية السورية التي يحتاجُ إليها المستقبل لن تخرج من قوالب جاهزة، وإنما ستنمو من عمل طويل على التعليم، والدراما، والمسرح، والرواية، والسينما، والبحث التاريخي، والترجمة، وحفظ الذاكرة، وإحياء المجال العام، وستحتاج إلى عدالة رمزية توازي العدالة السياسية؛ لأن الأمة تستقيم حين يشعر أبناؤها بأن قصصهم ممثّلة، وآلامهم معترف بها، وأصواتهم جزء من النسيج المشترك.

بعد نصف قرن من التحولات العاصفة، تبدو سوريا أمام مُهمة ثقافية كبرى، إعادة تعريف نفسها بعيداً عن الإملاء الأيديولوجي، وبعيداً عن التشظي الذي حوّل الجماعات إلى جزر نفسية. وهذا يفتح باباً واسعاً أمام الثقافة والفنون؛ كي تؤديا دورهما في إعادة بناء الخيال الوطني، فالأمة تبدأ من قدرتها على تخيل نفسها، والثقافة هي الحقل الذي يتشكل فيه هذا التخيل، ويكتسب لغته وصوره ومعاييره.

وعبر هذا المسار وحده يمكن للهُويّة الثقافية السورية أن تستعيد حيويتها، وأن تتحول من سؤال ممزق إلى مشروع مفتوح على المستقبل، عبر إنصاف الجيد وتهميش الغث، وفسح المجال أمام التجريب ونبذ التكريس ونشر الحوار الثقافي على أسس صحية.

وزارة الثقافة
MINISTRY OF CULTURE

المتحف الوطني
دمشق

مؤسسة وطنية
تُعنى بجمع اللُقى الأثرية
وحفظها وتوثيقها وعرضها

فضاءات عرض
قاعات دائمة ومؤقتة تضمّ
تماثيل وفسيفساء ومكتشفات
من عصور مختلفة

وظائف متحفية
توثيق، ترميم،
صون المقتنيات

إتاحة للجمهور
عرض المجموعات
وإتاحتها للزوار

تأملات بشأن الهُويّة الثّقافيّة السوريّة.. لسنا مقطوعين من شجرة

بشير البكر

«على الدوام، كانت الهُويّة الثقافية السورية، مسألة «صيرورة» بقدْر ما هي مسألة «وجود»، تنتمي إلى المستقبل بقدْر ما تنتمي إلى الماضي»

كلّما جالستُ جمعاً من السورين انتابني شعوران، الأولُ: أن اللقاء يزدانُ بالتَّعددية في اللَهجات ومشتركاتِ ذاكرةِ المكان والزمان، والإحالات على مصادرَ متقاربةٍ حيناً، وحيناً آخرَ مختلفة تحت سقف تاريخ واحد، ومعاييرَ ثقافية متقاربة. والثاني: هناك فائض من الهُويات لدى كل فردٍ منّا، على عكس بعض الشعوب التي خالطناها في سفرنا المديد، بوصفنا أبناءَ أرض اعتاد أهلها الهجرةَ إلى شتى أنحاء الكون، حتى إننا تركنا أثراً منّا في كل ثقافة، من أمريكا اللاتينية والشَمالية، وأوروبا، حتى بلاد الهند، والصين، وإفريقيا.

تظل مسألة الهُويّة الثقافية موضع تساؤل، ما الذاتُ السورية؟ وعلامَ تنطوي؟ هل نعبّر جميعاً ودائماً عن المواقف ذاتها، حينما نفكر أو نتحدث أو نكتب؟

ما تشيرُ إليه النظريات الحديثة للتعبير هو أنه على الرغم من أن أبناءَ شعبٍ معين حين يتحدثون، «باسمهم»، عن أنفُسهم ومن وحي تجربتِهم الخاصة، فإنّ من يتحدث، والذات التي يتحدث عنها، ليسا متطابقين أبداً، ولا يوجدان في نفس المكان تماماً.

وعليه فإنّ الهُويّة ليست خالية من الإشكاليات كما يظن بعضُهم، وعلى مر التاريخ لم تكن الهُويّة الثقافية لشعب ما منجزة، بل هي نتاج تحولات وتمثلات وتفاعلات معقدة، وهذا ينطبق على حال سوريا، التي بقيت على مر الأزمنة أرضَ استقبال لأقوام متنوعين وهُويّات متضاربة، لكنها وفّقت بينها ونشأت من تداخل الجماعات الثقافية شبكة معقدة من التأثيرات المتبادلة، وعلى هذا الأساس يمكن تجاوز النظرة التفاعلية للهوية الثقافية كمفهوم ثابت ومتجانس، فبدلاً من ذلك، تُعدُّ الهُويّة نتاجاً للتفاعل بين الهُويّات، حيث يُمثل التواصلُ القوةَ الدافعة.

تستقر نفسي، وأجدني متصالحاً مع ذاتي، كلما مشيتُ في المدن السورية القديمة، يعود بي ذلك إلى تعاقب الحضارات على سوريا الطبيعية، التي توحدت للمرة الأولى خلال حكم سلوقس الأول (281-358) قبل الميلاد، الذي اختار أنطاكيا عاصمةً له، تلك المدينة التي شهدت بعد نحو 300 عام تأسيس أول كنيسة في تاريخ المسيحية على يد الرسولين بطرس وبولص، حينما غادرا دمشق، في طريق التبشير بالمسيحية.

تجولتُ في رحلتي الأخيرة لدمشق في المدينة القديمة، وذاتَ يوم كان الطقس بارداً، فاسترحت داخل المسجد الأموي، متأملاً هذا الصرح الذي يَشُدُّ العالمَ نحو هذه المدينة التي وصفها الباحث الفرنسي جان بيير فوليو بالمرآة التي ترى فيها أوروبا تاريخَها، فهي التي أهدتها الديانةَ المسيحية، ومنذ ذلك التاريخ كانت أرضَ استقبال وصراع وحوار هُويّات عرقية ودينية مختلفة.

مر عليها الرومان والصليبيون والمغولُ والمماليك والأتراك، ومنها انطلق الإسلام في رحلته الأولى خارج العالم العربي في عهد الدولة الأموية، التي عُمّرت لمدة 84 عاماً (750-662 م)، لكنها تركت أثرها الثقافي حتى اليوم.

أنا فلان الفلاني وُلدت في دمشق، عائلتي مسلمة، جيراني مسيحيون، في المدرسة زملائي متنوعون، الحيُّ الذي نسكنه قريبٌ من ساحة المرجة، الموجودة قربَ المسجد الأموي، الذي بناه الخليفة الوليد بن عبد الملك على أنقاض كنيسة كانت من قبلُ معبداً، واحتفظ بداخله بقبر يوحنا المعمدان، وهو النبي يحيى بن زكريا لدى المسلمين، وعلى جانبي المسجد هناك معبد جوبيتر الذي بناه الرومان، لتستطيع دمشق بذلك أن تكون مفتاح هُويّة سورية فهي التي هضمت التنوعَ السوري الإثني والطائفي.

ومن هذا المنطلق، تقع على عاتق الدولة السورية الجديدة ووزارة الثقافة

مسؤولية حماية التنوع الثقافي وتعزيزه، واعتماد سياسات تُشجّع على إدماج جميع المواطنين ومشاركتهم، بما يضمن، بهذه الطريقة، تماسكَ المجتمع، وبهذا المعنى، يُمثّل التعدد الثقافي استجابة سياسية لواقع التنوع الثقافي.

وفي هذا الإطار يمكن لهُويّاتنا الثّقافيّة أن تعكس التجاربَ التاريخية المشتركة، والرموز الثقافيَة المتبادلة التي تمنحنا، كشعب واحد، أطراً مرجعية ومعنوية ثابتة لا تتغير، تتجاوز الانقسامات والتقلبات التي يشهدها تاريخنا.. هذه الوحدة، التي تتجاوز كل الاختلافات، هي جوهر الهُويّة والتجرِبة السورية.

منذ ولادة الكِيان السوري عام 1918 عاشت سوريا تحولاتٍ محورها الأساسي وعمودها الذي حمل البنيان الكبير عربي، إذ استقبلت الأمير الحجازي فيصل بن الحسين، وقبلته ملكاً عليها، وحينما قررت فرنسا طرده من دمشق، هبّت سوريا، وواجهت الجيش الفرنسي بألفي رجل كان يقودهم يوسف العظمة الذي استُشهد في ميسلون، ولم يكن لديها مشكلة مع تاج الدين الحسني المراكشي، والأمير عبد القادر الجزائري، والعراقي طه الهاشمي.

وبعد ذلك سارت للوحدة مع مصر، ورحبت بجمال عبد الناصر على نحو نافس مصر، وانخرطت في القضية الفلسطينية إلى حدٍّ صار فيه للاجئ الفلسطيني بُعدٌ سوري، يتشارك وجدانَه وانتماءَه الفلسطيني.

وهذا يعني أن الهُويّة الثقافية العربية كانت هي السائدةَ قبل تأسيس الكيان الجديد، ولم تكن بحاجة إليه كي يعلي من شأنها؛ لأنها قوية بذاتها وعناصرها المكوِّنة، والشعور بالانتماء إلى مجموعة محددة، كاللغة بوصفها أداةً أساسيةً للتواصل، وناقلاً للمعرفة الثقافية والقيم والرؤى، والتقاليد والعادات التي استمرت عَبر الأجيال في الطقوس والاحتفالات والممارسات اليومية.

لسنا مقطوعين من شجرة، لكنّ الهُويّة الثقافية السورية ليست جامدة؛ بل تطورت وتكيفت باستمرار مع خصوصيات السوريّين، وتفاعلهم مع ثقافات مختلفة، وبناء وتطوير وعي خاص بهُويّتهم، وتشكلها عبر مراحل مختلفة. فالهُويّة ليست شيئاً يمكن تحقيقُه، بل يُبنى خلالَ مدةٍ طويلةٍ من الزمن، وتتداخل فيه معَ اللغةِ، والتمثيلاتِ الثقافية، عَلاقاتُ القوةِ خلال سياقات تاريخيةٍ محددة، ومن

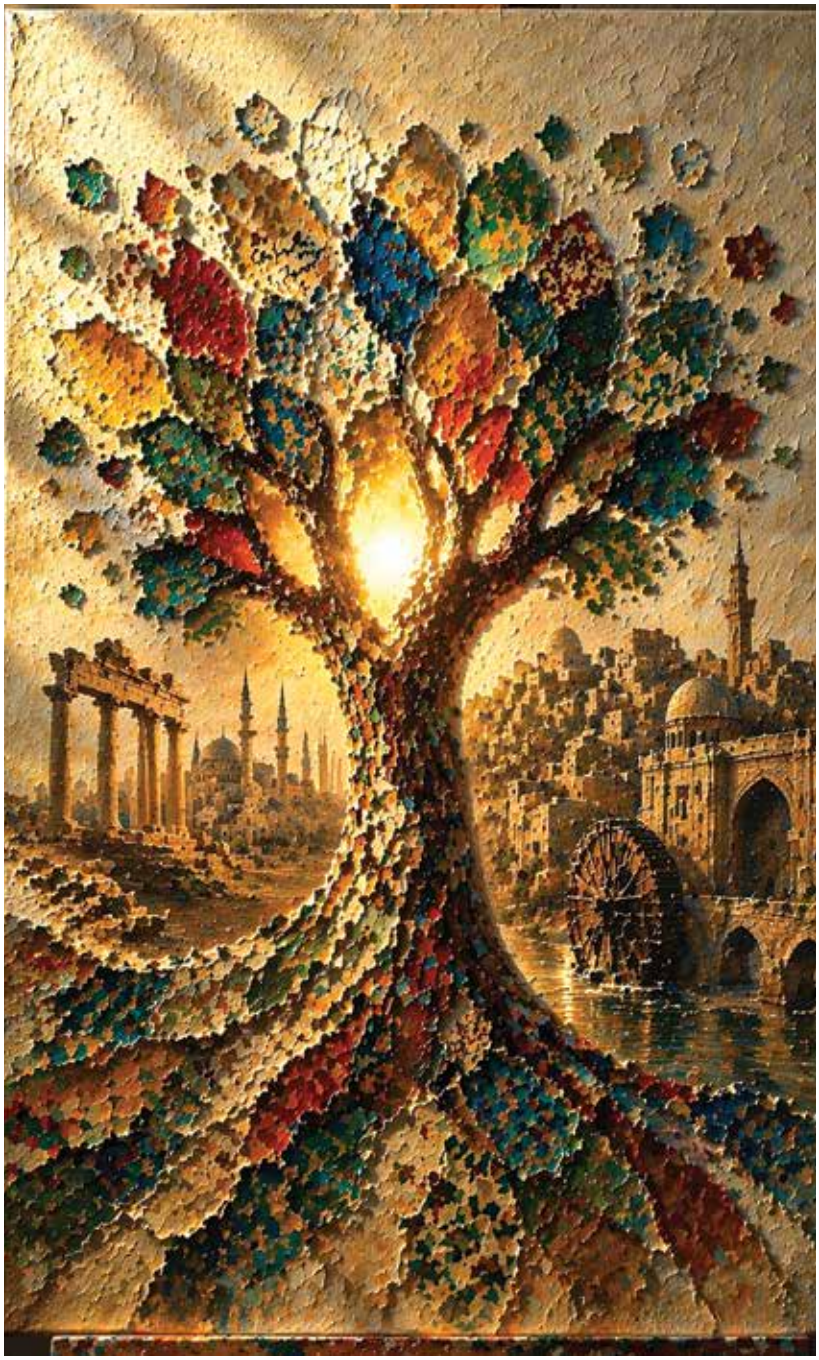

هذا المنظور لا بدَّ من اتباع نهج بنّاء لفهم الهُويّة الثقافية، مع تأكيد الطبيعة المرنة والمتعددة لأوجه الانتماء الثقافي من خلال تعزيز فهم أعمق وأكثر دقة للثقافة؛ لأنه غالباً ما يُنظر إلى مفهوم الثقافة على أنه مفهوم بسيط، حيث يعتقد الكثيرون أن لديهم فهماً واضحاً لما ينطوي عليه.

ومع ذلك، فإن الخطابات المحيطة بالثقافة والهُويّة الثقافيّة والتراث الثقافي غالباً ما تبقى غامضة وغير مدروسة، مما يؤدي إلى تفسيرات مبسطة جداً وربما ضارة، وتُقرّ الدراسات المعاصرة بالطبيعة المتغيرة والمتنازع عليها لهذه المفاهيم، متجاوزةً النظرة التي تُعامل الثقافة على أنّها كيان ثابت أو متجانس ونهائي، وهذا ما ينطبق على هويتنا الثقافية السورية التي كانت على الدوام، مسألةَ «صيرورة» بقدْر ما هي مسألة «وجود»، تنتمي إلى المستقبل، بقدْر ما تنتمي إلى الماضي.

إعادة الاعتبار للتاريخ المغيّب

تيسير خلف

«تبرز الحاجة الملحّة اليوم إلى إعادة الاعتبار لهذا التاريخ الثقافي المطموس، ويتطلب هذا جهداً منهجياً يبدأ بإعادة إدراج هذه الرموز والأسماء في المناهج التعليمية، في المدارس والجامعات».

مـن بين أبرز المعضلات التي خلّفها «النظام السوري» السابق، يأتي اختزال تاريخ سوريا وهُويّتها الثقافية ضمن إطار زمني ضيّق، يبدأ نظرياً مع وصول حزب البعث إلى السلطة، وعملياً منذ ما عُرف بـ«الحركة التصحيحية» عام 1970. هذا الاختزال أصبح عملية منهجية من التعتيم والتجهيل، نالت الوعيَ الجمعيَّ للسوريين، وأبعدتهم عن معرفة تاريخهم الثقافي العميق والغني الذي يمتد إلى ما قبل تأسيس الكيان السوري الحديث عام 1920.

هذا التعتيم أدى إلى تغييب أسماءٍ وشخصيات ثقافية كان لها دور محوري في تشكيل الهُويّة السورية.

ففي المسرح، وهو أبو الفنون، على سبيل المثال، يكاد يُختزل المشهد في أذهان كثيرين بأسماء معاصرة أو قريبة زمنياً، بينما يُتجاهَل رواد حقيقيّون أسسوا لهذا الفن منذ بداياته.

ويُعد أبو خليل القباني أحد أبرز هؤلاء، إذ وضع اللبِنات الأولى للمسرح العربي في دمشق منذ سبعينيات القرن التاسعَ عشر، وأسهم تأثيرُه في امتداد التجربة المسرحية إلى بلدان عربية أخرى، ومنهَا مصر، ومع ذلك، يُقدَّمُ من زاوية واحدة تتعلق باضطهاد المجتمع الدمشقي له، وبأن دمشق لم تحتمل إبداعه، وهي ذريعة خبيثة لشتم دمشق، علماً أن تأثير القباني ودوره وعبقريته تتجاوز هذا التفصيل الصغير في سيرته.

وثمةَ أسماءٌ أخرى في المسرح أسهمت في بقاء هذا الفن وتطوره في سورية بعد انتهاء الحكم العثماني، مثل عبد الوهاب أبو السعود وتوفيق العطري ووصفي المالح، ومن أتى بعدهم كأحمد أيوب وعبد اللطيف فتحي الذي لم نكن لنعرفَه لولا مشاركتُه في مسلسلات دريد لحام.

ولا يقتصر الأمر على المسرح، بل يمتد إلى مختلِف مجالات الإبداع الثقافي؛ ففي الأدب، على سبيل المِثال، تبدو الرواية السورية وكأنها نشأتْ مع عبد الكريم العلي، رغم وجود محاولات سورية مبكرة لكتابة الرواية سبقت كثيراً من التجارِب العربية المعروفة.

ويُعد نعمان قساطلي من أوائل من كتبوا الرواية العربية بمعناها الفنّي في سبعينيات القرن التاسع عشر، أي قبل 150 عاماً، ومع ذلك يبقى اسمه شبهَ غائب عن الذاكرة الثقافية العامة.

والأمر ينطبق على رموز أخرى، تشكيلية، وموسيقية، وفكرية من الذين أسهموا في تشكيل ملامح الثقافة السورية والعربية. نتيجة مباشرة لسياسات التهميش والتغييب التي مورست على مدى عقود، حتى إن جيلاً كاملاً وصل أبناؤه إلى الستين ظل يوصف بالشاب، لأن جيل البعث الذي وصل مع حافظ الأسد إلى المؤسسات الثقافية لم يكنْ ليتركَ منصبَه ومكتبَه، حتى يوسَّد في قبره.

لقد أدى ذلك إلى فِقدان السوريين التواصل مع تاريخهم، وإلى ضعف في إدراكهم لأبعاد هُويتهم ودورهم في المنطقة والعالم.. ومن هنا، تبرز الحاجة الملحّة اليوم إلى إعادة الاعتبار لهذا التاريخ الثقافي المطموس.

ويتطلب هذا جهداً منهجياً يبدأ بإعادة إدراج هذه الرموز والأسماء في المناهج التعليمية، في المدارس والجامعات، بحيث يتعرّف الطلاب على إرثهم الثقافي منذ مراحله المبكرة، كما يستدعي الأمر إحياء هذه الرموز في الحياة العامة، من خلال الفنون، والإعلام، والفعاليات الثقافية، لتصبح جزءاً من الوعي اليومي والذاكرة ا لجمعية .

وإن كان لكل دولة رموزها الثقافية التي تشكّل ملامح هُويّتها، وتمنحها حضوراً مميزاً في الوعي الإنساني؛ فإن سورية، بما تمتلكه من تاريخ إرث غني، تحتاج إلى استعادة هذا الثراء لإعادة اكتشافه، وتحريره من قيود التغييب، وترسيخه على أنّه جزء أساسي من الهُوّية الوطنية.

وزارة الثقافة
MINISTRY OF CULTURE

قلعة دمشق

موقع أثري تاريخي

فضاء حي
مجمع ثقافي تراثي في قلب
آقدم عاصمة مأهولة في التاريخ

صلة حضارية
جسر يربط بين المدينة القديمة
والمدينة الحديثة

فضاءات مفتوحة
تحتضن الفعاليات الثقافية
والأنشطة المجتمعية

إتاحة للجمهور
مساحة للتفاعل الثقافي والاجتماعي
وتعزيز حضور الثقافة في
الحياة اليومية

في حماية الهُويّة الثّقافيّة السوريّة وتعزيزها

د . عبد الحكيم بشار

«إن حماية هذا التراث الثقافي تعد ركيزة أساسية في بناء الهُويّة الوطنية، وهو مرآة تعكس روح المجتمع وذاكرته الجماعية».

تعدُّ الهُويّة الثقافية لأي مجتمع حصيلة تاريخية مركبة ومعقدة، تتشكل من خلال الظروف التاريخية التي يمر بها كل مجتمع، والتي قد تمر بدورات من العنف ومحاولات الصهر الثقافي، كما حصل في سوريا خلال حقبة النظام البائد، ودول ومجتمعات أخرى أنهت إنهاء شبه كامل تراث وثقافة السكان الأصليين، وحلت محلها ثقافات جديدة أو قائمة على الحوار الوطني بين ثقافات تلك المجتمعات.

وفي الحالة السورية، تبرز هذه الهُويّة بوصفها واحدة من أعرق الهويات في المنطقة، نظرا إلى ما شهدته البلاد من حضارات متعاقبة، تحمل كل منها إرثا ثقافيا مختلفا، تركت آثارها في مختلف المجالات ذات البعد الثقافي بدرجات متفاوتة.

إن الثورة السورية أظهرت بشكل واضح أن التنوع الثقافي في سوريا لا يزال حياً، بل متجذراً بعمق في حياة الفئات الاجتماعية المختلفة من المجتمع، ولم تنجح كل محاولات النظام البائد وما سبقته من أنظمة في إلغاء ثقافة المكونات السورية وصهرها، رغم كل الإستراتيجيات التي وضعتها تلك الأنظمة لقهر التنوع الثقافي في سوريا وبناء ثقافة واحدة شمولية قاهرة وفكر أحادي.

وقد تفاعلت الثورة السورية وأطراف المعارضة واقعياً وإيجابياً مع التنوع الثقافي في سوريا، وأقرت بوجوده، واعتبرته حقيقة يجب الإقرار بها واحترامها وتعزيزها، وعدته مصدراً للقوة والغنى للمجتمع السوري والدولة السورية.

والآن، وبعد نجاح الثورة السورية، فإن طرح سؤال الهُويّة الوطنية السورية بات ضرورة تستوجب الإجابة عنه بكل واقعية وجرأة.

إن حماية التراث الثقافي وصونَه في سوريا لمختلف الجماعات الإثنية والمكونات القومية والثقافية لا يعد ترفاً ثقافياً، بل هو حماية للمجتمع السوري من التشظي والانقسام، فالمكونات الثقافية السورية التي حافظت على لغتها وعاداتها وتقاليدها وفولكلورها وشعرها، رغم القهر والمنع ومحاولات الصهر، تؤكد أنها مجتمعات حية ومتجذرة في عمق المجتمع السوري المتعدّد الثقافات.

إن حماية وتعزيز التراث الثقافي للمكونات السورية لا يعني البتة الحفاظ على ذكريات من الماضي ومحاولة إحيائها، بل هو حماية للمجتمعات الثقافية الحية المتنوعة، وصون للتنوع السوري الذي يعبر عن نفسه بوضوح.. إن حماية هذا التراث الثقافي تعد ركيزة أساسية في بناء الهُويّة الوطنية، وهو مرآة تعكس روح المجتمع وذاكرته الجماعية، من أغان شعبية وعادات وتقاليد اجتماعية وشعر وفن وموسيقى، وكل مفردات التكوين الثقافي، فإنّ ذلك يسهم في تثبيت وتعزيز شعور الانتماء لدى الأفراد، ويمنحهم إحساسا بالاستمرارية، ويعزز من قيم الوطنية لديهم.

ومن هنا، فإنّ أيَّ جهد يبذل في الحفاظ على التراث الثقافي للمجتمعات السورية وإحيائه هو في جوهره عمل وطني يهدف إلى تعزيز الهُويّة الجامعة.

غير أن مسألة الهُويّة في سوريا اليوم لا تقتصر على الحماية فحسب، بل تمتد إلى إعادة البناء، فسنوات الاستبداد الطويلة أثرت سلباً في النسيج الاجتماعي والرمزي في سوريا.

ومن هنا يبرز السؤال الجوهري والتحدي الأصعب:

هل يمكن استرداد ما سعت الأنظمة السابقة إلى طمسه، أم أن الهُويّة السورية باتت في طور التشكل من جديد؟

في الواقع، لا يمكن النظر إلى الهُويّة بوصفها كياناً جامداً، بل هي عملية ديناميكية تراكمية تتأثر بالظروف التاريخية التي تمر بها البلاد.

إننا اليوم في سوريا أمام مرحلة

جديدة يبنى عليها المستقبل لأجيال قادمة، مرحلة تتطلب العمل على مسارات عدة، منها:

العمل المنظم والجاد لاسترداد ما أمكن من التراث الثقافي للمجتمعات السورية.

العمل على إحياء التراث الثقافي للمجتمعات السورية المختلفة، والانتقال من مرحلة الشفاهية إلى تدوين تلك الثقافات.

إعادة صياغة تلك الثقافات بما يحافظ على هُويّتها ويعزز شعور أفرادها وانتماءَهم الوطني، وبما يعزز الحوار المجتمعي القائم على التنوع والتكامل.

في هذا السياق، تبرز أهمية السلطة السياسية في البلاد وموقفها من التنوع الثقافي السوري، فلا يمكن الحديث عن تعزيز الهُويّة الوطنية القائمة على التنوع والتكامل دون سلطة وطنية.

وقد جاء المرسوم 13 الذي أصدره السيد الرئيس أحمد الشرع ليدشن مرحلة جديدة في تاريخ سوريا، ليس على الصعيد السِّياسي فحسب، بل الثقافي أيضاً، حينما أقر المرسوم باللغة الكردية لغةً وطنية، وبالثقافة الكردية أيضاً، وعيدها القومي النوروز عيدا وطنياً.

وبعد ذلك يأتي دور المؤسسات الثقافية والتعليمية والإعلامية في توجيه هذا المسار.

فالمناهج الدراسية تؤدي دوراً محورياً في ترسيخ قيم التعددية والانتماء، من خلال تقديم صورة متوازنة عن تاريخ البلاد ومكوناتها المختلفة، كما أن الإنتاج الثقافي، بمختلف عناصره ومكوناته، قادر على طرح أسئلة الهُويّة بعمق، وإعادة قراءتها من زوايا مختلفة، بما يسهم في تعزيز وتنمية وتطوير التراث الثقافي، وإخضاعه للتقييم والنقد، بما يسهم في خلق ديناميكية فعالة ووعي نقدي لدى الأجيال الجديدة.

وهنا لا بد من التأكيد مرة أخرى أن العهد الجديد في سوريا يبدو أنه ليس مصمماً على فسح المجال للهُويات الثقافية في سوريا للتعبير عن نفسها بكل حرية فحسب، بل أيضاً على حمايتها ورعايتها وتطويرها إلى أبعد مدى.

ففي لقائنا، نحنُ الوفدَ الكرديَّ، بالسيد وزير الثقافة، وكنت ضمن الوفد، طلبنا من السيد الوزير فتح مجمع اللغة الكردية ومنح ترخيص لمجلة هوار الكردية، فتفاعل مع طرحنا إيجابياً، ووعد بالعمل على تلبيته مع الجهات المعنية.

كما أن المطلوب من المكونات المجتمعية والثقافية المختلفة في سوريا القيام بدورها في العهد الوطني الجديد من خلال الأنشطة الثقافية المشتركة،

لأن إعادة بناء الهُويّة تتطلب تعزيز الروابط بين مكونات المجتمع السوري، والاعتراف بالتنوع بوصفه مصدر غنى لا عامل انقسام، فالهوية الوطنية لا تبنى على الإقصاء، بل على التفاعل والتكامل.

إن طرح الهُويّة على أنَّها سؤال مفتوح، كما هو الحال اليوم في سوريا، لا ينبغي أن ينظر إليه بوصفه أزمة فحسب، بل بوصفهِ فرصةً أيضاً، فإعادة التفكير في الهُويّة تتيح إمكانية تجاوز الصور النمطية، وبناء رؤية أكثر شمولا ومرونة.. إنها دعوة للانتقال من مفهوم الهُويّة المغلقة إلى هُويّة منفتحة، قادرة على استيعاب التحولات دون أن تفقد جذورها.

في الختام، يمكن القول: إن الهُويّة السورية عموما مرت بمرحلتين؛ الأولى: في عهد الاستبداد، حيث كان يُنظر إلى التنوع على أنه ضعف وخطر على السلطة، لذلك مورست كل أشكال الإقصاء والقهر. والثانية: في العهد الوطني، حيث تبدو البداية واعدة، إذ ينظر إلى التنوع على أنه حقيقة واقعة ومصدر قوة لسوريا.

تقف الثقافة السورية اليوم عند مفترق طرق بين الماضي والمستقبل؛ فصون التراث يمثّل أساساً لا غنى عنه، لكنه لا يكفي وحده؛ إذ لا بد من مشروع ثقافي متكامل يجمع بين الحماية والإبداع، وبين الاسترداد والتجديد.. وبهذا فقط يمكن للهوية السورية أن تستعيد قوتها وجمالها وغناها.

على أبواب سؤال الهُويّة

أحمد مظهر سعدو

في وقت تشهد فيه سوريا تغيرات سياسية وثقافية وحضارية كبرى وعلى جميع الصُّعُد، وينهض السوريون باقتدار وإدراك ووعي على أنقاض ووقع حقب وفترات زمنية طويلة كانت قد أثقلتها حالات كثيرة من سياسات عقود الاستبداد والقمع، وإلغاء السياسة من المجتمع السوري، وكذلك تغيير الملمح الثقافي والحضاري للوطن السوري.

ضمن هذه السياقات وعلى هدي العديد من الاندفاعات والمعطيات كان لا بدَّ من التفكير ملياً وعقلانياً في إمكانية الاشتغال على صياغة جديدة للهُويّة الثقافية والحضارية للسوريين، ثمّ الغوص عميقًا في منحنيات التغيير المنشود والمحتمل، والممكن كذلك، إذ إنه لا يمكن المضي قدماً في مسارات التغيير، والولوج فيها وعبرها، دون امتلاك أدوات هُويّة ثقافية جديدة لسوريا التي لا بدّ هذه المرة أن تتسم بالنضج والوعي المطابق، والتي سوف تعبر عن جموع الشعب السوري بكل تموضعات وحالات الإثنيات والطوائف وكذلك الأيديولوجيات المتوفرة بكثرة في الحالة السورية بشموليتها كذلك.

لعلَّ من المنطقي أن نقول اليوم إنه لا يمكن الخوض في هذه المسألة الحساسة دون الاعتماد على اشتغالات جمة وواعية ومدركة لما تفعل، عبر الاهتمام والإسهام أولاً وقبل كل شيء في حماية وصون التراث الثقافي الواسع والعميق، الذي كانت قد بنته ثم ورثته لنا أجيال سوريّة سبقتنا من نماذج نخبوية وعميقة في تفكيرها من السوريين الوطنيين المنتمين إلى عروبتهم وإسلامهم الحضاري السمح والمعتدل، والمتطلع دائماً نحو ازدهار معرفي طال انتظاره، بعد أن جرت مياه كثيرة تحت الجسر (كما يقال)، وبعد أن نالَ السوريين كثيرٌ من حالات الحيف والمعوقات، وعمليات التشويه التي لم تترك حجراً ولا إرثاً معرفياً أو ثقافياً إلا وأسهمت (بكل أسف) في سرقته أو تشويهه، وتغييبه في كثير من الأحيان والحالات.

إن عملية بناء الهُويّة الثقافية الجديدة للسوريين في هذه اللحظة الزمنية المتغيرة من تاريخ سورية وحاضرها، تنبع بداية من ضرورتها أولاً لعملية البناء المزمعة، وكذلك من أجل العمل على توحيد كل السوريين، وصولاً عملياً إلى إمكانية واقعية لا بدَّ منها في صياغة وبناء ذاك العقد الاجتماعي السوري الواحد والموحد، والقادر على تجاوز كل حالات التشظي والتفتت والتذرر ما قبل الوطنية التي حاول بعضُهم الاتكاء عليها، حتى لا يكون هناك أي وحدة أو قوة أو أي تماسك جِدي للسوريين.

العقد الاجتماعيَ السوري الجامع والواحد بات ضرورة منجدلة كلياً مع حالات البناء والنهوض، وإعادة صياغة الهُويّة الوطنية السورية.. هذه الهُويّة التي لا يجب أن تتخطى كلياً الهُوَّيات الفرعية ما قبل الوطنية، بل عليها أن تستوعبها ثم تهضمها بحق، ضمن مسارات بنائها الوطني المشتغل عليه لهُويّتها الجديدة، وهي مسألة من الضرورة بمكان، وليس ذلك صعباً على طول المدى، عندما ندرك ونعي نحنُ السوريّين مآلات بناء الوطن وإيجابيات أن نبني هُويّة حضارية ثقافية لا تستثني أحداً ولا جماعة، ولا عرقاً ، بل تسهم في ردم الهوة بين بعض الجماعات منعاً لانشقاق شاقولي أكثر خطورة، ونعيد بناء العلاقات المجتمعية والسياسية على أسس موضوعية واعية وعاقلة تدخل جوّانية المعطى الحضاري وأيضاً المصلحة الوطنية للجميع.

ضمن مسارات الاسترداد والبناء تكمن مسألة غاية في العقلانية لا بدَّ من التوقف عندها ومعها، وهي أهمية التزاوج المعرفي بين النقل والعقل وضرورة الاستفادة من كل حالات الإرث الحضاري لكل أبناء الوطن السوري وجماعاتهِ وإثنياتهِ، حتى نتمكن

«العقد الاجتماعي السوري الجامع والواحد بات ضرورة منجدلة كلياً مع حالات البناء والنهوض، عندما ندرك ونعي نحن السوريين مآلات بناء الوطن وإيجابيات أن نبني هُويّة حضارية ثقافية لا تستثني أحداً ولا جماعة، ولا عرقاً».

من استيعاب مزدوج لكل الحالات، ثم الاعتراف عقلانيًا ووعيويا بكل الخصوصيات الوطنية، دون الابتعاد كثيراً عن احتمالات النزاع أو الشقاق التي كانت ومازالت من حيثيات الانتقال أي انتقال سَواءٌ كان سياسياً أو حضارياً ثقافياً أم اقتصادياً مجتمعياً أو أسروياً.

لذلك فإن الوعي المطابق وعدم القطيعة مع التراث السوري، الإثني أو العرقي، واستيعاب الكل المتكامل سوف يسهم عاجلاً أو آجلاً في إعادة بناء الهوية، ويعيد إنتاج الواقع السوري على هدي ومنهج علمي غير متشدد، وواعٍ لكل خصوصيات الواقع السوري.

الهُوِيّة الوطنية السورية الآن باتت سؤالاً مطروحاً بحق ولا يمكن القفز فوقه بل لا بد من العمل حثيثاً على إنجاز صياغتها المعرفية التي تدرك الماهيّة، ولا تتجاوز الضرورات وتغوص عميقاً في الأساسات البنيوية المعرفية، ولا تضع لنفسها أي تابوات، ولا تدخل في بوتقات شوفينية، بل تتجاوز كل ذلك، عبر سياقات وعيوية ترفض أن يُفرض عليها أي شيء من عل.

بل تدرك أن الحوارَ والحوار وحده الثقافي والمعرفي السياسي والاجتماعي، ودوام هذا الحوار، سينتج بالضرورة مع الوقت، ومع استمرار مسيرة الحوار، ما هو متقدم وما هو أفضل استوعبنا ذلك أم لم نستوعبه، وعينا ذلك أم لم نعِه، أدركنا ذلك أم لم ندركه.

الهُوِيّة اليوم هي السؤال المطروح الذي لابد من الاشتغال عليه، ضمن كل الابعاد التي تفترض التغيير، وإعادة الصياغة، والتوحد عليها، وطنياً وثقافياً، معرفياً وسياسياً، وقبل كل ذلك حضارياً وتراثياً.

فهل يمكن ذلك ضمن واقعنا المتغير آنيّاً؟ يمكن القول إن هذا هو الضرورة بذاتها، وهو من الصعوبة بمكان، لكنه ليس مستحيلاً، ومن يبدأ بكلمة فسينتهي في جملة كلمات، ثم عقدٍ معرفيٍّ حضاريٍّ جامعٍ لكل السوريين.

من أكون وما أكون تلك هي المسألة
تساؤلات شخصيّة إزاء الهويّة الثّقافيّة

ثائر الزعزوع

«الثورة، بما مثلته، كانت هُويّة ننتمي إليها، لكنها، اليوم، لن تكون كافيةً لتشكل حاملاً يضم حتى أولئك الذين لم يكونوا مؤيدين لها».

خلال حديث مع صديقة جزائرية/فرنسية، أحياناً، وفرنسية/جزائرية في أحيان أخرى، قالت حين سألتها عن أي الانتماءين أقرب إليها: «أنا عالقة في المنتصف، فلست فرنسية رغم أني وُلدتُ وتعلمت وأعمل هنا، ولست جزائرية، رغم أن أصولي وعائلتي كلّها تمكث هناك، والأهم ملامحي، التي تنبئ محدثي بما أكون قبل أن أنبسَ ببنت شفة، ولعلّ رحلة الطائرة التي تنقلني بين هنا وهناك، ذهاباً وإياباً، هي المكان الوحيد الذي يشبهني أكثر».

استوقفني كثيراً استخدامها لمصطلح «ما أكون»، وليس «من أكون»، فـ«من أكون» ذلك أنا، سيرتي الذاتية، بتفصيلاتها التي صنعتها بنفسي، أما «ما أكون»، فالأمر يبدو وكأنّه سؤال تعجيزي.

وأنت داخل جغرافيتك، التي تتقنها جيداً، قد لا يخطر في بالك أن تطرح على نفسك هذا السؤال، ولكن ما إن تغادرها، حتى ترى الآخرين يطرحونه، «سوري»!! ماذا يعني ذلك؟

تبدأ على الفور في تجميع قصاصات من التاريخ والجغرافيا، والأدب والفنّ، فتستحضر أوغاريت، وماري، وإيبلا، وتدمر، ونهر الفرات وقاسيون والجامع الأموي.. صباح فخري، ونزار قباني، ومحمد الفراتي، لعلك ترسِم صورة متكاملة لهُويتك، لكنها تظل مبهمة بالنسبة إلى الآخر.. ما أنا حقاً، وما أكون؟

خلال سنوات الثورة، طُرحت فكرة الهُويّة كثيراً، نوقشت، ولأول مرة بصوت مرتفع، فبدا الجميع مختلفين فيها، لكنّ الثورة شكلت هُويّة بديلة أو مؤقتة بالنسبة إلينا جميعاً، فكنا فعلاً نستخدم مصطلحات مثل «أهل الثورة»، ولم نكن في حاجة إلى كثير تفصيل فيما يخص هُويّتنا، فالثورة، بما مثلته، كانت هُويّة ننتمي إليها. لكنّها، اليوم، لن تكون كافيةً لتمثّل حاملاً يضم حتى أولئك الذين لم يكونوا مؤيدين لها، ولعل العودة للبحث عن هُويّة وطنية جامعة تضم السوريين كلهم، بتنوعهم الذي لطالما اعتبرناه مصدر اعتزاز.

لكنْ تبين لنا، أنه مصدر هشاشة، هي بمنزلة البحث عن طوق نجاة، لوطن تمزق، بما فيه الكفاية، طولاً وعرضاً، وجرى العبث بهُويته، لا من الغزاة فحسب، بل حتى من قبل بعض أبنائه.

سئل المسرحي والشاعر الفرنسي جان كوكتو عما تعنيه فرنسيته، فقال: «فرنسا بالنسبة إليّ اللغةُ والخبز الفرنسي».. حسناً فما الذي تمثله سوريا بالنسبة إليَّ، بعيداً عن الحالة العاطفية التي سوف تقودني -لا محالة- إلى استعادة مزق من الذاكرة، قد تمثّل لوحة متكاملة، هل هي لغتنا، أم طبق طعام يجمعنا؟ وأيّ لغة سنختار لتكون لغة لنا جميعاً، وما طبق الطعام الذي سنجتمع عليه، لنقول هذا هُويتنا؟

من الواضح أن الحالة السورية مختلفة كلياً عما هو عليه في دول أخرى، فقد استُلبت الهُويّة الوطنية عقوداً، وألحقت بها أو ألحقت بهُويات ثانوية، فلم يكن كافياً أن تكون سوريّاً، هكذا بتجرد، بل كان عليك أن تستطرد، وربما لهذا السبب تحديداً بحث سوريون في ثنايا التاريخ عما يعبر عنهم، فاختاروا أن يكونوا «الأمويين الجدد» لكنَّ هذا الاختيار لم يعجب كثيرين، وشيئاً فشيئاً بدأ ينسحب هذا الانتماء العارض من المشهد، وعاد السؤال ليُطرح من جديد: ما محددات هُويّتنا؟، وهل يمكن صناعة تلك الهُويّة صناعة؟

يقال: إنه يمكنك التعرف على الخليجيين من زيهم، الذي يفتخرون به، ويرتديه الملوك والأمراء، كما يرتديه عامة الشعب، ويمكنك أن تتعرف على العراقيين من خلال الشجَن الذي يسكن أغانيهم، وكلّما وقعت عيناك على مطعم بيتزا في أي مكان في العالم، فهذا يحيلك على إيطاليا، ويمكنك الاستطراد

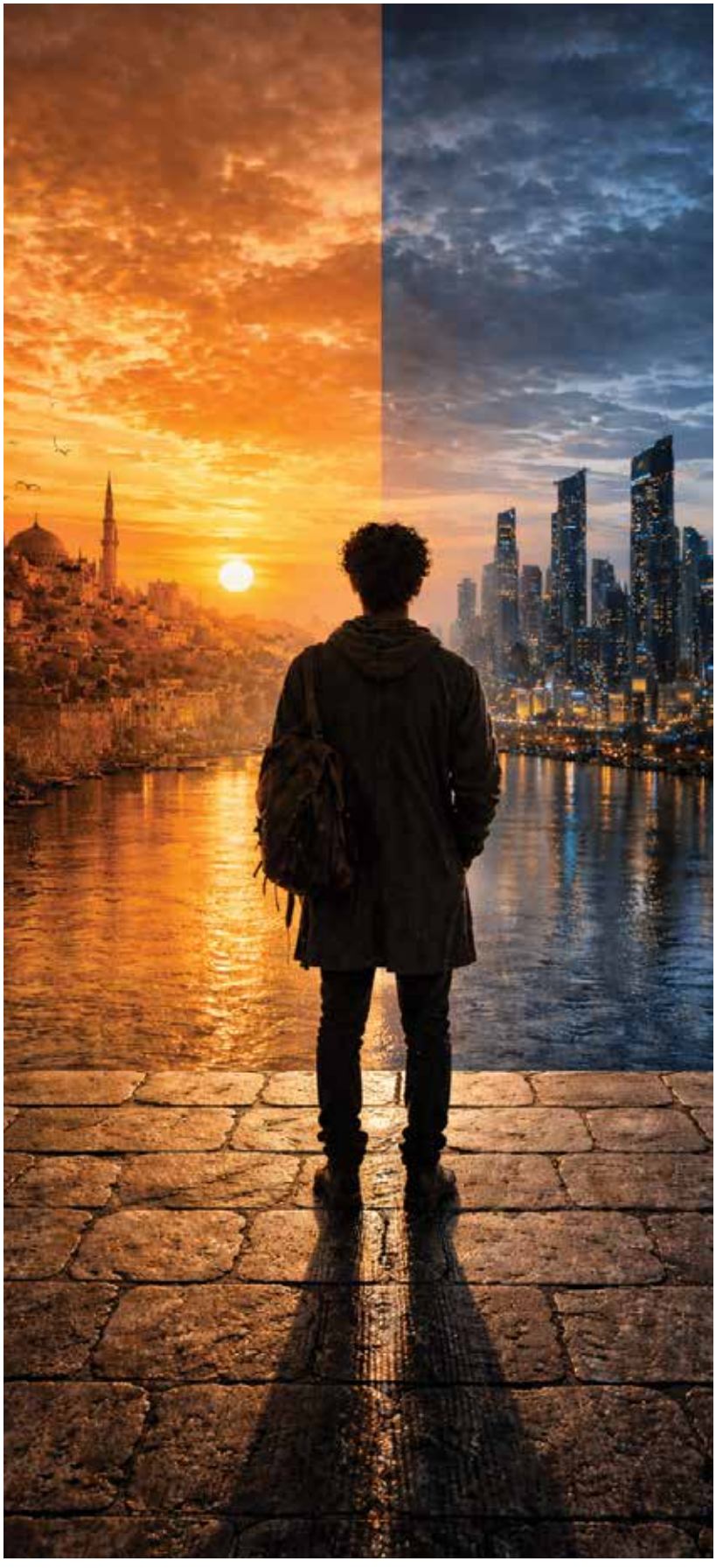

فـي ذكر مـا يميـز شـعوباً كثيـرة أخرى، مـن أغان، وأزياء، ورقَصات شـعبية، بل إن تسـريحة شعر معينة، سـوف تحيلك فوراً على جامايـكا، الجزيـرة الكاريبيـة البعيدة.

وللأسـف، فقـد سـبقنا اللبنانيـون إلى المنافـي فحملـوا مطبخهم، وهـو مطبخنا نفسـه، حيثما حلّـوا، وربما لـم نعد قادرين على اسـتعادته، بعـد أن تشـكل لـدى الغربييـن اعتقاد أن «الفلافـل» هو طعام لبنانـي، بـل إن المطاعـم السـورية التـي افتُتحـت فـي غير مدينـة أوروبيـة، كانت تتعكـز على التسـميات اللبنانيـة نفسـها، وتفضـل المطربةُ السـورية الأكثرُ شـهرة فـي الوقـت الحالـي، أن تغنـيَ أغانيهـا باللهجـة المصرية.

وبمقـدار مـا تبـدو هـذه التفاصيـل بسـيطة وعابـرة، فإنّهـا حقيقيـة، فالهُويّة الوطنيـة، كمـا أراهـا، هـي أمـر ليـس معقـداً، ولا يلزمهـا كثيـرٌ مـن الشـعارات ولا الخطابـات، وليسـت فـي حاجـة إلى كثيـر مـن المحاضـرات والنـدوات، فهـي ذلـك الشـيء البسـيط الـذي يجمعنـا، دون تعقيـدات، ويجعلنـا ننتمـي إلى تلك الجغرافيـا، فـي ظل هـذا الازدحـام الهائل من اللهجـات، واللغـات، والطوائف. حينها سـتكون الإجابـة عن سـؤال: «مـا أنت»، متاحـة لـكل من يَعـدُّ نفسـه سـوريّاً.

«الهُويّـة الوطنيـة، كمـا أراهـا، هـي أمـر ليـس معقـداً، ولا يلزمهـا كثيـر مـن الشـعارات ولا الخطابـات، وليسـت فـي حاجـة إلى كثيـر مـن المحاضـرات والنـدوات، فهـي ذلـك الشـيء البسـيط الـذي يجمعنـا».

الهُويّة الثّقافيّة السوريّة
إصلاح الضرر وتحديد المسؤوليّات

إسلام أبو شكير

«الثقافة تعرّضت منذ انقلاب حافظ الأسد عام 1970، بما يمثّله شخصاً، ثمّ عسكريّاً، ثمّ صاحبَ مشروعٍ طائفيّ، لعمليّة تشويه ممنهجة».

تتمثّل المعضلة الأبرز التي تواجه أيّ نقاش بشأن مفهوم الهُويّة السوريّة في غياب صياغة واضحة ومحدّدة لملامحها، بما يجعلها صالحة لأن تكون أرضيّة صُلبة يمكن الانطلاق منها. وهذا الغياب لا يعني، بحال من الأحوال، انعدام الهُويّة بذاتها، بقدر ما يعكس تعثّر المشروعات الجادّة والحرّة والموضوعيّة في تشخيصها، وطرحها للنقاش العامّ.

ويعود هذا التعثّر إلى عوامل مختلفة أظنّ أنّ أبرزها مرتبط بهيمنة السلطة (وهي هنا: الأسديّة) على مدى عقود طويلة على الحياة العامّة، وسعيها إلى فرض تصوّرات مريضة عن الهُويّة، وتعطيل كلّ المبادرات الرامية إلى تعريفها بناء على معطيات واقعيّة متجذّرة، لا على مجرّد أوهام أو تطلّعات مرتبطة بشخص أو فئة أو طائفة، ممّا عاناه المجتمع السوريّ فعلاً، وكان وراء تأخّر وعيه بذاته.

وتدخل ضمن إطار الهيمنةِ القيودُ التي وضعتها الأسديّة على المؤسّسات المعنيّة قبل سواها في التعاطي مع مثل هذه المعضلات، ومنها: الجامعات، ومراكز البحوث، والأحزاب، والصّحافة، وسواها. حيث مُنعت تماماً من ممارسة أيّ دور في هذا المجال، ودُجّنت لتكون أداة تنفيذيّة لتمرير مشروعات السلطة ذاتها.

هذا الأداء الكارثيّ للسلطة يجد نموذجه الأوضح في المجال الثقافي، فالثقافة تعرّضت منذ انقلاب حافظ الأسد عام 1970، بما يمثّله شخصاً، ثمّ عسكريّاً، ثمّ صاحبَ مشروعٍ طائفيّ، لعمليّة تشويه ممنهجة، نقلتها بمرور الوقت من حالة كانت تحيا فيها بالتعدّد والانفتاح، إلى حالة مغلقة يحكمها صوت واحد يقدّم نفسه على أنّه الممثّل الحصريّ لها، وما عداه ابتذال، أو شذوذ، أو عمالة، أو تخلّف.

لقد بدأ مشروع تخريب الهُويّة الثقافيّة السوريّة بعمليّات تغييب متدرّجة لروّاد الحَراك الثقافيّ السوريّ في مختلف المجالات، فطُمست أسماءٌ مهمّة في الشعر على سبيل المثال، مثل: خليل مردم بيك، وشفيق جبري، وخير الدين الزركلي، وبدوي الجبل، وغيرهم ممّن مثّلوا وجدان الدولة السوريّة في مرحلة التكوين.

أمّا الاستثناءات التي نجت من هذا التعتيم الممنهج، كحالة نزار قبّاني مثالاً، فكانت في الغالب نتيجة خروجهم المبكّر من الفضاء السوريّ المحاصر، ما منحهم حصانة عالميّة عجزت السلطة عن كسرها.

هذا التغييب لم يكن فراغاً، حيث أحلّت السلطة محلّ المغيّبين نخبةً مصطنعةً عبر عمليّات تصعيد مريبة لأسماء تنتمي في معظمها إلى بيئات اجتماعيّةٍ وثقافيّةٍ وطائفيّة وحزبيّة رأت السلطة أنّ بروزها يخدم مشروعها الخاصّ. ومع أنّ كثيراً من هذه الأسماء يستحقّ التصعيد فعلاً، لامتلاكه الإمكانات الإبداعيّة الكبيرة، فإنّ ما يسترعي الانتباه هو أنّ عمليّة التصعيد لم تكن نتاجَ أجواء تنافسيّة، بل نتيجة اعتبارات أخرى هُمّشت بموجبها أسماءٌ لا تقلّ أهميةً وقدرة على الإضافة، وينسحب ذلك على الرواية والقصّة والصحافة وسواها من حقول الإبداع الأدبي.

وفي الفنّ كانت الممارسات أوضح وأكثر فجاجة؛ فالتمثيل على سبيل المثال نشأ أساساً على أيدي فنّانين ينتمون إلى المدن الكبرى مثل دمشق وحلب، فهم الذين وضعوا اللبنات الأولى للمسرح والتلفزيون والسينما. غير أنّ الأسدية قلبت الوضع كلّيّاً مع إحكام قبضتها على الإنتاج، وبعده أو بالتوازي معه على المعهد العالي للفنون المسرحيّة، إذ تحوّلت هذه المؤسّسة الأكاديميّة إلى أداة لفرز المبدعين، وإعطاء الأولويّة لمتقدّمين من طوائف وبيئات معيّنة، ليُصدَّروا لاحقاً على أنهم واجهاتٌ للفنّ السوري، ممّا أدّى إلى تهميش الكفاءات

القادمة من البيئات السوريّة الأخرى، والتصاق هذا الفنّ في تصوّرات الناس عنه ببيئة دون غيرها.

حتّى الموسيقى لم تنج من هذا العبث، ففي حين جرى الاشتغال في التلحين والغناء على مواهب موسيقيّة قادمة من المناطق التي تهمّ السلطة، كان ثمّة إهمال مستفزّ للمواهب في مناطق أخرى، بل اعتُبرت موسيقى تلك المناطق كالفرات والبادية وحوران ومجتمعات الكرد شكلاً بدائيّاً خالياً من أيّ قيمة فنّيّة.

موقف استعلائيّ عانتْه مناطق الأطراف خصوصاً، لا في الموسيقى وحسب، بل في مجمل التجلّيات الثقافيّة الشعبيّة، فاللهجات الريفيّة، والأزياء التقليديّة، وعادات الطعام، والرقصات، قُدّمت إلى الجمهور على أنّها مادة للسخرية والتنـدّر.

وما من شكّ في أنّ هذا التنميط ليس عفويّاً، بل كانت خلفه نيّة مبيّتة لعزل هذه المجتمعات معنويّاً، وجعل المنتمين إليها يشعرون بالخجل من هُويّتهم المحلّيّة، ما يدفعهم لمحاكاة النموذج المعتمد للارتقاء اجتماعيّاً.

حتّى التاريخ لم يسلم من هذا العبث، فالعين لا تخطئ في تقدير حجم الاهتمام بالحضارات التي قامت على الساحل السوريّ، وتصديرها لتكون عنواناً وحيداً للهُويّة السوريّة، مقابل سياسة تقزيم، أو على الأقلّ تغييب، لدور الحضارات الأخرى التي احتضنها وادي الفرات على سبيل المثال (ماري، ودورا أوروبوس وسواها)، وشَمال سوريا في حلب وإدلب (إيبلا، والمدن المنسيّة)، إضافة إلى تعامل بارد مع الإرث الرومانيّ وحضارة الأنباط في الجنوب السوريّ.

وتبقى الجريمة الأفظع والأكثر بشاعة هي تلك المرتكبة بحقّ الكرد، الذين حُرموا من أبسط حقوقهم: محاربة اللغة الكرديّة، ومنع الأنشطة الفنّيّة، والتضييق على الاحتفالات القوميّة، ومنع ارتداء الأزياء الخاصّة في المناسبات العامّة، وعدم الاعتراف بأدبٍ أو صِحافةٍ أو مسرحٍ أو أيّ نشاطٍ إبداعيّ كرديّ. وكان الهدف هو تذويبَ هذه الهُويّة العريقة في بوتقة العروبة البعثيّة، وتجريد الكرد السوريّين من حقّهم في التعبير عن خصوصيّتهم بوصفها جزءاً أصيلاً من النسيج السوريّ.

لقد لحق بالهُويّة الثقافيّة السوريّة ضرر عميق قد لا يستحيل إصلاحه، لكنّه يحتاج حتماً إلى عقود من العمل الدؤوب، وإلى شجاعة استثنائيّة في المكاشفة،

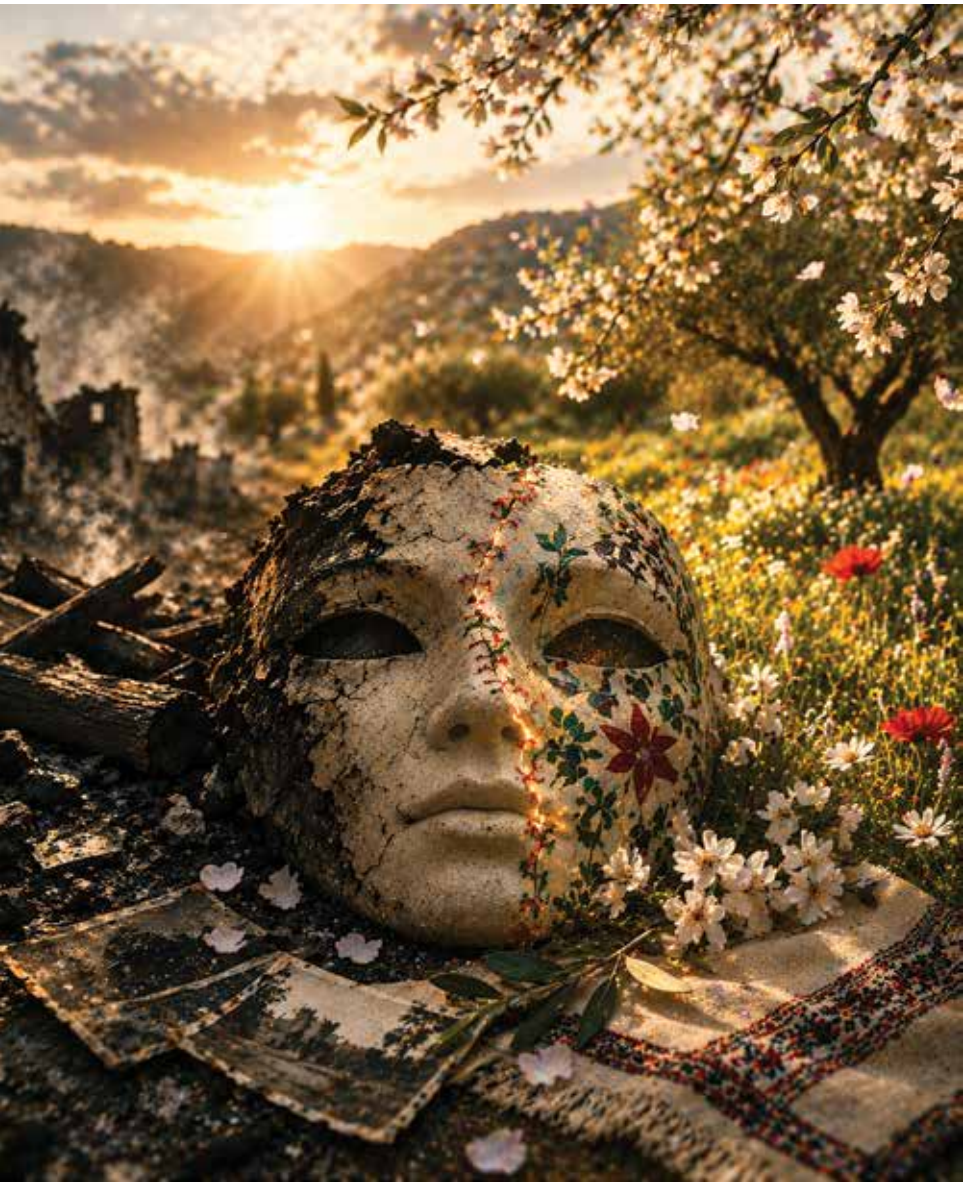

وهنا تتحدّد المسؤوليّات:

مسؤوليّة الدولة: في تعزيز مُناخات الحرّيّة، ودعم المؤسّسات البحثيّة ورفع القيود عنها، وتأهيل قطاعات التعليم والإعلام وإعادة تعريف دورها في الحياة العامّة، والتشجيع على كلّ ما من شأنه أن ينزع فتيل الألغام التي زرعتها الأسديّة بين مكوّنات المجتمع.

مسؤوليّة المؤسّسات المدنيّة والبحثيّة: في إعادة قراءة التاريخ والواقع السوريّ بعيون علميّة وموضوعيّة، وتفكيك الأوهام التي فُرضت على أنها مناهجُ تعليميّة، لصياغة سرديّة وطنيّة جامعة تحترم الحقائق، وتعطيها الأولويّة بعيداً عن أيّ ضغوط أو تحيّزات أيديولوجيّة.

مسؤوليّة المثقّف والمبدع: في التحرّر من الإرث الثقيل الذي تركته عقود الاستبداد، والاشتغال على نتاج ثقافيّ يستعيد الروّاد المغيّبين، ويرمّم الفجوات في التاريخ، ويحتفي بالتنوّع المحلّيّ (الكردي، والفراتي، والحوراني..) كأصالة وطنيّة لا كفلكلور هامشيّ، بعيداً عن القوالب الجاهزة، وأيّ تصورات نمطيّة مسبقة.

المجتمع السوريّ برُمّته: في توجيه النظر نحو المستقبل باعتباره غاية عليا، دون أن يعنيَ ذلك القطع مع الماضي، فالماضي جزء من الوجود مهما كان مؤلماً، ولكن هنالك فرق بين الماضي إذ يتحوّل إلى عقبة، وبينه عندما يكون درساً تمكنُ الاستفادةُ منه.

هل الأدب السوري «أدب أقليات» أو أدب هُويّة معلّقة؟

نحو قراءة طرح سؤال الهُويّة السورية في الثقافة

علي سفر

«الأدب السوري، منذ بداياته الحديثة، كان فضاءً متعدد المشارب، لا يمكن اختزاله في انتماء واحد».

في أوقات الاحتدام السياسي والاجتماعي، تميل الثقافة إلى إعادة إنتاج الانقسامات ذاتها التي تمزّق المجال العام، ويبدو أن الحقل الأدبي السوري ليس استثناءً من هذه القاعدة، فقد عادت إلى التداول، في السنوات الأخيرة، مقولة تقول إن الأدب السوري المعروف هو «أدب أقليات»، وإن الأسماء الأبرز التي شكّلت الحداثة الشعرية والسَّردية في سوريا تنتمي، في أصولها الاجتماعية أو الدينية أو القومية، إلى جماعات غير منتمية إلى الأكثرية. وتُقدَّم هذه المقولة أحياناً بوصفها ملاحظة سوسيولوجية، وأحياناً بوصفها تفسيراً لما يُسمّى «حساسية إبداعية مختلفة»، وأحياناً أخرى بوصفها نقداً لنخبة ثقافية يُقال إنها منفصلة عن المجتمع.

هذه المقولة، في صيغها المختلفة، لا تُفضي إلى فهم طبيعة الأدب السوري بقدر ما تعيد إنتاج الانقسامات التي يعيشها المجتمع، فهي تبتعد عن تحليل النصوص أو التحولات الجمالية، وتذهب بدلاً من ذلك نحو محاولة تفسير الإبداع عبر الانتماء الهُوياتي للكتّاب، حيث يتحوّل الأدب من فعل فردي وجمالي إلى انعكاس مباشر لأصل اجتماعي مفترض.

ومع هذا التحول، يصبح السؤال: ما انتماء من يكتب؟ بديلاً عن السؤال الأهم: كيف كُتب الأدب السوري؟ وفي أي سياق تشكّل؟ ولماذا اتخذ أشكالاً معينة دون غيرها؟

اختزال الأدب السوري في كونه «أدب أقليات» يقوم على افتراض ضمني مُفادُه أن الانتماء الاجتماعي يولّد حساسية جمالية محددة، وهذا الاستنتاج لا تدعمه القراءة النقدية ولا التاريخ الأدبي، فالتجريب السَّردي، والقلق الوجودي، واللغة الحداثية، ليست خصائص مرتبطة بجماعات بعينها، بل سمات تظهر في سياقات ثقافية وسياسية معقّدة.

وإذا كان عدد من الكتّاب البارزين ينتمون إلى خلفيات متنوعة، فإن ذلك لا يعني أن الإبداع نفسه نتاج هذا الانتماء؛ فالكاتب يكتب بوصفه فرداً يخوض تجربة جمالية ومعرفية وليس كونه ممثلاً لهُويّة جماعية، والربط المباشر بين الأصل الاجتماعي والاختيار الفني يعيدنا إلى مقولات جوهرانية* تتعامل مع الثقافة بوصفها امتداداً للهُويات المغلقة.

ثم إن هذه المقولة تتجاهل أن الأدب السوري، منذ بداياته الحديثة، كان فضاءً متعدد المشارب، لا يمكن اختزاله في انتماء واحد، فمنذ مرحلة النهضة المتأخرة، مروراً بالواقعية الاجتماعية، ثم الحداثة الشعرية والسَّردية، وصولاً إلى أدب المنفى، شارك في تشكيل المشهد كتّاب من خلفيات اجتماعية مختلفة، ولم يكن العامل الحاسم في حضورهم هو الانتماء الديني أو القومي، وإنما الموقع الثقافي والسياسي، وإمكانية النشر، والعلاقة بالمؤسسات، والتحولات العامة في المجتمع.

المشكلة الأعمق في مقولة «أدب الأقليات» أنها تنقل النقاش من مستوى الأدب إلى مستوى الهُويّة، فهي تتجاهل مضامين النصوص والأساليب، وتركز على أصول الكتّاب، والخلفيات، وبهذا تتحول الثقافة إلى مجال تصنيف اجتماعي.

وهذا التحول لا يعتم الأدب ولا يضيئه؛ لأنه يضع مسبقاً إطاراً تفسيرياً يجعل كل تجربة إبداعية قابلة للاختزال في هُويّة صاحبها. فإذا كتب كاتب عن القلق الوجودي، عُزي ذلك إلى موقعه الاجتماعي، وإذا لجأ إلى التجريب، فُسّر ذلك بوصفه تعبيراً عن «هامشية» مفترضة. وهكذا تصبح الهُويّة سبباً جاهزاً لكل شيء.

هذا النوع من القراءة لا يختلف كثيراً، في جوهره، عن القراءات الأيديولوجية القديمة التي كانت تفسّر الأدب عبر الانتماء الطبقي أو السياسي، لكنه هنا يستبدل بالطبقة الطائفة، أو الهُويّة

الثقافيـة، والنتيجـة واحـدة: تحويل الأدب إلى انعـكاس مباشـر لبنيـة اجتماعية. غير أن التجربـة الأدبيـة أكثر تعقيـداً من ذلك، فهـي نتـاج تفاعـل بيـن اللغـة والتاريـخ والسياسـة والخيـال الفـردي، ولا يمكـن ردّهـا إلى عامـل واحد.

وإذا كان مـن الضـروري نقـد مقولـة «أدب الأقليـات»، فـإن الأهـم هـو فهـم السـياق الـذي جعلهـا تظهـر أصلاً، فهـذه المقولـة لم تولـد في فراغ، بـل في لحظة يشـعر فيهـا المجتمـع بانقسـام عميـق، ويبحث عن تفسـير ثقافي لـه. وفي الحالة السـورية، يمكـن القـول إن الجدل بشـأن «أدب الأقليـات» هـو انعـكاس لسـؤال أعمـق: سـؤال الهُويّة السـورية نفسـها.

فحيـن تكون الهُويّة الوطنية مسـتقرة، لا يُطـرح سـؤال من هـذا النـوع، أما حين تكـون الهُويّـة موضـع نـزاع، فـإن الثقافة تصبح سـاحة لإعـادة تعريفها.

مـن هـذه الزاويـة، يمكـن القـول إن المشـكلة تتركـز فـي أن الهُويّة السـورية نفسـها لم تتبلـور ثقافياً بوضـوح، فالأدب السـوري لـم ينتـج، حتـى الآن، سـردية وطنيـة جامعـة بالمعنـى الـذي يجعـل الانتمـاءات الجزئيـة تتراجـع إلى الخلفيـة.

وبـدلاً من ذلك، ظهـر أدب مدن، وأدب منفـى، وأدب هامـش، وأدب احتجـاج، وهـذه الظواهـر بقـدر مـا تعكـس تعدداً غنياً، نرى أنها تشـير أيضـاً إلى غياب إطار جامع.

يمكـن اختبـار هـذه الفرضيـة عبـر النظر إلى الأسـماء التي شـكّلت المشـهد الأدبي السـوري نفسه، فشـعر نزار قباني، وقصـص زكريا تامر، وروايـات عبد السلام العجيلـي، وأعمال وليـد إخلاصي، لا يمكن إدراجهـا ضمـن «أدب أكثري» بـأي معنى هُوياتـي.. هـذه الأسـماء أسسـت لجـزء مهـم من الحداثة الأدبية السـورية، وكانت مرتبطـة بمدنهـا وفضائهـا الاجتماعـي، لا بانتمـاء طائفـي مفتـرض، وهـي تجـارب مختلفة فـي اللغة والرؤيـة، لكنها تتقاطع فـي كونهـا تعبيراً عـن تحـولات المجتمع السـوري، لا عـن موقـع طائفـي داخله.

وفـي المقابـل، نجـد أن كتابـاً آخريـن مثـل حيدر حيـدر وهانـي الراهـب ومحمد الماغـوط ومسـرح سـعد اللـه ونـوس وممـدوح عـدوان كذلـك، قدّمـوا تجـارب مختلفـة جذريـاً فـي الشـكل والمضمون، مـن الواقعيـة السياسـية إلى السـخرية السـوداء إلى التجريـب السَّـردي، دون أن يكـون ثمة قاسـم جمالي واحـد يجمعهم سـوى اختلافهـم الفـردي.

ولـو صحّـت فرضيـة «الحساسـية الأقلويّـة» لـكان يفترض أن تتشـابه هذه

التجـارب، وهـو مـا لا يحـدث إطلاقـاً، فالتبايـن بينهـا أكبـر بكثير مـن أي رابط هُوياتـي مفتـرض.

بـل إن الحداثـة الشـعرية السـورية نفسـها، التي يُشـار إليهـا أحيانـاً بوصفها دليلاً على «حساسـية مختلفـة»، لا يمكن فهمهـا عبـر الانتمـاء الإجتماعـي. تجربـة أدونيـس تختلـف جذريـاً عـن تجربـة نزار قبانـي، كمـا تختلـف عـن تجربـة محمـد الماغـوط، رغـم أنهـم جميعاً أسـهموا في تحديث القصيـدة العربيـة، والاختلاف هنا جمالـي وفكـري، لا هوياتي، وهـذا ما يدل على أن الإبـداع يتشـكل مـن داخـل اللغة والتجربـة الفرديـة، لا مـن داخـل بطاقـة الهُويّة.

هـذا التبايـن بيـن التجـارب يوضح أن تشـكل الأدب السـوري لـم يـأت وفـق خطـوط طائفيـة أو هوياتيـة، وإنمـا وفق مسـارات فكريـة وجماليـة متعـددة، بعضُها ارتبـط بالحداثة الشـعرية، وبعضها بالواقعيـة الاجتماعية، وبعضهـا بالتجريب السَّـردي، وبعضهـا بالمسـرح السياسـي، وهذه المسـارات كانت مفتوحـة لكل من يدخلهـا، وهو ما يجعـل التصنيف الهوياتي عاجـزاً عن تفسـيرها.

كمـا يظهـر هـذا التعـدد فـي علاقـة الأدب بالمـكان، فالأعمال التـي كُتبت عن دمشـق ليسـت شبيهة بتلك التـي كُتبت عن الجزيرة أو السـاحل أو حلـب، والمكان هنـا ليـس خلفيـة، بـل عنصـر مكـوّن للتجربـة، غيـر أن هـذه الأمكنـة لا تتحول دائمـاً إلى سـردية وطنيـة واحـدة، وتبقى أحيانـاً منفصلة، وهـذا الانفصال لا يعكس انقسـاماً طائفيـاً بقـدر ما يعكـس غياب

مخيـال وطنـي جامـع، فالمـدن السـورية تظهر فـي الأدب بوصفهـا عوالم مكتفية بذاتهـا، تحمـل ذاكرتهـا الخاصـة ولغتهـا الخاصة.

ويظهـر هـذا التـردد أيضـاً فـي علاقة الأدب بالجمهـور، فكثيـر مـن الأعمـال الحداثيـة السـورية وُصفـت بأنهـا نخبوية أو منفصلـة عـن المجتمـع، وقـد فُسّـر ذلـك أحياناً تفسـيراً طائفياً، لكـن السبب الأعمـق هـو أن الأدب كان يكتـب داخـل فضـاء اجتماعـي غيـر متماسـك، فاللغـة الحداثيـة التي ظهرت في الشـعر والرواية لم تجد دائمـاً جمهوراً واسـعاً؛ لأن المجال الثقافـي نفسـه كان محـدوداً، وهكـذا تحـوّل غياب الجمهـور إلى ذريعة لتفسـير الإبـداع بوصفـه «أقلّويـاً».

ويـزداد الأمر وضوحـاً إذا نظرنا إلى دور المؤسسـات الثقافيـة، فقـد أدّت الدولـة دوراً مركزيـاً فـي تشـكيل المشـهد، عبـر النشـر الرسـمي، والاتحـادات، والجوائـز، والرقابـة، وهـذا التدخـل أحـدث علاقـة معقـدة بيـن الكاتـب والمؤسسـة.

بعـض الكتّـاب اسـتفاد مـن هـذه المؤسسـات، وبعضهـم بقـي خارجهـا، وبعضهـم غـادر إلى المنفـى، ومـع هـذا التشتـت، لـم يعـد ممكنـاً الحديـث عـن مركـز ثقافي واحد، وبدلاً من ذلك، نشـأت مراكـز متعددة، لكل منهـا لغته وجمهوره.

في هـذا السـياق، يصبـح الحديث عن «أدب الأقليـات» تبسـيطاً مـخلّاً، فهـو يتجاهـل كل هـذه العوامـل، ويختزلهـا في انتمـاء اجتماعـي، والأدق أن يُنظر إلى الأدب السـوري بوصفه أدباً تشـكّل داخل دولـة مأزومـة الهُويّة.. دولة لـم تنجح في إنتـاج فضـاء ثقافـي جامـع، فبقـي الأدب موزعـاً بين تجـارب فردية، بعضهـا حداثي، وبعضهـا واقعـي، وبعضهـا سياسـي، وبعضهـا ذاتي، وهـذا التعـدد نتيجة غياب مركـز ثقافـي واضح.

مـن هنا يمكـن طرح الفرضيـة البديلة: الأدب السـوري ليـس «أدب أقليات»، بل أدب هُويّـة معلّقـة؛ أي أدب كُتـب فـي فضـاء لـم تُحسـم فيـه مسـألة الانتمـاء الوطنـي، وهـذا لا يعنـي أن الأدب فشـل فـي التعبيـر عـن المجتمـع، لقـد عبّـر عن انقسـاماته وتردداته، فالشخصيات القلقة، والمـكان الممـزق، واللغـة التجريبية، كلها تعكـس بحثـاً عـن تعريف.

وإذا كانـت هـذه الفرضيـة صحيحـة، فـإن الجدل بشـأن «أدب الأقليات» يصبح عرضـاً لا سببـاً؛ أي أنـه نتيجـة لغيـاب تعريف واضح للهُويّة السـورية، لا تفسـيراً للإبـداع، فحين لا يوجد تصـور جامع، تظهر تصنيفات بديلـة: مثل الأقليـة، والهامش، والنخبـة، والمنفـى.. وهـذه التصنيفـات تعكـس أزمـة المجـال الثقافي.

إن تجـاوز هـذا الجـدل يتطلـب إعادة طـرح السـؤال مـن زاويـة مختلفـة: كيف تُمكـن قـراءة الأدب السـوري بوصفـه مسـاحة لطـرح سـؤال الهُويّـة؟ لا بوصفه تعبيـراً عـن هُويّـات جاهـزة، فالكاتـب السـوري، فـي كثيـر مـن الحـالات، لـم يكتـب مـن داخـل انتمـاء مغلـق، بل من داخـل توتر بين انتمـاءات متعـددة، وهذا التوتـر هو الـذي منـح الأدب طاقته، وهو أيضـاً مـا يجعـل تصنيفـه طائفيـاً أمـراً مضـللاً.

فـي النهايـة، القول إن الأدب السـوري «أدب أقليات» هو اختزال سوسـيولوجي، يحجـب تعقيـد التجربـة الثقافيـة، ويعيـد إنتـاج الانقسـامات الاجتماعيـة، والأجـدى مـن ذلـك هـو النظـر إلى الأدب السـوري بوصفـه أدبـاً يبحـث عـن هُويّـة، لا أدبـاً يعكـس هُويّـات جاهـزة، فالمشـكلة لـم تكـن يوماً فـي من يكتب، بـل في الإطار الـذي تُقـرأ فيـه الكتابة.

وحيـن يُعـاد توجيـه النقـاش إلى هـذا المسـتوى، يصبـح مـن الممكـن قـراءة الأدب السـوري بوصفـه جـزءاً من سـؤال أوسـع: كيف تتشـكل الهُويّة السورية في الثقافـة؟ وهـل اسـتطاع الأدب أن يطرح هـذا السـؤال، أم أنـه مـا زال يكتبـه مـن داخـل غيابه؟

---

* الجوهرانيـة: هـي النظـر إلى الأفـراد أو الجماعـات بوصفهـم يمتلكـون صفات ثابتـة نابعة مـن «جوهر» أصلـي لا يتغير، مثـل ربـط الإبـداع أو السـلوك بانتمـاء طائفـي أو عرقـي محـدد، بهـذا المعنـى تتحـول الهُويّـة إلى قـدر مسـبق يفسّـر الاخـتلاف، بدل فهمه بوصفـه نتيجة تجربة تاريخيـة وثقافيـة متغيـرة.

وزارة الثقافة
MINISTRY OF CULTURE

ملتقى رِواق للتراث السوري
RIWAQ | SYRIAN HERITAGE

فضـــاء للأثـر والـحـكايـة

إحياء وصون التراث الثقافي
السوري المادي وغير المادي

ربط الإنسان السوري
بتراثه وهويته

منصَة سورية للتفاعل
بين الباحثين والمجتمع

نقل التراث السوري
إلى الأجيال القادمة

في عامها الأول..
وزارة الثقافة تقود إصلاحاً مؤسسياً وتعيد سوريا لخريطة الثقافة الدولية

في الذكرى الأولى لتأسيس أول حكومة سورية بعد تحرير البلاد من نظام الأسد البائد، سجلت وزارة الثقافة عاماً استثنائياً مثّل نقطة تحول في مسار العمل الثقافي الوطني داخلياً وخارجياً، معززة دور الثقافة لتكون رافعة للهُويّة، وأداة للتعافي، ومساحة جامعة للسوريين.
وتجسّد هذا التحول من خلال أكثر من ألف فعالية نوعية محلية ودولية، عكست رؤية إستراتيجية متكاملة ارتكزت على تمكين الإنسان، وصون التراث، وتعزيز الحرية الفكرية، والانفتاح على العالم، ضمن إصلاح مؤسسي شامل أعاد الحيوية إلى البنية الثقافية في البلاد.

إحياء التراث الوطني

على مدار عام كامل، ومنذ توليه مسؤولياته وزيراً للثقافة، نفّذ الوزير محمد ياسين الصالح ووفود من الوزارة جولات ميدانية لتقييم المواقع الأثرية والتاريخية على امتداد الجغرافية السورية، أبرزها قصر العظم وقلعة الحصن وبصرى الشام وقلعة جعبر.

إلى جانب ذلك أطلقت الوزارة مشروع «بيت التراث السوري» لعرض الحرف التقليدية والذاكرة الوطنية، كما جرى توثيق التراث المادي واللامادي وفق معايير اليونسكو، حيث أدرجت سوريا عنصرين جديدين هما الكحل العربي والعباءة الرجالية.

ونفذّت الوزارة مشروعات مشتركة مع الأردن والجزائر وسلطنة عمان لتوثيق الفخار والألعاب الشعبية والتراث المائي، إلى جانب تنظيم دورات تدريبية لنقل المعرفة للأجيال القادمة.

إصلاح مؤسسي شامل وإعادة بناء البنية الثقافية

أعادت الوزارة تأهيل المراكز الثقافية لتكون منابر إشعاع مجتمعي، وعززت دور المكتبة الوطنية بإتاحة جميع الكتب للقراء والزوار، وتنظيم محاضرات وورشات عمل لتعزيز التواصل بين المكتبة والمواطنين، وشملت الإصلاحات تدريب الكوادر وتطوير آليات العمل الثقافي بما يتماشى مع التحولات الحديثة، مما أسهم في رفع كفاءة المؤسسات الثقافية وتعزيز قدرتها على الاستجابة لمتطلبات العصر.

الدبلوماسية الثقافية والعودة إلى الخريطة العالمية

عزّزت وزارة الثقافة حضورها الدَّولي عبر شراكات مع منظمات ومؤسسات عربية وعالمية، شملت الإيسيسكو، والألكسو، ومعهد المخطوطات العربية، وعدداً من المنظمات الدولية المعنية بحماية التراث، كما شاركت في فعاليات دولية، منها البورصة المتوسطية للسياحة الأثرية، ومهرجان «فريج الفن والتصميم» في قطر، والقمة الوزارية «الثقافة من أجل المستقبل» في إندونيسيا، ومعرض «بنان» للحرف اليدوية في الرياض، إضافة إلى مؤتمر «مونداكولت» في برشلونة الذي نُظّم تحت شعار «السياسة الثقافية والتنمية المستدامة»، ومؤتمر «الاستثمار الثقافي» في الرياض، ومؤتمر «شاندي» الدولي بشأن الثقافة والتنمية والسلام في إندونيسيا.

كما وقّعت الوزارة اتفاقيات تعاون مع سفارات ومؤسسات ثقافية دولية، بما يسهم في إعادة تنشيط حضور الثقافة السورية على الخريطة الثقافية العالمية.

تمكين الأجيال الصاعدة.. استثمار إستراتيجي في الطفل والمعرفة

وضعت وزارة الثقافة الطفل في قلب أولوياتها، فأطلقت برامج ثقافية متكاملة تهدف إلى تعزيز مهارات التعبير والإبداع، وتنمية علاقته بالقراءة والمعرفة. ونظّمت الوزارة مهرجاناً بمناسبة اليوم العالمي للطفل في مختلف المحافظات السورية، استمرمدة 7 أيام، بهدف تسليط الضوء على أهمية دور الطفل في المجتمع. كما أقامت الوزارة فعاليات خاصة للأطفال ضمن جناحها في مدينة المعارض بدمشق، احتفاءً بالذكرى السنوية الأولى لتحرير سوريا، حيث تضمنت أنشطة فنية وتعليمية وترفيهية، إلى جانب ألعاب الذكاء وركناً مخصصاً للقراءة.

وشهد معرض دمشق الدولي للكتاب، وللمرة الأولى، تخصيص جناح متكامل للأطفال بمشاركة 60 دار نشر، قُدّمت

إحياء التراث الوطني

إصلاح مؤسسي شامل وإعادة بناء البنية الثقافية

الدبلوماسية الثقافية والعودة إلى الخارطة العالمية

من خلاله فعاليات ثقافية وترفيهية متنوعة، بما يسهم في إعداد جيل واعٍ ومبدع، يمتلك أدوات المعرفة، وقادرٍ على الإسهام الفاعل في تنمية المجتمع وصناعة مستقبله.

الحافلة الثقافية قريبة من المواطن

أطلقت وزارة الثقافة مبادرة «الحافلة الثقافية» بهدف تقريب الثقافة من المواطنين في المحافظات، عبر مكتبات متنقلة، وورشات تعليمية، ولقاءات مع الكتّاب، وأنشطة موجهة للأطفال، وعروض مسرحية، ومسابقات، وورشات الكتابة والرسم، بما يعزز العدالة الثقافية ويكرّس المشاركة المجتمعية.

وشاركت الحافلة في فعاليات متنوعة في دمشق وريفها، وحمص، ودرعا، ودير الزور، إضافة إلى مخيم الأزرق وجرجناز بريف إدلب، حيث قدّمت أنشطة ثقافية وتفاعلية للأطفال. وشاركت في جناح الطفل ضمن معرض دمشق الدولي للكتاب من خلال نموذج مبتكر يجمع بين الكتاب الورقي والتقنيات التفاعلية، كما تواصل الحافلة الثقافية رحلاتها لتشمل جميع المحافظات السورية.

الذاكرة الوطنية.. تثبيت الحقيقة وصون السَّردية السورية

في إطار توثيق الذاكرة الوطنية، نظّمت الوزارة مؤتمر «مجازر سوريا، ذاكرة لا تموت»، الذي مثّل محطة مهمة في تثبيت السَّردية الوطنية، من خلال زيارات ميدانية لمواقع المجازر وإحياء ذكرى الضحايا، وتأكيد حق العدالة وعدم النسيان، كما احتضنت لقاءات مع رموز وطنية وشخصيات نضالية لتوثيق تجاربهم وإدماجها في الوعي الجمعي، بما يعزز وحدة الهُويّة الوطنية.

فعاليات وطنية وعودة سوريا إلى قلب المشهد الثقافي

شهد العام الأول على تولي أول وزارة ثقافة عملها بعد تحرير سوريا من نظام الأسد البائد، انطلاقة نوعية للمهرجانات والمعارض التي أعادت سوريا إلى خريطة الثقافة الإقليمية والدولية. تصدّرها معرض دمشق الدولي للكتاب بمشاركة أكثر من خمسِمئة دار نشر من خمس وثلاثين دولة، وعرض أكثر من مئة ألفَ

الحافلة الثقافية قريبة من المواطن

الذاكرة الوطنية: تثبيت الحقيقة وصون السَّردية السورية

فعاليات وطنية وعودة سوريا إلى قلب المشهد الثقافي

دعم الإبداع الفني.. نحو مشهد تشكيلي وسينمائي عالمي

عنوان للمرة الأولى دون قيود، إلى جانب ندوات وورشات عمل متعددة.

وتجلّى الحَراك الثقافي في «ليالي حلب الثقافية»، وفعالية «أربعاء حمص» التي قدحت شعلة الانطلاقة لفعاليات جمع التبرعات على كامل الخريطة السورية، ومهرجان «الطفل الثقافي»، ومهرجان «أيام البُردة الدولي» الذي جمع بين الفن الإسلامي التقليدي والابتكار المعاصر.

كما أسهمت تظاهرة «أفلام الثورة السورية» ومهرجان «الحرف» في توثيق التجربة الوطنية وحماية التراث، لتعكس منظومة متكاملة أعادت بناء العلاقة بين المجتمع والثقافة.

دعم الإبداع الفني.. نحو مشهد تشكيلي وسينمائي عالمي

أطلقت مديرية الفنون الجميلة ملتقيات متخصصة للشباب، مثل ملتقى التصوير الزيتي، ما يعكس توجهاً إستراتيجياً نحو ترسيخ مكانة سوريا في المشهد الفني العالمي. كما حظيت الحرف التقليدية باهتمام خاص من خلال مهرجانات ومعارض متخصصة، أسهمت في حماية الإرث وتعزيز استدامته.

الثقافة والابتكار.. تكامل المعرفة مع التكنولوجيا

أدمجت الوزارة التكنولوجيا بالثقافة والمعرفة، عبر المشاركة في ملتقيات الابتكار مثل SYNC، وتطوير المحتوى الرقمي الثقافي بالتعاون مع صناع المحتوى، كما وُقِّعت مذكراتُ تفاهم مع الجامعات لتعزيز التحول الرقمي في المكتبات والمخطوطات، وأُطلِقت مبادرات تعليمية وثقافية تربط المعرفة الأكاديمية بالإنتاج الثقافي، وتهيئة فرص عمل جديدة للشباب في الصناعات الإبداعية.

الفنون بوابة التعبير والتحرر

احتضنت المسارح ودار الأوبرا في دمشق عروضاً موسيقية ومسرحية وفعاليات متنوعة، أبرزها فعالية «النوروز.. أصل الحكاية» التي أحيتها فرقة آشتي للتراث الكردي برعاية وزارة الثقافة، وذلك احتفاءً للمرة الأولى في سوريا بعيد النوروز.

كما مثّلت المعارض الفنية، مثل معرض «كتابات من جدران الزنزانة»،

مساحة لتجسيد الألم السوري في عهد النظام البائد وتوثيقه بأسلوب فني إبداعي.

شراكات إستراتيجية

أولت الوزارة أهمية لتعزيز الشراكة مع القطاع الأهلي والمؤسسات الثقافية، ووقعت مذكرات تفاهم لتوحيد الجهود وتوسيع دائرة المشاركة، وأسفرت هذه الشراكات عن مشروعات نوعية، منها جوائز ثقافية، وموسوعات توثيقية، وتنظيم فعاليات مشتركة داخل سوريا وخارجها، بما يضمن استدامة العمل الثقافي وتنوعه.

نحو نهضة ثقافية مستدامة

مثّل عام وزارة الثقافة الأول، نموذجاً متكاملاً للعمل الثقافي يجمع بين الرؤية والإستراتيجية، والإبداع والتأثير المجتمعي، حيث أسست وزارة الثقافة لنهج جديد يقوم على الشمولية والتشاركية والاستدامة، بما يرسخ قاعدة صُلبة لنهضة ثقافية مستدامة تعيد لسوريا مكانتها الحضارية، وتؤكد أن الثقافة كانت وستبقى جوهر التعافي وأداة بناء المستقبل.

ثقافة تشاركية.. الشباب في قلب الفعل الثقافي

ركزت وزارة الثقافة على المشاركة المجتمعية عبر إطلاق مبادرات تطوعية هدفت إلى تمكين الشباب وإشراكهم في الأنشطة الثقافية. وفي هذا الإطار، أعلنت تشكيلَ الفريق التطوعي الثقافي في المكتبة الوطنية بدمشق، بمشاركة شابات وشبان أسهموا في تنظيم الفعاليات، وتقديم الخدمات، وتوثيق التراث، ودعم حملات التوعية.

كما فتحت الوزارة باب التطوع أمام الشباب للمشاركة في معرض دمشق الدولي للكتاب، من خلال أعمال التنظيم والإرشاد ودعم الأنشطة الثقافية، وإضافة إلى ذلك، أطلقت نادي «صُنّاع الأثر»، الذي أسهمت برامجه في إعداد كوادر شبابية قادرة على قيادة المبادرات، وتعزيز قيم المواطنة والمسؤولية المجتمعية.

الثقافة والابتكار.. تكامل المعرفة مع التكنولوجيا

الفنون بوابة التعبير والتحرر

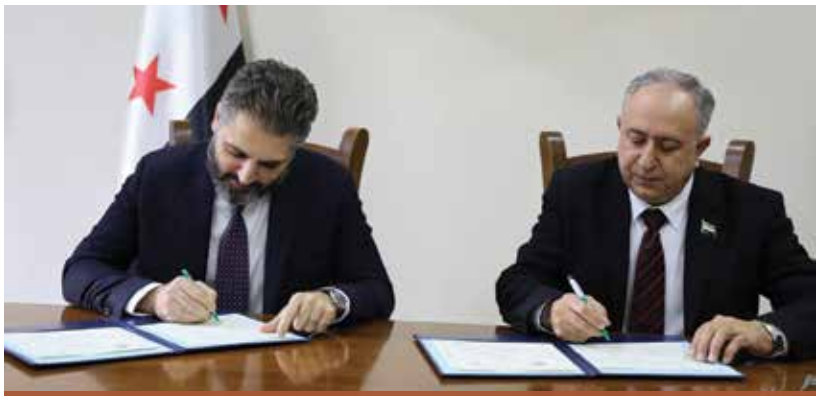
شراكات إستراتيجية

ثقافة تشاركية.. الشباب في قلب الفعل الثقافي

عام على التحوّل الثقافي

من إرثٍ ثقيل إلى استعادة الدور والمعنى

أبـــرز إنجـــازات وزارة الثقافـــة

1

إعادة بناء المؤسسات الثقافية

تفعيل المراكز الثقافية، فتح المكتبة الوطنية السورية، تأهيل البنية الثقافية لتستعيد قدرتها على الإنتاج والتفاعل

2

استعادة المجال الثقافي فضاءً عامّاً جامعاً للسوريين

معرض دمشق الدولي للكتاب، مهرجان البردة الدولي، الفعاليات الثقافية في المحافظات.. إعادة وصل الثقافة بالمجتمع وتحويلها إلى مساحة للحوار والمعنى

3

صون وحماية التراث الثقافي السوري

توثيق، رقمنة، استعادة الآثار، تسجيل التراث اللامادي حماية الهُويّة الثقافية

4

الدبلوماسية الثقافية وإعادة تموضع الثقافة السورية على الخريطة الدولية

مؤتمر الاستثمار الثقافي (الرياض) مؤتمر مونديا كولت 2025 (برشلونة) مؤتمر تشاندي (أندونيسيا) الشراكات مع المنظمات الدولية (يونسكو – إيسسكو..) الانتقال من الحضور إلى الإسهام في صياغة النقاش الثقافي العالمي

5

العدالة الثقافية وتوسيع الوصول

تعزيز وصول الثقافة إلى مختلف المناطق الحافلة الثقافية: تنفذ فعاليات متنوعة في أكثر من 40 منطقة ومحافظة كسر المركزية إتاحة الثقافة لجميع السوريين

6

تمكين الأجيال والفاعلين الثقافيين

برامج الأطفال، مشاركة الشباب، دعم الفنانين الانتقال من التلقي إلى المشاركة في إنتاج الثقافة

7

التحول الرقمي وإتاحة المعرفة

الموسوعة العربية ورقمنة المحتوى، منصات التوثيق توسيع الوصول إلى المعرفة خارج الأطر التقليدية

تابعوا صفحاتنا عبر المعرف التالي

mocsyr

الدكتور نزار أباظة لمجلة الشام

نستَنطِقُ تاريخ دمشق لنقرأ حاضرها ونبنيَ وعيها

"مجلة الشام" - دمشق - حاورته مريم حجير:

ليس من اليسير أن تُحاور باحثاً أمضى عمره بين اللغة والتاريخ والذاكرة، وأن تحاول في لقاء واحد أن تستدرك عمراً كاملاً من الأسئلة والتجارب. فكلما اقتربتَ من تجربته، اتسعت أمامك المسافة، ووجدتَ نفسك أمام سيرةٍ تتجاوز ما يحيط به الحوار. في هذا اللقاء مع الدكتور نزار أباظة، نحاول أن نقترب من بعض ملامح تجربة امتدت عقوداً؛ من تكوينها الأول، إلى أسئلتها الكبرى، إلى تلك الصلة العميقة التي ربطت صاحبها بالمدينة والتاريخ والإنسان.

وفي هذا اللقاء، يروي الدكتور نزار أباظة شيئاً من تلك الرحلة؛ من تشكّل وعيه الأول، إلى اشتغاله بدمشق وأعلامها، إلى المسارات المتعددة التي التقت في مشروعه، وإن بدت متفرقة في ظاهرها، لتنبثق في جوهرها من سؤال واحد: كيف نفهم الإنسان، ونكتب عنه بصدقٍ ومعرفةٍ ومسؤولية؟

روافد التكوين الأولى

يقال إن الأفكار لا تُستمد من الكتب وحدها، بل تصوغها أيضاً التجارب، كيف تشكّل وعيك الثقافي والفكري؟ كيف تعرّف الناس بنفسك؟

ربما يكون أصعب ما يُطلب من الإنسان أن يعرّف بنفسه، لكن إن أردت أن أقترب من ذلك، فيمكنني القول إن تكويني جاء من تداخل روافد متعددة.

بدأت الحكاية من المدرسة والجامعة، حيث تشكّلت البدايات الأولى للمعرفة، ثم أضيف إليها رافد آخر لا يقل أهمية، هو ثقافة المسجد، بما تحمله من عمق روحي وفكري.

وبعد ذلك، انفتحتُ على الثقافة الغربية من خلال دراستي للغة الفرنسية وآدابها، إلى جانب دراستي في كلية التربية، التي منحتني بُعداً تربوياً في النظر إلى المعرفة والإنسان.

هذا التعدد لم يكن مجرد تراكم، بل كان تفاعلاً حيّاً أنتج داخلي رؤية خاصة، فحين أكتب الرواية، أجد أثر الأدب الفرنسي حاضراً في البناء والأسلوب، وحين أكتب عن تاريخ دمشق أو عن علمائها، أعود إلى جذوري العربية والإسلامية، أما في الكتابة الأدبية عموماً، فيظل تكويني في اللغة العربية حاضراً أساساً لا يمكن تجاوزه.

ثم جاءت تجربتي في مجمع اللغة العربية بدمشق، التي أُعُدّها محطة مَفصِلية في مساري؛ إذ عملت فيها باحثاً لمدة 10 سنوات، واحتككت خلالها بأساتذة كبار من اتجاهات فكرية وعلمية وأدبية متعددة.. هذا الاحتكاك لم يضف إلى معرفتي فحسب، بل عمّق قدرتي على النظر والتحليل، وأسهم في تشكيل ذلك المزيج الثقافي الذي أعتز به.

ومع ذلك، أعود دائماً إلى البدايات الأولى، إلى المرحلة الثانوية تحديداً، حيث كان لأساتذتي دور حاسم في اكتشاف ميولي إلى الكتابة، وتشجيعي على التعبير.. هناك بدأت علاقتي الحقيقية بالقلم، وهناك أيضاً تشكّل ذلك الإحساس المبكر باللغة، الذي رافقني لاحقاً في كل ما كتبت.

في المحصلة، يمكنني القول إن ما أكتب اليوم امتدادٌ لتلك الرحلة؛ رحلة تشكّلت من تنوّع المصادر، ومن الإيمان بأن الفكر لا يُولد في مكان واحد، بل يتكوّن عند تقاطع التجارِب والمعارف.

دمشق... المكان والهُويّة

كيف قادك حبّ دمشق إلى الاشتغال بتاريخها؟ وفي كتاباتك تبدو المدينة أقرب إلى كائن حي... كيف نفهم العلاقة بين المكان والهُوية؟ وكيف قادك الاشتغال في «دمشق» إلى فهم الإنسان السوري؟

هذا السؤال يحتاج إلى وقفة حقيقية.. في مجمع اللغة العربية بدمشق، لم أكن مجرد موظف، بل كنت في حالة تفاعل يومي مع قامات فكرية وعلمية كبيرة، شكّلت وعيي

ودفعَتني إلى إعادة النظر في معنى الكتابة نفسها .

أتذكر على وجه الخصوص أستاذي الدكتور شكري فيصل، الذي كان بالنسبة إلي مرشداً فكرياً قبل أن يكون أستاذاً.. كان إذا تحدث، تشعر بأن الفكر يتدفق أمامك؛ لغةً وحجةً وتحليلاً.

وكذلك الأستاذ الدكتور المحامي عدنان الخطيب، الذي كان مثالاً في دفعنا نحو البحث والعمل، والدكتور أنور الخطيب «مؤسّس المعشب النباتي في قسم علم النبات في جامعة دمشق في سوريا» إلى جانب الدكتور شاكر الفحام، الذي كان له دور كبير في تحفيزنا على الكتابة الجادة والمنهجية.

وفي هذا المناخ، لم يدفعنا أساتذتنا في المجمع إلى العمل فحسب، بل صاغوا وعينا -أنا وزملائي في البحث العلمي، ومنهم الدكتور المطيع الحافظ- بضرورة الكتابة عن القامات الفكرية والعلمية في دمشق.

ومن هذه الرؤية وُلد تاريخ علماء دمشق، كتابٌ نعتز به حتى اليوم، وقد طُبع أكثر من مرة، ليغدو مرجعاً أساسياً في توثيق رجالات دمشق ومسارهم الفكري والعلمي.

فهذا مما دفعنا، يعني العمل في المجمع، واتصالي بالرجال، واتصالي بالكتب ومؤلفيها، هو الذي دفع إلى ما يقال عن هذا النشاط.

كتابي عن علماء دمشق ليس كتاباً عن أشخاص، وإنما كتاب عن فكر، كتاب عن حركة علمية، وثقافية، وسياسية، وفنية، سارت فيها دمشق. لذلك أنا عندما أكتب عن هؤلاء، أكتب عن روحي، أضع نفسي أمام هؤلاء من أجل أن أجلّي ما قدموه.. فكتبت كتابة حيّة، وليست كتابة ميّتة، ليست كتابة إنسان عاش كذا وألّف كذا، لا. كتابة مواقف، كتابة رجال، كتابة أناس صنعوا تاريخ دمشق في هذا القرن الرابع عشر الهجري أو العشرين الميلادي، وأنا لا أزال أكتب في هذا إلى الآن.

في الكتابة عن الأعلام

من خلال كتابتك وانشغالك بالأعلام الدمشقية، كيف يمكن أن نفهم العلاقة بين المكان والهُوية؟ وكيف قاد الاشتغال بهم إلى فهم الإنسان السوري بشكل عام؟

الإجابة عن هذا السؤال ليست بالأمر السهل.. كما ذكرت، كتابتي عن الشخصيات لا تقوم على مجرد التوثيق التقليدي؛ وُلد فلان، وألّف كذا، وتوفي في سنة كذا.. هذا مهم، لكنه ليس ما أبحث عنه. قدوتي في هذا المجال كان كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي، وهو من أهم ما أُلّف في القرن العشرين.. ولو أردنا أن نعدّ أبرز كتب هذا القرن، لكان هذا الكتاب واحداً منها؛ لأنه تناول الأعلام من الجاهلية حتى زمن مؤلفه، بجهد استمر نحو ستين عاماً.

ما يميّز هذا العمل دقة العمل؛ فكل كلمة فيه محسوبة، وكل توصيف له وزنه. فإذا وصف شخصية بأنها شاعر، اختار لها ما يليق بها من النصوص، وإذا قدّم مؤرخاً أو مفكراً، لم يكن ذلك توصيفاً عابراً، بل خلاصة فهم عميق لشخصيته ودوره.

هذا ما حاولت أن أقترب منه في كتابتي. فعندما أكتب عن شخصية مثل جمال الدين القاسمي، والشيخ بهجت البيطار، أو الشيخ بدر الدين الحسني عالم دمشق الأول أو طاهر الجزائري، أوالأمير عبد القادر الجزائري، فإنني لا أكتب عن شهرتهم فحسب، بل

أحاول أن أضع القارئ أمام «البذرة» الأولى في حيات

لكن هذا النوع من الكتابة يحمل مسؤولية كبيرة؛ فأنا حين أكتب عن شخصية، أقدّم حكماً وأتحمّل مسؤوليته؛ إذ إن كل كلمة يجب أن تكون دقيقة، لأنني أقدّم نفسي من خلالها، ولذلك قيل: «من ألّف فقد استَهدف»، أي وضع نفسه موضع المساءلة.

كما أن اختيار الشخصيات بحد ذاته مسؤولية؛ فاختيار المرء قطعة منه، وإذا ترجمت لشخص لا يستحق، فأنت تُحاسَب على هذا الاختيار، لذلك أحرص على أن يكون ما أقدّمه نابعاً من قناعة ومعيار، لا من شهرة عابرة.

لهذا أقول: إن الكتابة عن الأعلام ليست عملاً سهلاً؛ إنها اختبار للكاتب نفسه قبل أن تكون تعريفاً بالآخرين، وهي في الوقت ذاته طريق لفهم المجتمع؛ لأنك من خلال هؤلاء الرجال تقرأ مدينة، وتفهم زمناً، وتقترب من هُويّة إنسان.

روافد التكوين ووجوه الكتابة

دكتور، كتبت في الأمثال، وفي المدارس، وفي الأعلام، وفي الرواية أيضاً. ما الذي كنت تصادفه في كل هذه الخطوط المتناثرة؟

هذه التشكيلة في كتاباتي تعود في جوهرها إلى ذلك التكوين الثقافي المتعدد الذي تحدثت عنه في بداية اللقاء؛ أثر المسجد، ودراسة اللغة الفرنسية، واللغة العربية، والتربية، إضافة إلى احتكاكي المباشر بالناس في الواقع.

أما الأمثال، فقد بدأت قصتُها في الغربة، حين كنت في جدة، لم أستطع أن أترك القلم، ولم تكن بين يدي مراجعُ كافية أعود إليها في التأليف، فبرزت فكرة الاشتغال على الأمثال، والغريب أن الغربة تولّد إحساساً خاصّاً بالهُوّية، كأنك تريد أن تتمسك بها أكثر، فوجدت نفسي أعود إلى هذا الكنز الكبير.

كنت أستعيد ما علِق في الذاكرة من أمثال، والذهن -كما يقول التربويون- يواصل العمل في اللاوعي، قد يوقظك من نومك ليذكّرك بمثل أو عبارة.

وعندما عدت من الغربة، بدأت ألتقي بكبار السن، أذكر لهم ما عندي، فيضيفون إليَّ ما عندهم، حتى جمعت آلاف الأمثال، ووصلت إلى ما يقارب ستة آلاف وخمسمئة مثل .

واجه هذا العملُ تردداً من الناشرين في البداية، لكن حين صدر، نفِدت طبعته الأولى سريعاً، وكذلك الثانية؛ لأن الأمثال ليست مادة هامشية كما يُظن، بل هي تعبير عن فكر الأمة عن خبرتها، عن رؤيتها للحياة.

أما الرواية، فقد جاءني دافعها من الثقافة الفرنسية.. تعرّفت إلى صديق فرنسي قدّم لي عملاً روائياً لنترجمه، فخضت معه تجربة الترجمة، وكانت هذه بوابتي إلى عالم الرواية.

ومن هنا جاءت روايتي الأولى حبيبتي من ورق التي لاقت انتشاراً، وتُرجمت إلى الفارسية، وكانت موضوع دراسة أكاديمية للحصول على درجة الدكتوراه.

فيما يتعلّق بكتابة موضوع «مدارس دمشق»، فقد بدأت الفكرة من لقاء جمعني بأحد كبار التربويين، هو الدكتور خالد قوطرش، الذي أنجز عملاً مهمًا تمثّل في رسالة دكتوراه باللغة الفرنسية بعنوان «التعليم في سوريا»، قدّمها في جامعة مونبلييه. وعندما عملتُ على ترجمتها ومراجعتها، تبلورت لديّ فكرة تطوير هذا العمل، فأنجزتُ كتابًا عن المدارس الأهلية، ثم أتبعتُه بعمل آخر عن المدارس الرسمية، وهو حاليًا قيد الطباعة.

وخلال هذا الاشتغال، انفتحتُ على بيئات متنوّعة، بما فيها الكنائس ومدارسها، حيث دار حوار وأخذٌ وردّ، تخلّله أحياناً شيء من التحفّظ، كما كشف هذا المسار، في الوقت ذاته، عن استمرار حضور شيء من الألم في بعض الذاكرة التاريخية المرتبطة بأحداث عام 1860. .

ومن هذا المسار تحديداً، وُلدت فكرة رواية الطوشة، التي تناولت أحداث فتنة عام 1860 من زاوية مختلفة، عبر بناء روائي يقوم على قصة حب بين شاب مسلم وشابة مسيحية، في محاولة لقراءة تلك المرحلة بعيون إنسانية.

التعايش في مرآة رواية «الطوشة»

بما أننا نتحدث عن التعايش الذي طرحته في رواية الطوشة، كيف حضرت هذه الفكرة داخل العمل؟

التعايش في الرواية لم يُطرح من زاوية واحدة، بل من خلال تعدد الرؤى: رأي المسلمين في أحداث «الطوشة»، ورأي المسيحيين، ورأي الغربيين، إلى جانب مواقف شخصيات مثل عبد القادر الجزائري، والعلماء الذين وقفوا مع المسيحيين، وآخرين وقفوا موقف المتفرج.

هذه التشكيلة الواسعة كانت ضرورية لنعرفها، لأننا غالباً ما نقرأ التاريخ من زاوية واحدة، بينما الحقيقة لا تُفهم إلا عبر تعدد وِجهات النظر.

هناك أخطاء ارتُكبت من أطراف مختلفة؛ من مسلمين، ومن مسيحيين، ومن غيرهم، لذلك حاولت أن أقدّم هذا التعقيد كما هو، وقلت منذ البداية إن هذه الرواية قد لا تُرضي أحداً، لا مسلماً ولا مسيحياً؛ لأنها ليست توثيقاً تاريخياً بقدْر ما هي رؤية.. الرواية تتيح لك أن تأخذ منها ما تشاء وتدع ما تشاء.

الرواية تقول ما يغفله التاريخ

من خلال الرواية، هل استطعت أن تطرح وجهة نظرك بوضوح؟

بالتأكيد، وجدت في الرواية مِساحة لطرح وجهة نظري، ومن أهم ما أردت قوله أن الظلم لم يقع على طرف واحد فقط؛ فقد وقع على المسيحيين، كما وقع أيضاً على بعض المسلمين، وكان هناك من دفعوا ثمناً دون ذنب.

الدولة العثمانية، مثلاً، حاولت أن توازن بين القُوى، فأنصفت المسيحيين من جهة، لكنها في الوقت نفسه سعت إلى إرضاء القُوى الأوروبية كفرنسا وبريطانيا، فعاقبت بعض المسلمين، بل ونفتهم إلى أماكن مثل قبرص، أحياناً دون وجه حق.. هذا جزء من التاريخ، وعلينا أن نقرأه كما هو، لا كما نحبّ أن يكون.

التعايش كما تقرؤه الرواية

كيف يمكن أن نستفيد اليوم من فكرة التعايش التي طرحتها الرواية؟

أحد مفاتيح الرواية التعايش يتمثّل في قصة حب بين شاب مسلم وفتاة مسيحية، غير أن التعايش كان حاضراً في تفاصيل الحياة اليومية؛ في التعليم، وفي العلاقات الاجتماعية، وحتى في مجالات العمل.

ومن هنا، يمكن قراءة ما عُرف بفتنة عام 1860، في جانب منه، كأزمة ذات جذور اقتصادية؛ فقد أصاب صناعة الحرير وباء في أوروبا، ما انعكس على هذا القطاع في المنطقة وأسهم في إضعافه، وكان ذلك أحد العوامل التي ساهمت في تأجيج التوترات. لذلك أميل إلى أن جذور الفتنة كانت اقتصادية أكثر مما هي دينية، وهذا ما حاولت إبرازه في الرواية.

كما أن هذه الأحداث لم تبدأ في دمشق، بل سبقتها في مناطق مثل دير القمر وزحلة، قبل أن تمتد لاحقًا إلى دمشق.

الكتابة عن الأعلام ليست عملاً سهلاً؛ إنها اختبار للكاتب نفسه قبل أن تكون تعريفاً بالآخرين

دمشق... النسيج الذي يرمّم نفسه

في مجتمعات متعددة مثل المجتمع السوري، هل تعتقد أن المجتمع قادر دائما على استعادة تماسكه بعد الأزمات؟

نعم، وهذا ما يميّز المجتمع السوري و الدمشقي تحديداً؛ إذ يمتلك قدرة كبيرة على الامتصاص والاندماج. ويكفي أن ننظر إلى الهجرات التي جاءت إلى دمشق عبر التاريخ؛ من الشركس والجزائريين والمغاربة، وغيرهم، لندرك أن كثيرين منهم لم يعودوا إلى بلدانهم الأصلية، بل اندمجوا في المجتمع السوري وأصبحوا جزءاً من نسيجه.

قد يحتاج الجيل الأول إلى وقت أطول كي ينسجم، لكن الأجيال اللاحقة تنخرط تدريجيًا في المجتمع، حتى تغدو جزءًا طبيعيًا من تكوينه العام. وهذا ما عشته شخصياً؛ فقد نشأنا في أحياء ضمّت مسلمين ومسيحيين ويهودًا، وكانت العلاقات فيها طبيعية جداً، بلا حساسيات أو حواجز.

أذكر أن جيراننا كانوا من المسيحيين، وكنا نلعب معاً من دون أن يكون للانتماء الديني حضور في وعينا اليومي. كانت هناك زيارات متبادلة، وأحاديث مشتركة، ومعرفة متقاربة بثقافة بعضنا بعضاً، ضمن مناخ من الاحترام والمودة.

وحتى في لحظات التوتر، يبقى هذا النسيج قادراً على ترميم نفسه. وقد عبّر عن هذا المعنى رجال وطنيون كبار، مثل فارس الخوري، حين أكدوا أن السوريين، على اختلافهم، يشكّلون وطناً واحداً لا يقبل التدخل الخارجي.

قد تظهر توترات عابرة بين حين وآخر، لكنها لا تلغي الطبيعة العميقة لهذا المجتمع. فدمشق، في جوهرها، مدينة انسجام وتنوّع، مدينة فسيفساء حيّة، قادرة على استعادة توازنها كلما اتسعت الرؤية، وتعزز الوعي، وتوفرت القدرة على فهم الآخر.

السيرة من باب الهُويّة

كتابك في بيت الرسول ﷺ يتناول الحياة الاجتماعية والأسرية للنبي، كيف انتقلت من الترجمة والتاريخ إلى كتابة السيرة؟ ولماذا؟

في الحقيقة، لا أرى ذلك انتقالاً منفصلاً بقدر ما أراه امتداداً طبيعياً لذلك التكوين الثقافي الذي تحدثت عنه. ما أكتب فيه اليوم هو ثمرة تداخل تلك الروافد جميعاً، وليس مساراً منفصلاً عن بعضها.

وكتاب في بيت الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليس عملاً منفرداً، بل هو جزء من سلسلة أوسع تضم: في بيت الرسول، وفي صحبة الرسول، وفي مدينة الرسول، وتحت راية الرسول، وشخصية الرسول، وفي مدرسة الرسول. وهي ستة أجزاء تحاول مقاربة السيرة النبوية من زوايا متعددة.

وقد تأثر هذا التوجه كثيراً بأساتذتي، وبالبيئة العلمية التي نشأت فيها، كما كان لعملي في النشر، وعلاقتي بالأستاذ محمد عدنان سالم، أثر مهم في توجيهي نحو هذا المجال، ولا سيما منذ دخولي دار الفكر في أواخر التسعينيات، مع أن بداياتي في التأليف تعود إلى ثمانينيات القرن الماضي.

وأنا لا أنظر إلى السيرة أو التراث على أنهما مادة منفصلة عن الحاضر، بل أراهما جزءاً من الهوية. حين أقرأ ابن خلدون أو ابن كثير، لا أشعر أنني أقرأ شيئاً بعيداً عني، بل أقرأ ما يدخل في تكويني الثقافي، وما يسهم في تشكيل وعيي بذاتي وتاريخي.

وهذا الارتباط بالتراث لا يعني الانغلاق، بل يعني الوعي بالامتداد. نحن بحاجة إلى أن نفهم هذا التراث بما فيه من منجزات، وبما فيه أيضاً من خلافات وتعقيدات، حتى ندرك موقعنا منه، ونفهم هويتنا على نحو أعمق.

وهذا كلّه يتطلب من المفكر جهداً كبيراً، بل نوعاً من المجاهدة؛ لأن التفكير ليس أمراً سهلاً. وقد دفع كثير من العلماء ثمن مواقفهم، مثل طاهر الجزائري وجمال الدين القاسمي وغيرهما، ممن واجهوا التضييق لأنهم حاولوا أن يفكروا خارج السياق السائد.

لذلك أرى أن الكتابة في السيرة، وفي التراث عموماً، ليست مجرد نقل أو عرض، بل هي محاولة لفهم الذات، والاتصال بجذورها، والوعي بما لها وما عليها.

في معنى القراءة الواعية للتاريخ

ما الذي يزعجك بطريقة تعاملنا مع التاريخ؟

هذا يرجع إلى مسألة الهوية أيضاً. يعني هذا السؤال مرتبط بالسؤال الذي قبله. التاريخ ليس شيئاً بسيطاً، ولا هو على مستوى واحد. أنا عندما أقرأ التاريخ أقرأه بعين بصيرة؛ لأن في تاريخنا فجوات، وفيه مشكلات، وفيه تراجع، كما قال ابن خلدون، وفيه صعود، وفيه انحدارات، وفيه مؤامرات. لذلك يجب أن أقرأ التاريخ بعين واعية.

وقد قرأه بعض الكبار بهذه الطريقة، مثل الأستاذ رحمه الله يوسف العش، الذي له كتابان مهمان جداً: الدولة الأموية والدولة العباسية، وكذلك محمد الخضري. هؤلاء أعطوا سمة في قراءة التاريخ يجب أن نمشي عليها. يوسف العش، في كتابه عن الدولة الأموية، قدّم تحليلاً لا أظن أن أحداً استطاع أن يحلل مثله، ولذلك طُبع الكتاب طبعات كثيرة، واعتمد في كلية الشريعة هنا، لأنه عرف كيف يقرأ التاريخ.

التاريخ ليس هيّناً. خذي مثلاً الطبري عندما تناول التاريخ في كتابه تاريخ الأمم والملوك؛ أعطى روايات، وأحياناً تكون هذه الروايات متناقضة، لكن ماذا نأخذ منها؟ لا

نأخذ ما يعجبنا فقط، بل لا بد من اجتهاد، ومن حجة، ومن برهان. ولذلك أقول إن يوسف العش عرف كيف يقرأ التاريخ.

وأنا ترجمتُ كتابًا للعش، رحمه الله، أنا وصديقي، اسمه «دور الكتب العربية العامة وشبه العامة في العراق والشام ومصر». هذا الكتاب رائع جداً؛ لأنه لم يتحدث عن المكتبات فقط، بل تحدث عن قيام المكتبات في سياق سياسي: كيف كانت المعتزلة وراء قيام مكتبات بغداد، وكيف كان أهل السنة في قيام مكتبات دمشق، وكيف كانت الفاطمية في قيام مكتبات مصر. فهو لم يتحدث عن المكتبة بوصفها مكاناً فقط، بل تحدث عن التاريخ من خلالها.

ثم إن هذا الكتاب، بعد هذا العرض كله، يصل في نهايته إلى صفحة أو صفحتين من النتائج، لكنه رجع فيه إلى نحو ألف كتاب. وعندما ترجمته إلى العربية أنا وصديقي، وجدنا صعوبة كبيرة جداً، لأنك تتعجب: كيف استطاع أن يتحدث عن تاريخ ثلاث بيئات، هي مصر والشام والعراق، بهذه الطريقة؟ وكيف استنتج منها استنتاجات لم يصل إليها غيره؟ حتى إن علماء السوربون اندهشوا لهذا العمل عندما قدمه، وأعطوه درجة الشرف الأولى. وهذا ليس أمراً هيّناً.

فنحن يجب أن نقرأ التاريخ قراءة واعية، لا قراءة حروف وأجزاء، ولا أن نأخذه على عواهنه. وكان بعض شيوخنا يقول لنا: يا بني، اعرض كل أمر على عقلك، لكن على عقل ناضج، لا على عقل سطحي. وهذا صحيح.

وأذكر هنا معنى بيتين يعبّران عن هذه الفكرة، كما وردا في السياق:

وما كُتب التاريخ في كل ما روت
لسامعها إلا كلامٌ ملفّق
سمعنا كلام الحاضرين فرابنا
فكيف لقول الغابرين نصدّق؟

يعني: إذا كانت الحادثة الواحدة اليوم يرويها عدة أشخاص بأشكال مختلفة، فكيف بتاريخ مضى عليه زمن طويل؟ لذلك لا بد من اجتماع الروايات، ومقارنة الروايات، وتضارب الروايات أحياناً، ثم انتقاء ما يمكن أن يثبت في البحث العلمي.

في ختام الفكرة، فالمعنى الذي نريده:

إذا كنت تخاف من الظلام، فلا تزهد في إضاءة الشمعة الواحدة.

الثقافة ومحاولة استعادة المعنى

كيف يمكن للثقافة أن تصلح ما أفسدته السياسة؟

هذا أمر صعب جداً، ويحتاج إلى عقول واعية وكبيرة، مثل جودت سعيد، وعبد الوهاب المسيري، والأستاذ محمد عدنان سالم، ممن يملكون قدرة حقيقية على الفهم والمواجهة. لأن السياسة، في النهاية، هي التي تسيطر، والناس كثيراً ما يتأثرون بها تأثيراً مباشراً. ومع ذلك، يبقى على المفكر أن

يحاول، وأن يقول كلمته، وأن يقف في وجه ما تفسده السياسة.

وقد عرفت دمشق نماذج كبيرة من هذا النوع، مثل جمال الدين القاسمي وطاهر الجزائري، وهما من كبار المفكرين الذين وقفوا في وجه السياسة حين فسدت، لكنهم دفعوا ثمن ذلك غالياً؛ من التضييق إلى الملاحقة، ومن السجن إلى النفي والهروب. فالكلمة كانت تخيف، والفكرة الحرة كانت تُواجَه بالشك والاضطهاد.

فمثلاً، دخلوا إلى بيت جمال الدين القاسمي، وأخذوا مكتبته وأوراقه، وفتشوها ورقةً ورقة، ليروا إن كان يقف ضد الدولة أم لا. وكذلك فعلوا مع طاهر الجزائري، لأنهم كانوا يخافون من الكلمة، ويخافون من الفكرة التي تقف في وجه السياسة الفاسدة.

إصلاح ما أفسدته السياسة ليس أمراً هيّناً، بل يحتاج إلى مجاهدة، وإلى رجال أقوياء في الفكر والموقف

لذلك أقول إن إصلاح ما أفسدته السياسة ليس أمراً هيّناً، بل يحتاج إلى مجاهدة، وإلى رجال أقوياء في الفكر والموقف. وقد عرفنا أمثلة كثيرة على ذلك، مثل خير الدين التونسي، وطاهر الجزائري، وجمال الدين القاسمي هنا، والآلوسي في العراق. فهذه المهمة شاقة، لكنها ليست مستحيلة. وإذا كان الظلام كثيفاً، فلا ينبغي أن نزهد في إضاءة الشمعة الواحدة.

كيف تُصان الهُويّة الثقافية؟

كيف نحمي الهوية الثقافية السورية؟ وماذا تقول للأجيال القادمة في هذا السياق؟

هذه قضية معقدة، ولا يمكن أن تُحمى الهُويّة فيها بجهد طرف واحد؛ فهي تحتاج إلى تكامل بين المثقف والدولة.. المثقف هو الشمعة التي تضيء في هذا البيت، ودوره أساسي في التوعية وبناء الوعي، من خلال الكتابة، والخطاب، والعمل الثقافي.

وقد شهدنا نماذج مهمة لجمعيات ثقافية أسهمت في هذا الدور، مثل جمعية الهداية وجمعية التمدن الإسلامي، التي قدمت أعمالاً لافتة وأسهمت في توعية الشباب، لكن هذا الجهد يحتاج دائماً إلى غطاء من الدولة، وإلى بيئة تسمح للمثقف بأن يعمل ويعبّر.

نحن اليوم نتطلع إلى مرحلة مختلفة، مرحلة يُفسح فيها المجال للكلمة، بعد عقود طويلة كان فيها التعبير مقيّداً.. الكلمة كانت تُكلّف صاحبها الكثير، وأحياناً تقوده إلى السجن، أما اليوم، فهناك أمل بأن يستعيد المثقف دوره الحقيقي.

المثقف اليوم أمام مسؤولية كبيرة؛ عليه أن يكتب، وأن يتكلم، وأن يبادر، سواء كان كاتباً، أو شاعراً، أو باحثاً، أو خطيباً، فهو مطالب بأن يكون على مستوى هذا الدور، وفي المقابل، ينبغي أن تقوم العلاقة بينه وبين الدولة على التوازن، هو يحمي وعي المجتمع، والدولة تحمي فضاءه.

أما رسالتي إلى الأجيال القادمة، فهي أن يجتمعوا حول العلم والمعرفة، وأن يتشجعوا على القراءة، لكن ليس أي قراءة، بل قراءة واعية، نعرف ماذا نقرأ، وكيف نقرأ، ولماذا نقرأ.

لقد رفعنا في دار الفكر شعار «القراءة أولاً»، ليس بوصفه شعاراً فقط، بل بوصفه مشروعاً، وهناك مبادرات عملية في هذا الاتجاه، مثل المسابقات السنوية للقراءة التي تستقطب آلاف الطلاب من مختلف المراحل الدراسية.

في النهاية، حماية الهُويّة لا تكون بالشعارات، بل بالفعل، بالمعرفة، وبالقراءة، وبالوعي، وبالقدرة على فهم الذات والانفتاح على الآخر في آنٍ معاً.

وزارة الثقافة
MINISTRY OF CULTURE

البيت الثقافي السوري

أول حاضنة أعمال ثقافية إستراتيجية في سوريا

- تُعنى بتطوير القطاع الثقافي السوري
- تمكين الاقتصاد الإبداعي
- تعزيز الشراكات الإستراتيجية الدولية
- ترسيخ الحضور الثقافي السوري عالميًا

تواصل معنا:
@cultural.sy
@sy_cultural
cultural.sy
info@culture-sy.com

فـي اليـوم العالمي للمواقع والمعالم الذي يصادف 18 نيسـان من كل عـام، صور من مواقع سـورية بعدسـة المصوّر العالمي شـادي نصري، حيث تتجه الأنظار إلى مـا تختزنه الأمكنة من ذاكـرةٍ ومعنـى، وما تحمله مـن شـواهدَ على تعاقب الحضارات وتفاعل الإنسـان مـع المكان عبر الزمن.

ويبـرز التـراث الثقافـي السـوري بوصفـهِ بنيـةً ثقافيةً مركّبـة، تتـوزّع بين مواقـع تاريخية ومعالـمَ حيّـةٍ مـا تزال تنبِـض بالحيـاة، وتمثّل امتـداداً للوعـي الجمعي السـوري.

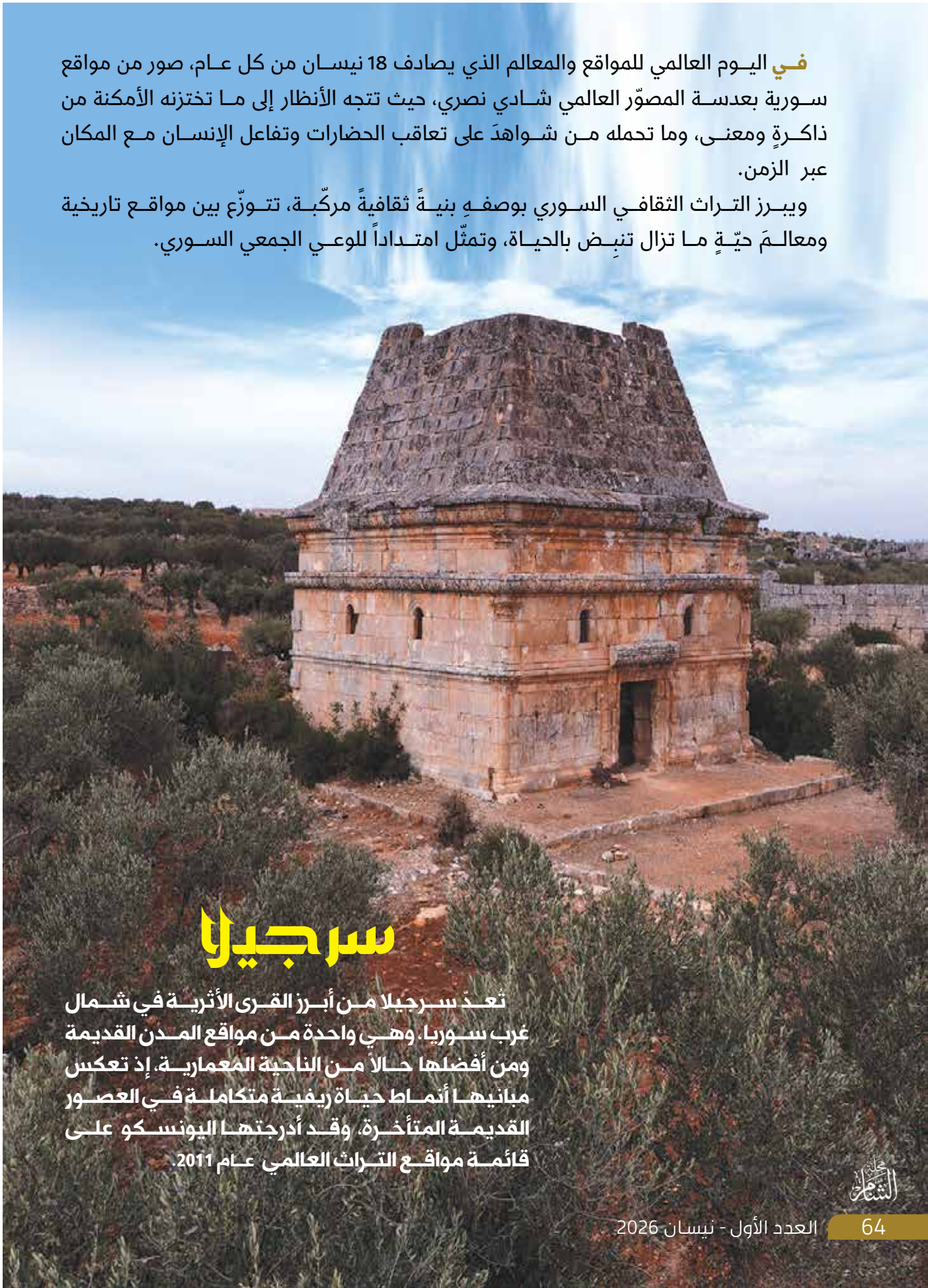

سرجيلا

تُعـدّ سـرجيلا مـن أبـرز القـرى الأثريـة في شـمال غرب سـوريا، وهـي واحدة مـن مواقع المـدن القديمة ومن أفضلها حـالاً مـن الناحية المعماريـة، إذ تعكس مبانيهـا أنمـاط حيـاة ريفيـة متكاملـة فـي العصـور القديمـة المتأخـرة، وقـد أدرجتهـا اليونسـكو علـى قائمـة مواقـع التـراث العالمي عـام 2011.

تدمر

تقع تدمر في بادية حمص، و تُعدّ من أبرز المراكز الحضارية في التاريخ.

فقد مثّلت ملتقى للطرق التجارية والثقافات، وبلغت ذروة حضورها في القرن الثالث الميلادي، حيث قدمت نموذجاً فريداً للتفاعل بين الشرق والغرب، ولا تزال آثارها شاهدة على هذا الدور حتى اليوم.

قلعة سمعان

تِعدّ قلعة سمعان، أو دير القديس سمعان العمودي، من أبرز مواقع المدن القديمة شمال سوريا، وتقع في جبل سمعان قرب دارة عزة في ريف حلب الغربي.

شُيّد هذا المجمع في أواخر القرن الخامس الميلادي، وتميز بتكوينه المعماري الفريدّ الذي يجمع بين الرمزية الدينية والابتكار الهندسي، وقد أدرجتها اليونسكو على قائمة مواقع التراث العالمي عام 2011.

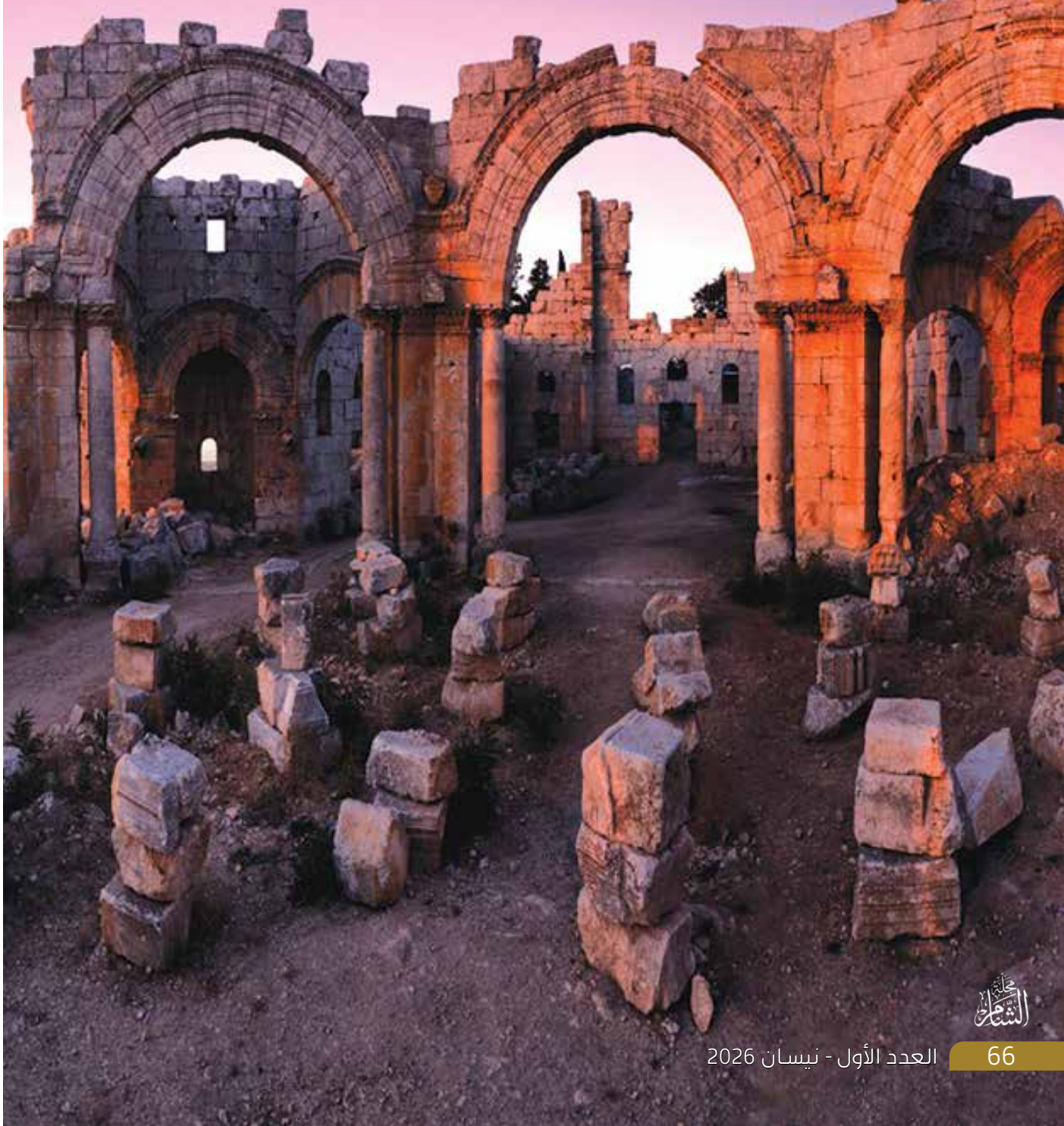

نواعير حماة

تُعـدّ نواعيـر حماة من أبرز المعالم التراثية في سـوريا، وهي نواعيرُ خشـبية ضخمة تنتشـر علـى ضفاف نهـر العاصـي، وقـد تحولت إلى رمـز بصـري وثقافـي للمدينة، تختزن فـي حركتهـا وإيقاعها صلةٍ مسـتمرةّ بين الإنسـان والماء.

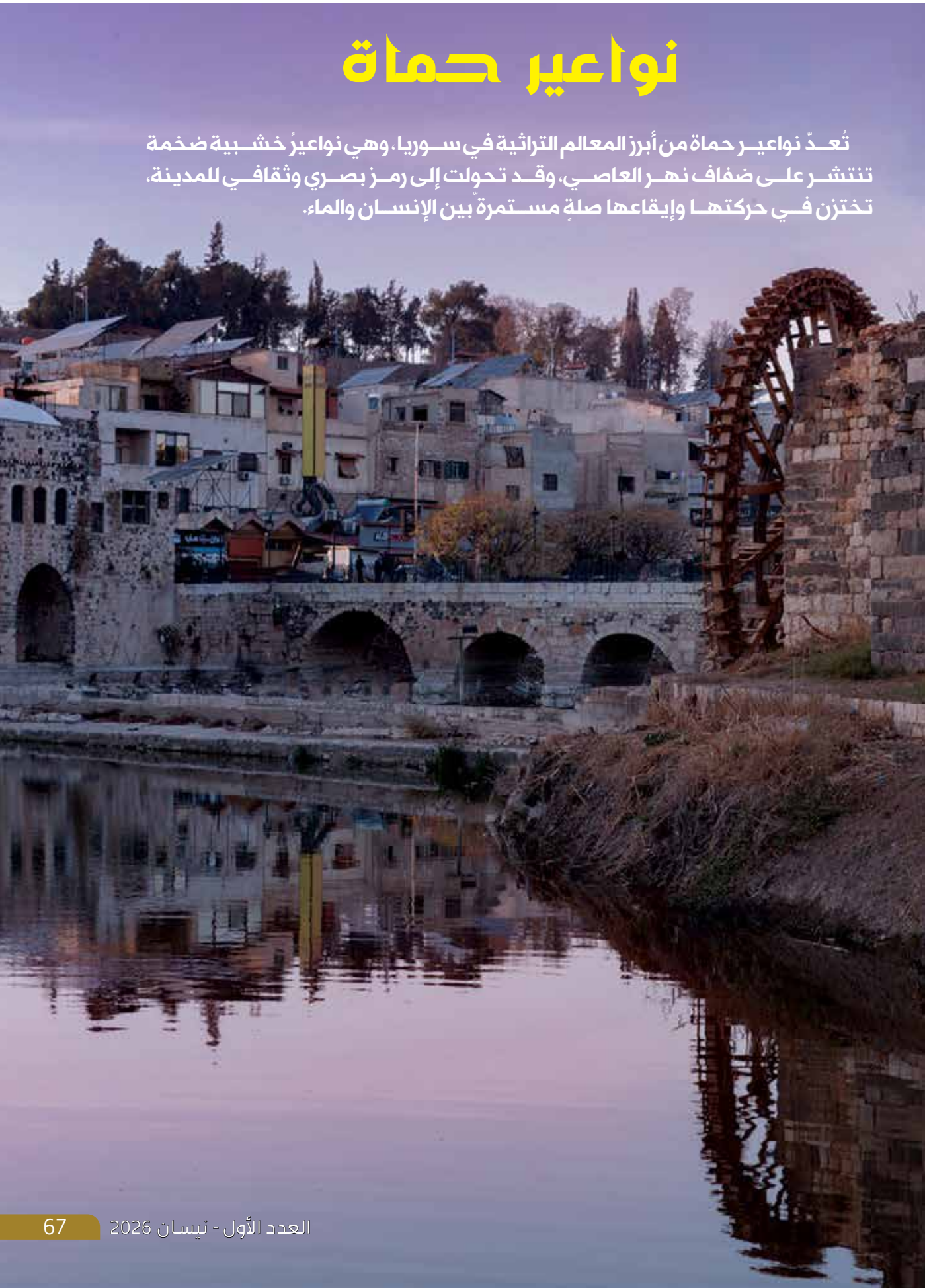

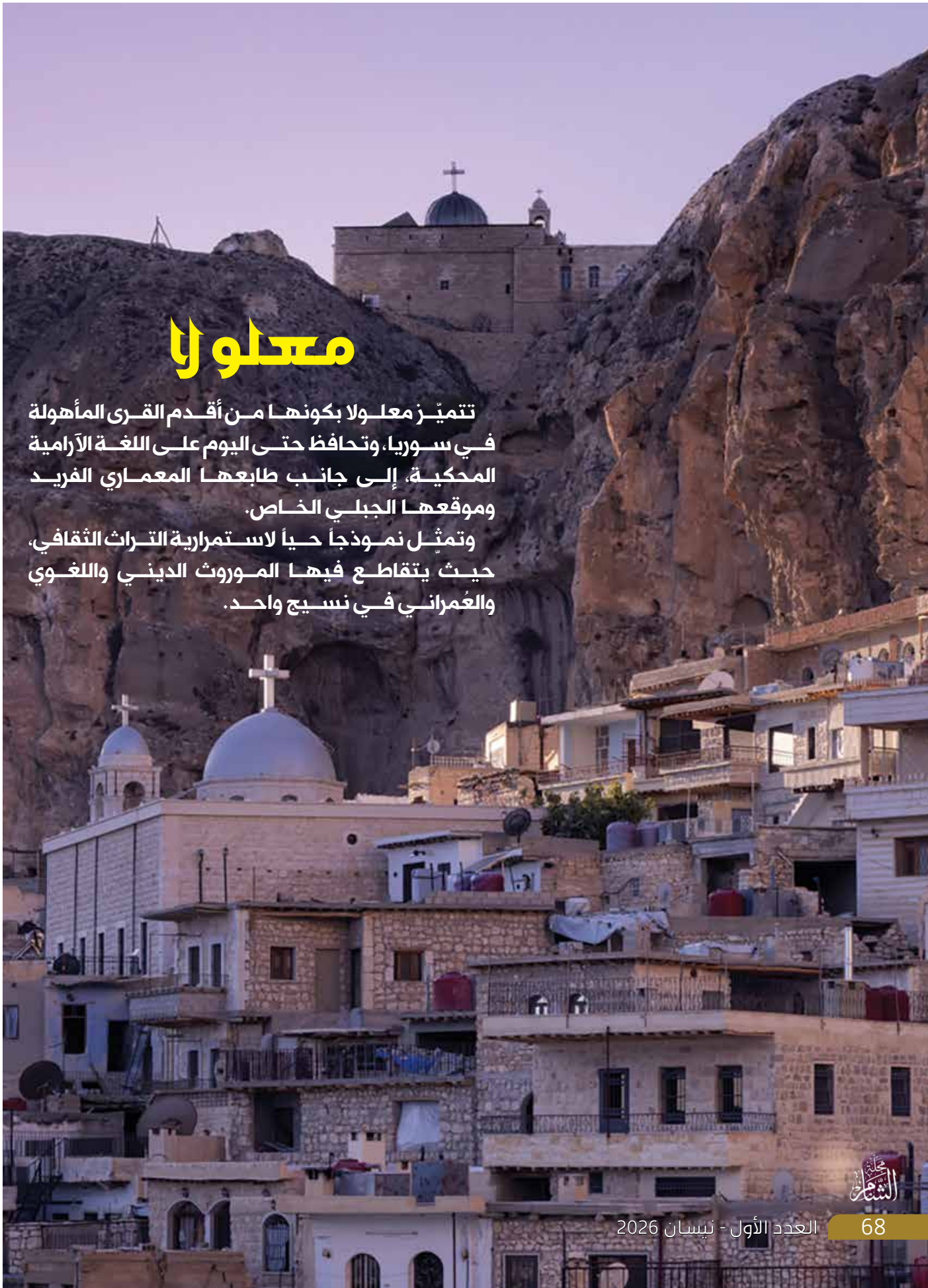

معلولا

تتميّز معلولا بكونها من أقدم القرى المأهولة في سوريا، وتحافظ حتى اليوم على اللغة الآرامية المحكية، إلى جانب طابعها المعماري الفريد وموقعها الجبلي الخاص.

وتمثّل نموذجاً حياً لاستمرارية التراث الثقافي، حيث يتقاطع فيها الموروث الديني واللغوي والعُمراني في نسيج واحد.

وزارة الثقافة

MINISTRY OF CULTURE

موسوعة الجامع الأموي الكبير

بدمشق

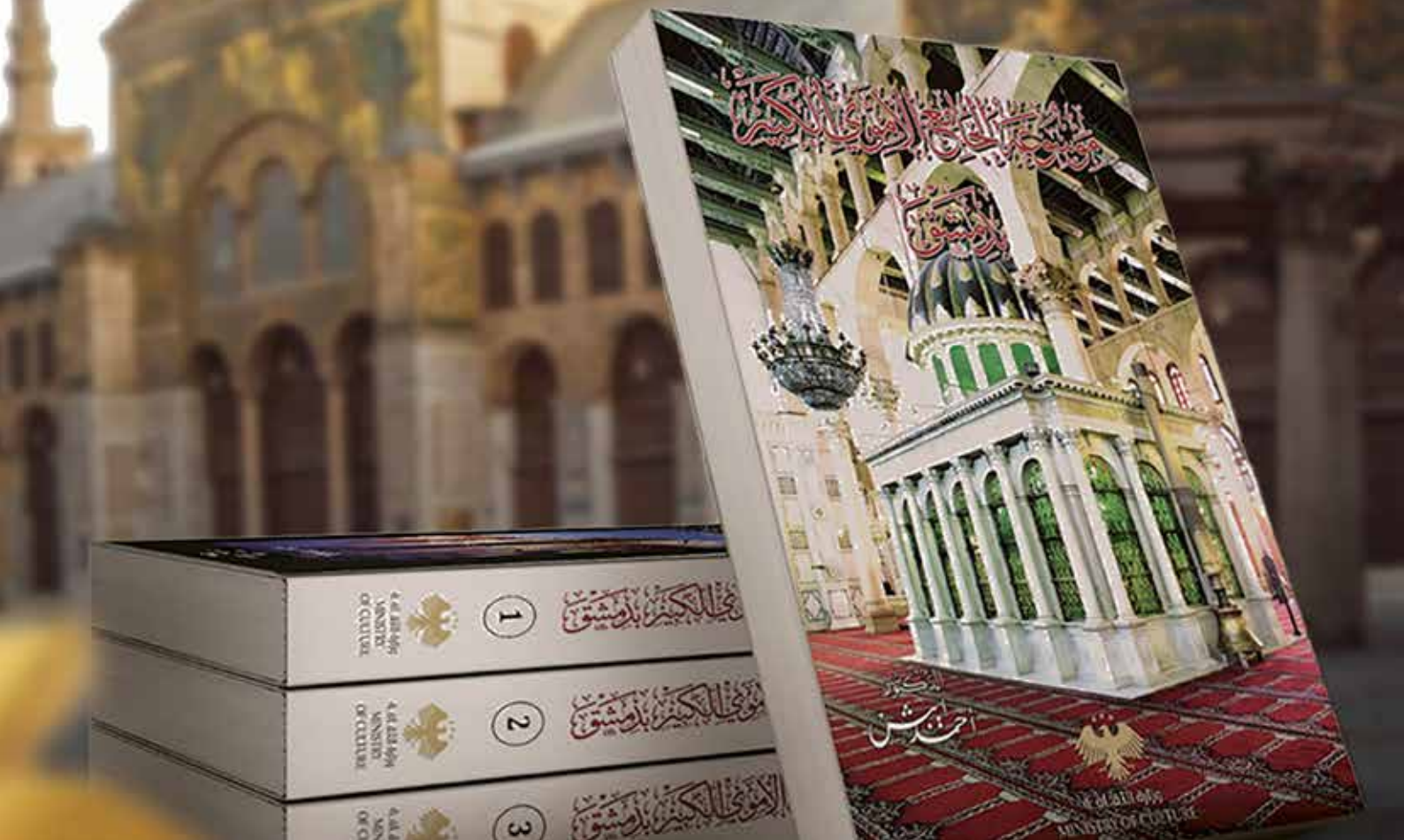

طفولة

الشاعر محمد صارم

أزدان
كالولع المُباغت
ليس من شيء
فلا أمِّي ترتِّبُ صمتَها
وتضمني
بعيون لهفتها
ولا انكشفت ليَ الأسرار
لكنّي مضيتُ ومعطفي غيمٌ
وشمسي تسرق الأسماع
أردانِ الصباح حكايتي
والنهرُ يدلفُ من خبايا الكم مثلي
لمْ أباغت بنت جارتنا الصغيرة
كانَ يحملُها الكلامُ إلى الثريا؛
بيننا وتر يقاسمنا الصعودَ إلى المراتب
تلك أزهار الطفولة تحرس الأعمار
من خيل الهموم ومن
متاعبنا الشقية
نُسلِمُ الأيدي وننعس في تضاريس السلام
وآخر الرغبات
نخرج من نوافذنا إلى حلم سرير
تجد الفراشة ظلها في ظلّها ًفأطيرُ مثْلَ
جناحها
نحن احتفرنا فوق نهرِ الريح أسماءً
وآلهةً.. وبعثرنا كَواكبنا
تعاهدنا على الكتمان
لا نفشي بسر الأصدقاء
إذَنْ يرانا الله
والآباء لا يَتفهمون حديثنا السري
أمي تكسِرُ الإيقاع
أسمع صوتها المسروق من عبق على
الجدران
- هل ناديتَ أختَك يا بني؟
- وهل شربْتَ حليبك المغلي؟
- هل أعطى أبوك لجارنا أشياءَهُ؟

- لِمَ لا تردَّ عليَّ يا ...
- أوليس يَشغلني
سوى هذي الأمور؟!
أقولُ في سري..
وتفلتُ من يديْ شهُبٌ
وتنعس في مسار مياهها الأنهار
هل للنار وزن يا أبي؟
ولِمَ المياه شفيفة والبحرُ أزرق؟
كانحناء الأفق
يصحو من شرودِ شروده ويقولُ :
ماذا قلت؟!
ناولني حذائيَ واغتسل فيداك سوداوان
تخطف أختي الصغرى انتباهي
ثم تشبك نجمةً أخرى على تنورة أخرى
وتبحث عن بنات أخريات
يقتسمن أُمومةً معها
ويضربن الدُّمى لتصير أحلى
ثم يغسلْنَ الدُّمى بالماء و الأحلام
يا لسخافة الفتيات
لا يعرفن
ماذا بعد هذا الشارع الممدود كالقوس
الغريبة
يلتصقن بحائط الدار الصغيرة كالظلال
وكلما هبَّت رياح يلتجِئْنَ إلى الحكاية
في خيال من خيال
وأفيقُ.. أمي هيأتْ لي وجبةَ الصبح
الخفيفة
مسرعاً أمضي إلى ولع الحياة

فأنتحي بالصبح :
ماذا بعد هذا الشارع الممدود؟!
كالقوس الجريئة
ليتني حرٌّ بلا أبوينِ كالشمسِ الطليقة
كالخريف
كريح بعدَ الظُّهرِ كالعنب الأخير

وليت أني طائر أو معدن أو شارع
أو كل هذا الكون
أمضي نحو بيت الليل
أسرق قطعة من عتمة
وأُهيل شيئاً من خيال البرقِ فوق
الذكريات
وأمدُّ كفاً للخريف ومعصماً للماء
أولد من رياح لا بيوتَ لها
وأدنو من كلام النهرِ مثلَ الأغنيات

أحبـــكَ يـــا أخـــاً

الشاعر ماجد الأسود

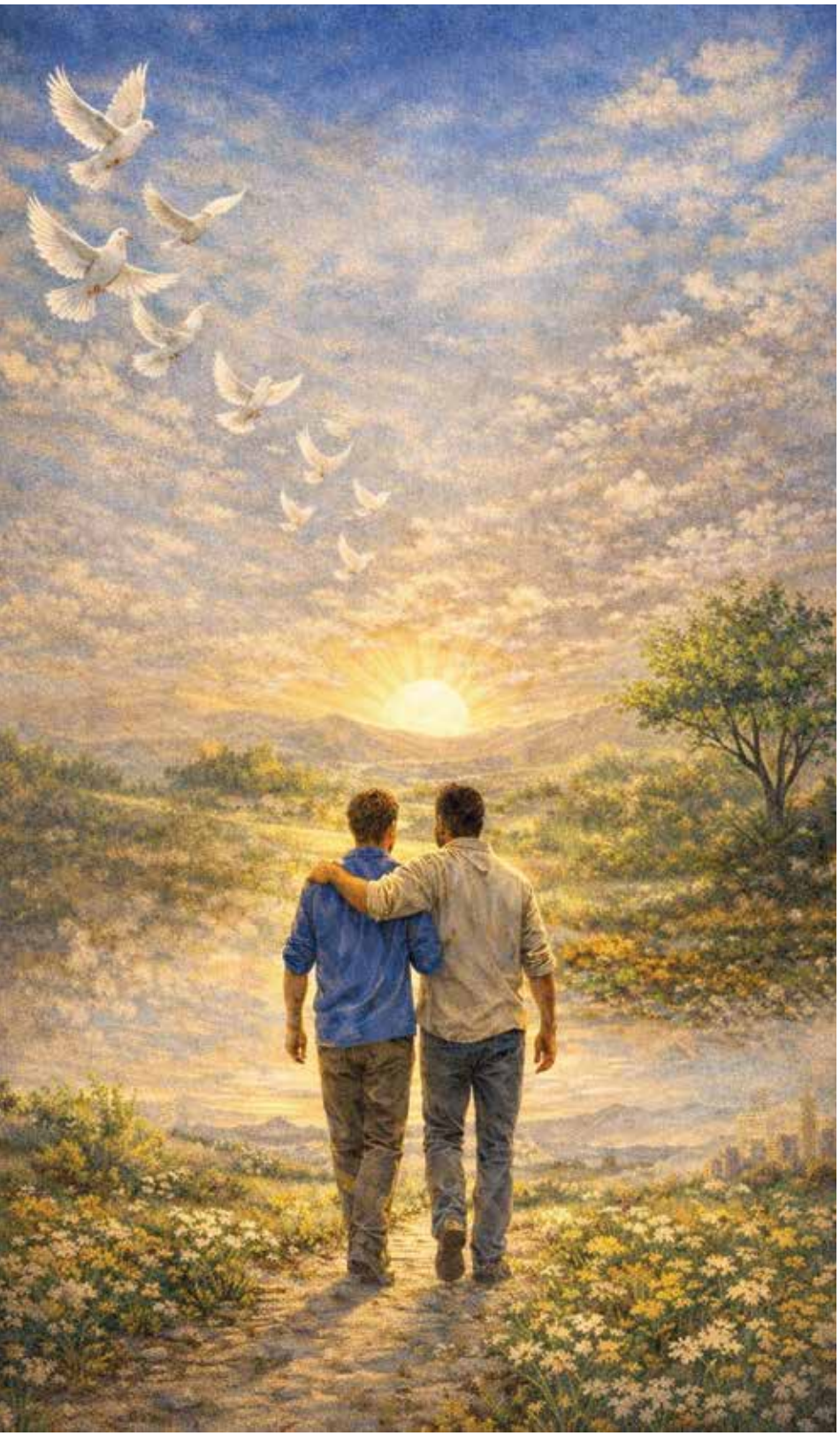

تعال إليَّ لا تسألْ عن اسمي
وأصلِ هُويّتي أو شكلِ رسمي
ومُدَّ يديك كي نحيا سويّاً
ونبني عالماً بالحبِّ يَنمي
بهِ سنعيشُ أحراراً لأنَّا
خُلقنا هكذا من غيرِ وسمِ
فإن أبصرتُ في عينيك دمعاً
أحسُّ بخافقي بالدمِّ يَهمي
وما لاحتْ بشائرُ من سرورٍ
على شفتيكَ إلا زالَ همِّي

****

تعال نعمِّرِ الإنسانَ فينا
بلا خوفٍ ولا حقدٍ وظلمِ
بدنيا تزدهي فيها رؤانا
طيورَ محبةٍ ورفيفَ سِلمِ
كلانا من شغافِ الأرضِ جئنا
أحبُّك يا أخاً من غيرِ أمي

سُـــورةُ العِنـــــاق

إلى السوريين على امتداد الجغرافيا السورية، بلا أي خلاف

محمد زياد شودب

باسمِ العِنـــــــاقِ تجلَّى الحُـــبُّ والمَطَـرُ
تـلاقيـــاً فـوقَ مـــا تستوعـبُ الصُّـــتـوَرُ
تـلاقيـــاً أُمـــــويَّ العزفِ نلمِسُـهُ
بجلـــــدِ أرواحنـا الـــــولهى وننهمِـــرُ
من بعدِ هذيْ العِجافِ السُّودِ كيف تُرى
ننسى الأســـى وجِـــراحاتُ الأسى كُثُـــرُ
وكيفَ يا أمَّنا ننسى الشَّتـــاتَ غـــداً
وليس يَنسى انكســـــارَ النَّخلةِ الثَّمَـــرُ
ننسى لأنَّـــــا بنوها الصَّاعـــدون إلى
أعلى ليُصبـــــحَ أدنى خطـوِنـــا القمـــرُ
من فكـــرة النَّبـعِ والأنهارِ تحفظُنا
في جينهـــا الأرضُ نصحـــــو ثمَّ ننحـــدرُ
مُفـــــرَّقـينَ ولكنَّـــا عـلى ثقـــة
أنْ سوف تجتمـــعُ الرِّيشـــاتُ والـوَتَـــرُ
ويبـدأُ العزفُ ينسلُّ الغنـــــاءُ نرى
ما ليس يـدركُـــه حـــدسٌ ولا بصـــرُ
في سُوريا تنزلُ الآيـــتـاتُ شاهـــدةً
أنَّ النبيَّينِ صـــوتُ المـــــاءِ والشَّجـرُ
في سُـــوريا لا يسيلُ الوقت من يدنا
مهمـــا انتظـتـرنـــا فإنَّ الـوقتَ ينتظـــــر
في سوريا كـــلُّ قلبٍ حـــــالمٌ بغدٍ
وكـــــلُّ حلمٍ عـلى طـلّابـــه حَـــذِرُ
في ســـوريـا حنَّت الأشيـاء دون دمٍ
يا مـــــا بكى في ليـــالي أنسه حجـرُ

وزارة الثقافة
MINISTRY OF CULTURE

حمص الأربعاء

من قلب حمص، انطلق فريق أربعاء حمص ليكون مساحةً حيّة تعيد للمدينة روحها، وتستعيد دورها الثقافي كواحدة من أهم الحواضر السورية.

هو فريق الهوية الوطنية في وزارة الثقافة، يعمل على تعزيز الهوية الوطنية السورية، وبناء مجتمع متماسك ومبدع، يؤمن بأن إعمار سوريا يبدأ بالإنسان.

الأنشطة والأعمال:

- **إقامة** فعاليات ثقافية وفنية وشبابية
- **صناعة** مساحات للتعبير والإبداع
- **إشراك** المجتمع في مبادرات تطوعية
- الربط بين الثقافة والإعلام والتنمية للحفاظ على التراث **وصناعة المستقبل**

محطات بارزة:

- إقامة مؤتمر جمع التبرعات الأول بعد التحرير في سوريا
- صناعة المحتوى والتغطية الإعلامية لمعرض دمشق الدولي **ومعرض دمشق الدولي للكتاب**
- عرض أفلام سينمائية في حمص
- إقامة مهرجان **نيسان حمص** وما يرافقه من بازار وفعاليات للتعريف بـ**تراث حمص.**

© all right reserved. Wednesday of Homs

خالد الساعي.. من ضفاف الفرات إلى البرغامـون وآفـاق العالمية

فنـان تشـكيلي وحـر وفـي وقيّـم ملتقيـات فنيـة درس الفـن فـي جامعـة دمشـق والخط في إسـتانبول أقـام أكثر مـن ثلاثين معـرضاً فرديـاً. وعـدداً كبيراً مـن المشـاركات بالمتاحـف والملتقيـات والصالات فـي العالم. ومنها فـي المتحف الوطني بدمشـق، ومتحـف الفن بون/ في ألمانيـا، ومتحف جواتي روخو بالمكسـيك، والبيت العربـي في مدريـد، ومعهد العالم العربـي فـي باريـس، وكوزومـز وورد في بلجيـكا، والمجلـس جاليري بدبـي، وبينالي فـي رومـا، وصالـة غاتينـو فـي كنـدا، وصالـة بيـج بونـد فـي فرجينيـا / أمريكا، وجويـت آرت جاليـري بويلسلي/بوسـطن، وكاشـيا هيلدبراند فـي لنـدن والكثير من المشـاركات الأخـرى المتنوعة.

درَّسَ الفـن والخـط فـي عـدد مـن المؤسسـات والجامعات مثل جامعة ميشـيجان، وويلسـلي كوليج، وجامعـة ييـل والمؤسسـة العربيـة الأوربيـة بغرناطـة، ومنتـدى أصيلـة بالمغـرب والشـارقة.

أعمالـه مقتنـاة في عدد مـن المتاحـف والمؤسسـات والبنوك والمجموعـات الخاصـة مثـل: المتحـف البريطانـي بلنـدن، متحـف البرغامـون ببرليـن، ومتحـف دنفـر بكولـورادو، ومتحـف الفـن بميشـيغان، والبيت العربي بمدريد، ومتحف بويبلا في المكسـيك، ومؤسسـة أصيلـة فـي المغـرب، وقطـر فاونديشـن، وجميـل فاونديشـن، ومتحف الشـارقة للخـط، ودويشـة بنـك، وبنـك المشـرق، وبنك قطـر الأول قاعة روز رويز لندن ودبي، والكثير منها ومن المجموعات الخاصـة بمختلـف أنحـاء العالـم، وقـد حـاز العديد من الجوائز، منهـا الجائزة الأولى بنـك البركة في إسـتانبول، والجائزة الأولى فـي بينالـي الشـارقة لمرتيـن، والجائـزة الأولى الحروفيـة في مهرجـان الجزائر للخط بالـدورة الثانيـة، والجائـزة الأولى للخـط الديوانـي الجلـي فـي المسـابقة الدوليـة لفـن الخط في إسـتانبول Ircica، وعـــدداً مـن التكريمـات الدوليـة، في المكسـيك. ومتحـف جواتي روخو، وتكريماً من ملتقى القاهرة الدولـي، وتكريماً من جمعية الخط في المغرب وتكريماً في الشـارقة وغيرها.

عَمِـلَ قيّمـاً فـي عـدد مـن المهـرجانات الدوليـة، و عضـواً للجنـة التحضيريـة لملتقـى الشـارقة لفـن الخـط منـذ الـدورة الأولى.

أعمالـه في موسـوعات وكتب فنية كثيرة، وقدمـت العديد من أطروحات الدكتـوراه عن أعماله.

ولـه عـدد كبيـر مـن الجداريـات فـي أنحـاء العالـم، منها في ألمانيا وفرنسـا وإسـبانيا وأمريكا وسـوريا والمغرب وقطر ولبنان وغيرها.

جدارية ربيع المغرب.
سنة 2025

اللوحة. تأتين لي
قياس 110x160 cm أكرليك وكولاج على قماش.
سنة الانجاز 2025.

تقفين بيننا...أنا و رذاذ خفيف
قياس 35x60cm - حبر وأكرليك على ورق.
سنة 2016

زهرة المحيط.
قياس 120x140cm - أكرليك على قماش.
سنة الانجاز 2024.

من شعر محمود درويش
ورأيت وجهك حين يغسله الشعاع.
قياس 140x240cm
أكرليك وفضة على قماش

وزارة الثقافة
MINISTRY OF CULTURE

بالتعاون مع منظمة

COSV
COOPERAZIONE PER LO SVILUPPO

مشروع
بيت التراث السوري

البرج الثامن في قلعة دمشق

مساحة ثقافية
متعددة الوظائف

تجربة حية
حيث يلتقي التراث
بالحياة المعاصرة

فعاليات مجتمعية
ندوات، أنشطة وبرامج
تعليمية وثقافية

فضاء ثقافي
معارض، ورش عمل
ومكتبة تراثية

حفظ التراث
صون الذاكرة التاريخية
والمعمارية للقلعة

صناعة الخزف والفخار..
مهارةُ اليد وامتدادُ المكان

تُعدّ صناعة الخزف والفخار من أقدم الحرف التقليدية، إذ تمثّل جزءاً من التراث الثقافي الذي يعكس علاقة الإنسان السوري ببيئته وموارده الطبيعية، وتندرج هذه الحرفة ضمن فنون الحِرف التقليدية التي جمعت بين الوظيفة اليومية والبعد الجمالي، حيث استُخدمت منتجاتها في المنازل، كما حملت في زخارفها ملامح الهُويّة المحلية لكل منطقة.

تعتمد هذه الصناعة اعتماداً أساسيّاً على الطين والصلصال، وهي مواد طبيعية تتحول، بعد خلطها بالماء، إلى عجينة مرنة قابلة للتشكيل. وتتعدد طرق العمل في الخزف، بدءاً من التشكيل اليدوي بالضغط أو اللف، مروراً باستخدام الدولاب الذي يتيح إنتاج أشكال متناظرة، وصولاً إلى النحت والقوالب الفخارية.

وبعد تشكيل القطع، تُشوى في أفران بدرجات حرارة مرتفعة تُراوح بين 800 و1000 درجة مئوية، ما يمنحها صلابة ومتانة تسمح باستخدامها في الطهي أو التخزين أو الزينة.

تنتشر صناعة الخزف في مختلف المناطق السورية، لا سيما في المدن الكبرى مثل دمشق وحلب، وترتبط غالباً بوجود مصادر الطين ويمارس هذه الحرفة رجال ونساء، سواء عبر الوراثة العائلية أو من خلال التعلم في المعاهد الحرفية، مثل معهد الفنون التطبيقية ومراكز التدريب المتخصصة.

ولا تقتصر أهمية الخزف على كونه منتجاً ماديّاً، بل لأنّه يحمل أيضاً قيمة ثقافية تعكس الذائقة الفنية للمجتمع، وتُظهر مهارة الحرفي وقدرته على الابتكار، فكل قطعة خزفية تحمل بصمة صانعها، وتُجسّد تفاعلاً بين الخبرة التقنية والحس الإبداعي.

من حفل الافتتاح الرسمي لمعرض دمشق الدولي للكتاب

قصر المؤتمرات بدمشق

5 شباط 2026

معرض دمشق الدولي للكتاب 2026

حدثٌ يُعيد سوريا إلى صدارة المشهد الثقافي العربي والدولي

في مشهدٍ استثنائي يعكس تحوّلاً عميقاً في الحضور الثقافي السوري، شهد معرض دمشق الدولي للكتاب بدورته التي امتدت من السادس حتى السادس عشر من شباط 2026 نقلة جوهرية في المسار الثقافي، كونه حل القيود التي كان يفرضها النظام البائد، مؤكداً عودة الثقافة إلى قلب الحياة العامة، إذ لم يكن مجرّد تظاهرة ثقافية، بل محطة مَفصِلية أعادت تثبيت موقع سوريا لتكون منارة للمعرفة ومنصّة للحوار الحضاري في محيطها العربي والدولي.

حضور عربي ودولي سوريا في قلب الخريطة الثقافية

عزّزت المشاركة الواسعة لأكثر من 500 دار نشر عربية ودولية من نحو 35 دولة مكانة المعرض ليكون منصّة ثقافية عابرة للحدود. كما مثّلت مشاركة المملكة العربية السعودية ودولة قطر بوصفهما ضيفتي شرف خطوة لافتة في اتجاه تعميق العلاقات الثقافية العربية. هذا الحضور النوعي لم يقتصر على العرض والنشر، بل أسهم في بناء جسور جديدة لتبادل الإنتاج الفكري، وتكريس المعرض مساحةً للتلاقي والحوار بين مختلف الاتجاهات الثقافية.

عودة الجمهور إلى الكتاب

في صلب هذا الحدث، برز تصريح نائب وزير الثقافة ومدير المعرض الأستاذ سعد نعسان، الذي قدّم صورة دقيقة لحجم هذا الإنجاز، مؤكداً أن الدورة الاستثنائية حققت أرقاماً غير مسبوقة، حيث استقبل المعرض نحو 1.29 مليون زائر، بينهم أكثر من 350 ألف طفل، في مؤشر واضح على عودة الأجيال الجديدة إلى فضاء المعرفة. كما شهد المعرض تنظيم ما يقارب ألف فعالية ثقافية، وتسجيل مبيعات تجاوزت 500 ألف كتاب، مع إتاحة أكثر من 140 ألف عنوان أمام القرّاء. هذا الزخْم الرقمي لا يعكس نجاحاً تنظيمياً فحسب، بل يؤكد تحوّل المعرض إلى حدث جماهيري واسع، واستعادة الكتاب لدوره ليكون رافداً رئيسيا للوعي ومحرِّكاً للحياة الثقافية.

حرية الكتاب وانفتاح المعرفة

للمرة الأولى في تاريخ المعرض، عُرضت الكتب دون أي قيود أو رقابة مسبقة، وفتحت أبوابٌ كان النظام البائد يغلقها في وجه مكونات المجتمع السوري، في تحوّل يعكس نهايةَ مرحلة طويلة من تقييد المعرفة، وبدايةَ عهد جديد قائم على حرية التعبير والانفتاح الفكري. وقدّم هذا التنوع في العناوين والاتجاهات الفكرية رسالة واضحة بأن الثقافة السورية دخلت مرحلة أكثر نضجاً وقدرةً على احتضان التعددية، حيث بات الكتاب أداةً للتفكير الحر، وجسراً للتفاعل بين المجتمع ومبدعيه.

الثقافة في صلب الاهتمام الوطني

حظي المعرِض بحضور رسمي لافت، جسّد اهتمامَ الدولة بالثقافة لتكون

ركيزة أساسية في السياسات العامة، حيث التقى السيد الرئيس أحمد الشرع وزير الثقافة السيد محمد ياسين الصالح ونائب الوزير الأستاذ سعد نعسان، إلى جانب نخبة من الشعراء والأدباء والمثقفين العرب المشاركين، مؤكّداً دور الثقافة في تعزيز الروابط العربية وترسيخ قيم المعرفة والانفتاح، ومناقشة واقع الحركة الأدبية وآفاق تطويرها. كما أجرى جميع الوزراء وكبار المسؤولين زيارات للمعرض، في رسالة واضحة بأن الثقافة تحتل موقعاً متقدّماً في السياسات العامة للدولة، وأن معرض الكتاب يُعدّ منصّة إستراتيجية لتعزيز الوعي ودعم صناعة النشر.

برنامج ثقافي متكامل

تميّز المعرض ببرنامج ثقافي شامل ضمّ ندوات فكرية وأدبية، وجلسات حوارية متخصّصة، ولقاءات مباشرة مع الكتّاب، إضافة إلى أنشطة فنية وفعاليات مخصّصة للأطفال واليافعين. كما برزت مبادرات إنسانية لاستقبال ذوي الهمم، في تأكيد واضح لمبدأ الشمولية الثقافية، وترسيخ فكرة أن المعرفة حق متاح لجميع فئات المجتمع دون استثناء.

تفاعل حيّ بين الكتّاب والجمهور

أتاح المعرض تجربة معرفية متكاملة للزائرين، كما تحوّلت جلسات توقيع الكتب إلى فضاء تفاعلي مباشر، عزّز العلاقة بين الكتّاب وجمهورهم، وأعاد للكتاب دوره ليكون وسيطاً حيّاً للحوار والتواصل.

تعزيز الثقافة المستدامة

على هامش المعرض، أعلنت وزارة الثقافة إطلاقَ مجموعة من المشروعات النوعية، أبرزها ملتقى الخط العربي والزخرفة، ومشروع «البيت الثقافي السوري» لدعم المبادرات الإبداعية وإطلاق منصات رقمية وتدريبية متخصّصة. إذ تعكس هذه المبادرات توجّهاً إستراتيجياً نحو بناء منظومة ثقافية حديثة قائمة على الابتكار والشراكات الدولية.

احتفاء بصنّاع الأثر الثقافي

اختُتمت الفعاليات بتكريم نخبة من المبدعين ودور النشر، في احتفاء مستحق بصنّاع المعرفة، حيث توزّعت الجوائز على مؤسسات وأفراد أسهموا في إثراء المشهد الثقافي العربي، ما أضفى بعداً معنوياً يعزّز قيمة الإبداع ويَحفِز استمراريته.

الثقافة مسار للتعافي

أثبت معرض دمشق الدولي للكتاب في دورته الاستثنائية أنه حدث يعكس إرادة التعافي وبناء المستقبل. ومع هذا الحضور الجماهيري الكبير، والانفتاح الفكري غير المسبوق، تتكرّس قناعة راسخة بأن الثقافة ستبقى ركيزة أساسية في إعادة بناء الإنسان، وأن الكتاب سيظل الأداة الأعمق لصياغة الوعي وصناعة الأمل في سوريا.ص

جولة وزير الثقافة في دير الزور والرقة مطلع 2026.. تحركات ميدانية ومشروعات لإحياء المشهد الثقافي.

شهد مطلع عام 2026 جولة ميدانية لوزير الثقافة محمد ياسين الصالح في محافظتي دير الزور والرقة، وذلك في إطار عمل وزارة الثقافة على تفعيل دور المواقع الأثرية في الجزيرة والفرات في المشهد السوري.

في دير الزور، أجرى الوزير الصالح زيارة لمديرية الثقافة والمتحف الوطني، وعَبَر النهر إلى مدينة هجين التي عادت إلى سيطرة الدولة السورية مع كامل المحافظة، حيث عقد لقاءات مع وجهاء العشائر والفعاليات الشعبية، مؤكداً ضرورة تفعيل المراكز الثقافية وتنشيط الفعاليات الفكرية والفنية، لتصبح الثقافة جسراً يربط المجتمع بمؤسساته ويعيد الحياة إلى قلب المحافظات.

وفي محافظة الرقة، أكد وزير الثقافة أنّها مدينة التاريخ والحضارة، رمز العيش المشترك والصمود الوطني، كما كانت قلعة (جعبر) التاريخية محطة ضمن زيارته، حيث أعلن الوزير إدراجها ضمن برامج الوزارة المستقبلية، لتحويلها إلى فضاء مفتوح للأمسيات والفعاليات الثقافية، ما يعكس ثراء سوريا الحضاري ويعزز مكانة الجزيرة والفرات في المشهد الوطني.

وزارة الثقافة تعزّز صون التراث عبر «ملتقى رواق»

عـزّزت وزارة الثقافـة عملهـا في صـون التراث السـوري عبر توقيـع مذكرة تفاهم أطلقـت بموجبها مشـروع «رواق»، الهادف إلى توثيـق التـراث المادي واللامـادي وإتاحته عبـر منصات رقمية متخصصة .

ويأتـي مشـروع هـذا الملتقـى ضمـن توجّـه تعمـل الـوزارة على ترسـيخه، يقـوم على تمكين المبـادرات الثقافيـة واحتضانها شـريكاً في صـون الهُويّة الوطنيـة، مع تطوير دورهـا نحو نموذج الحاضنـة والمُمكِّن، عبر بناء الأطـر القانونيـة والتنظيمية، وتوفير المسـاحات والمنصـات التـي تتيـح تحويـل الجهـود المتفرقة إلى عمل مؤسسـي أكثر اسـتدامة.

ويغطـي ملتقـى « رواق» مجـالات متعـددة تشـمل الحـرف التقليديـة، والفنـون، والأزيـاء، والعِمـارة، والتـراث الغذائـي، مـع تركيـز خـاص على توثيـق الحـرف ممارسـة حيّـة تحمـل ذاكـرة المجتمـع.

ويعتمـد فـي عملـه على منهجيـة دقيقـة تتـوزع على خمـس وحدات رئيسـية: التنسـيق، والتوثيق، والمنصة الرقمية، والتحرير، والترجمـة، بمـا يتيح إنتـاج محتوى موثـوق وقابـل للتداول.

وفي إطـار خطتـه للمـدة 2026–2030، يعمل المشـروع على تنفيـذ برامـج سـنوية متخصصـة، وبناء أرشـيف بصـري ووثائقي شـامل يوثـق المـوروث الثقافـي السـوري وقصصـه المرتبطـة بالمجتمـع، إلى جانـب تطويـر أدوات العرض والتفاعـل عبر أروقة متعـددة، منهـا: رواق النسـيج والأزيـاء، والطعـام، والموسـيقا، والهويـة العمرانية، بما يتيـح إعادة تقديم التـراث ضمن مقاربات معاصـرة تفتـح المجـال لفهمه والتفاعـل معه.

في رحاب خان أسعد باشا بدمشق..
«ديوان خالد» يحتفي بالشعر ويستعيد وهج الكلمة

احتضن خان أسـعد باشـا أمسـية «ديوانٌ خالد» التي نظّمتها وزارة الثقافـة احتفاءً باليوم العالمي للشـعر، الـذي يصادف الحادي والعشـرين مـن آذار من كل عام. وفـي كلمته، أشـار وزير الثقافة محمـد ياسـين الصالـح إلى أن اليـوم العالمي للشـعر يمثل محطة مهمـة فـي المشـهد الثقافـي، وشـدد على ضـرورة دعـم الإبـداع الشـعري المعاصـر، إلى جانـب الحفـاظ على الإرث الشـعري، كمـا أشـار إلى أهمية هـذه الفعاليات التي تعزز حضور الشـعر في الحياة العامـة، وتعيـد إليـه مكانته ليكـون فنّاً قـادراً على ترسـيخ الوعي الفكري فـي المجتمع.

تخللـت الأمسـيةَ قـراءاتٌ شـعرية قدّمهـا نخبـة من الشـعراء، عكسـت ثراء التجربة الشـعرية، إلى جانب فقرات فنية وموسـيقية ومسـابقات تفاعليـة مـع الجمهـور، فـي مشـهد يعكـس حضـور الثقافـة فعلاً مشـتركاً يتكامـل بتفاعـل الجمهور.

وجـاءت هـذه الفعاليـة تحيـةً للشـعر، الـذي يمثّل مـرآة الروح العربيـة وذاكـرة وجدانها، وجسـراً يصل بيـن عراقة التـراث وآفاق الحداثة.

مهرجان مونودراما حلب 2026..
حضورٌ مسرحي متجدد وفعاليات متنوعة

تحت رعاية وزارة الثقافة السورية، نظّمت مديرية المسارح والموسيقا في حلب مهرجان مونودراما حلب على خشبة مسرح دار الكتب الوطنية، في إطار جهود تنشيط الحركة الثقافية وإعادة إحياء الفضاء المسرحي بوصفه أحد أبرز أشكال التعبير الفني في المدينة.

المهرجان، الذي استمر 8 أيام من 27 آذار حتى 3 نيسان 2026، احتفى بفن المونودراما، وهو عرضٌ مسرحي يقوم على ممثلٍ واحد يقدّم العمل كاملاً، ويرتكز على التكثيف الدرامي وقوة الأداء الفردي في إيصال الأفكار والمشاعر مباشرة إلى الجمهور.

وضمّ برنامج المهرجان عُروضاً مسرحية، من بينها «قيد الحبر» و«ليلة التكريم» و«ذهان»، عكست تنوّعاً في الطروحات الفنية والأساليب الإخراجية. كما رافقت العروض ندوات فكرية متخصصة ناقشت موضوعات منها «المونودراما بين التأليف والإخراج» و«المونودراما والتجربة الكاملة»، ما أتاح مساحةً للحوار وتبادل الخبرات بين الفنانين والمهتمين.

وجاء الافتتاح من خلال عرض مسرحي بعنوان «سيد الخشبة»، قدّم تجربة مونودرامية، واختُتمت الفعاليات بحضور متنوع، عكس تفاعلاً ملحوظاً مع العروض المسرحية.

---

24 فيلماً في تظاهرة «أفلام الثورة السورية» بدورتها الثانية..
استك مالُ لتوثيق ذاكرة النضال ومسار الحرية

تحت رعاية وزارة الثقافة، استضافت دار الأوبرا بدمشق، الدورة الثانية من تظاهرة «أفلام الثورة السورية» التي نظّمتها المؤسسة العامة للسينما، ضمن مشروع سينمائي يسعى إلى توثيق الذاكرة البصرية للتحولات التي شهدتها سوريا خلال مرحلة حكم النظام البائد.

التظاهرة التي استمرت من 19 حتى 23 نيسان، ضمّت برنامجاً من 24 فيلماً، تنوّعت بين الروائي والوثائقي، منها 9 أفلام طويلة و15 فيلماً قصيراً، وقدّمت زوايا سردية متعددة لتجربة الثورة وما رافقها من تحولات إنسانية واجتماعية.

ومَثّل فيلم «المترجم»، الذي عُرض في عدد من المهرجانات والمحافل الدولية، أحد أبرز عناوين حفل الافتتاح، لما يحمله من بعد إنساني ورؤية فنية تعكس قدرة السينما على نقل التجربة السورية إلى فضاءات أوسع.

وتأتي هذه الدورة استكمالاً للدورة الأولى التي انطلقت في أيلول 2025، ضمن مسار يسعى إلى بناء أرشيف سينمائي متدرّج يوثّق هذه المرحلة، كما تتضمن إضافة أعمال جديدة لم تُعرض سابقاً، بما يعزّز تنوّع البرنامج ويغني التجربة الفنية. وتؤكد المؤسسة العامة للسينما أن المشروع يهدف إلى ترسيخ دور السينما بوصفها أداة توثيق وذاكرة بصرية حيّة، تعبّر عن تجارب السوريين وتواكب تحوّلاتهم.

نيسان حمص.. مهرجان يُعيد إحياء المشهد الثقافي في المدينة ويُكرّس حضوره المتجدد

شـهدت سـاحة الأربعين في حمـص فعاليات مهرجان «نيسـان حمـص» 2026، الـذي أقيـم خلال المـدة الممتـدة بيـن 15 و24 نيسـان، وجـاء المهرجـان بتنظيـم مـن فريـق «أربعـاء حمـص» برعايـة وزارة الثقافـة ومحافظة حمص، في سـياق حَـراك ثقافي متجـدّد يعزز حضـور الفـن والإبـداع الثقافي.

وأجـرى وزيـر الثقافـة محمـد ياسـين الصالـح ومحافظ حمص عبـد الرحمـن الأعمـى جولـة فـي المهرجـان، اطّلعـا خلالهـا على مختلـف الفعاليـات والبرامـج، فـي تأكيـد لدعـم المبـادرات التي توسّـع دائـرة المشـاركة وتفتـح المجال أمـام حضور ثقافـي أكثر اتصـالاً بالمجتمع.

وقـال وزيـر الثقافـة محمد ياسـين الصالـح: إن هـذه الفعالية تفتـح مسـاحة جامعـة للسـوريين، وتسـهم فـي ترسـيخ قيـم التعايـش والتواصل المجتمعي، مشـيراً إلى الدور الحيـوي للحافلة الثقافيـة في دعم الحَـراك الثقافي ونشـر المعرفـة، ومثمّناً جهود الفـرق التطوعيـة والإعلاميـين والجهـات المنظمة.

وقدّم المهرجان برنامجاً متنوعاً شـمل عروضاً فنية وموسـيقية، وأكشـاكاً للحـرف اليدويـة والصناعـات التقليديـة بمشـاركة نخبة مـن الحرفييـن والمبدعيـن، إلى جانب أنشـطة مخصصـة للأطفال، وحضـور الحافلة الثقافيـة التابعة لوزارة الثقافـة التي قدّمت برامج تفاعليـة وتوعوية أسـهمت في تعزيز الوعـي الثقافي لدى مختلف الفئـات. كما قدّم جناح وزارة الثقافة مشـهداً ثقافيـاً متكاملاً جمع بيـن عبق التـراث وروح الإبـداع المعاصـر، من خلال معـارض فنية وإصـدارات فكريـة وعروض موسـيقية وورشـات تفاعليـة، مثّلت تجربـة غنيـة للزوار داخـل فضاء ثقافي حـيّ ومتجدد.

وشـهد المهرجان حضور عـددٍ من الشـخصيات الدولية والوفود الثقافيـة والدبلوماسـية، مـن بينهـا سـفيرة جمهوريـة الهنـد في سـوريا رينـو يـاداف، التـي اطّلعـت على فعالياتـه وأعربـت عـن تقديرهـا للحَـراك الثقافي السـوري، مؤكدة أهمية تعزيـز التعاون الثقافـي بيـن البلديـن. مـن جانبه، رحّـب الوزيـر الصالـح بزيارتها، مشـيداً بدور المهرجـان في تعزيز الحضـور الثقافي محليـاً ودولياً. ويأتي هذا الحدث ضمن مسـاعٍ لترسـيخ مكانة حمص على خريطة الفعاليـات الثقافيـة، وتقديمهـا نموذجاً يُدمـج الثقافة بالسـياحة، مـع التوجـه لاعتمـاد المهرجـان فعالية سـنوية مسـتدامة تعكس غنـى المدينـة وتجدد إرثهـا الثقافي.

دار أوبرا دمشق في الربع الأول من 2026..
تنوع فني يعكس حيوية المشهد الثقافي

شهدت دار أوبرا دمشق خلال الربع الأول من عام 2026 سلسلة فعاليات ثقافية وفنية أقيمت برعاية وزارة الثقافة، عكست حيوية المشهد الثقافي وتعدد مجالاته بين السينما والموسيقى والفكر.

في الجانب السينمائي، احتضن مسرح دار أوبرا دمشق الدورة الثانية من تظاهرة «أفلام الثورة السورية»، حيث عُرض 24 فيلماً بين الروائي والوثائقي، منها 9 أفلام طويلة و15 قصيرة. وقدّمت هذه الأعمال رؤى متعددة تناولت التحولات الاجتماعية والإنسانية التي رافقت سنوات الثورة، وسعت إلى توثيق الذاكرة البصرية السورية عبر سرديات فنية مختلفة تعكس التجربة من زوايا متعددة.

أما في المجال الفني الاحتفالي، فقد احتضن مسرح دار الأوبرا عرضاً خاصاً بمناسبة عيد النوروز بعنوان «النوروز.. أصل الحكاية»، أحيته فرقة آشتي للتراث الكردي، وقدّمت لوحة فنية جمعت بين الموسيقى والدراما، مستحضرةً الذاكرة الثقافية الكردية وما تحمله من رموز تاريخية وإنسانية عميقة، وسط حضور رسمي وجماهيري واسع.

وفي الموسيقى، احتفى كورال غارديني بمرور عشر سنوات على تأسيسه من خلال أمسية «سنظل نغني» في دار الأوبرا، التي قدّم خلالها باقة من الأعمال الفلكلورية، مؤكداً دوره في الحفاظ على التراث الموسيقي السوري.

كما قدّمت فرقة الموسيقى الشرقية بقيادة صلاح قباني أمسية بعنوان «كنوز من الشرق»، أعادت إحياء روائع الطرب الأصيل والمقامات الشرقية في تجربة موسيقية وجدانية استمرت قرابة ساعة ونصف.

إلى جانب ذلك، استضافت دار الأوبرا محاضرة متخصصة عن متطلبات سوق العمل في البرمجة، بهدف ربط التعليم الأكاديمي بحاجات سوق العمل الحديث وتمكين الشباب من المهارات التقنية المطلوبة.

ويعكس هذا الحَراك الثقافي المتنوع في دار أوبرا دمشق خلال الربع الأول من عام 2026 دورها بوصفها مِنصةً جامعة للفنون والمعرفة ومِساحةً تلتقي فيها الذاكرة بالإبداع، بما يؤكد استمرار حضورها لتكون مركزاً فاعلاً في إثراء المشهد الثقافي السوري وتعزيز تنوعه.

المكتبة الوطنيّة السوريّة.. حراك معرفي متجدد يعزز حضور الثقافة في الربع الأول من 2026

شـهدت المكتبة الوطنيـة السـورية التابعة لـوزارة الثقافة خلال الربـع الأول من عـام 2026 حَراكاً ثقافيـاً ومعرفياً ، عكس دورهـا المتجـدد لتكـون حاضنـة للمعرفـة وحارسـاً للذاكـرة الوطنيـة، وذلـك بالتعاون مع عـدد من المؤسسـات الأكاديمية والتربوية.

فـي الجانـب التعليمـي، بـرزت مبـادرة توزيـع 2900 كتاب متنـوع على 29 مدرسـة في ريف دمشـق، بالتعـاون مع مديرية تربيـة دمشـق، بهدف دعـم المحتـوى الثقافـي وتعزيـز ثقافة المطالعـة لـدى الطلبـة، فـي خطـوة تسـهم فـي بنـاء جيـل قـارئ وواعٍ.وعلى صعيـد الفعاليـات، نظّمـت المكتبة «معرض كتـاب الطفـل» في مقرهـا بدمشـق، مقدّمة مسـاحة معرفية مخصصـة للأجيـال الناشـئة، إلى جانـب مشـاركتها الفاعلـة في معرض دمشـق الدولـي للكتاب، حيث عرضـت مجموعات نادرة ومخطوطـات قيّمـة تعكس غنـى التـراث الثقافي السـوري.

كمـا أطلقـت المكتبـة مجلتهـا العلميـة المحكّمـة، لتكـون مِنصـة بحثيـة متخصصـة تعنى بنشـر الدراسـات فـي مجالات التـراث والمكتبات والفكر المعاصر، بإشـراف أكاديمي وتحكيم علمـي يضمـن جـودة المحتـوى ويعزز التواصـل بيـن الباحثين.

وفـي إطار التحـول المؤسسـي، وقّعت المكتبـة عقد إعداد خطتهـا الإسـتراتيجية، بمـا يدعـم تطويـر أدائهـا وفـق معايير حديثـة، بالتـوازي مـع مشـروعات رقمنـة الأرشـيف وتوثيـق المقتنيـات، التي تعـزز حضورها فـي الفضاء الرقمي. وشـهدت المكتبـة سلسـلة مـن الفعاليـات والملتقيـات الفكريـة، ومـن أبرزهـا ملتقـى «مـن الشـام تبـدأ الحكايـة» وورشـات العمل التخصصيـة، إلى جانب اسـتضافة نـدوات حواريـة تناولت قضايا الهويـة والوحـدة الوطنيـة. وفي سـياق دعـم الإبـداع، نظّمت المكتبـة مسـابقة الإبـداع الثقافـي التـي شـهدت مشـاركة واسـعة، وصـولاً إلى مراحلها النهائية، في تأكيـد لالتزامها برعاية الطاقات الشـابة.

وبهـذا الزخْـم المتنـوع، تواصـل المكتبـة الوطنية السـورية ترسـيخ مكانتها بوصفها مركز إشـعاع ثقافـي، يجمع بين حفظ التـراث، وإنتاج المعرفـة، والانفتاح على المسـتقبل.

أسماءُ الجُمع في الثورة..
ذاكرةُ السوريين الحيّة وصوتُهم الحرّ

يثبت تاريخ الثورات على الدوام، أن للأسماء الأثر الأكبر في الكشف عما تعجز الوقائع المتفرقة عن قوله منفردة؛ فهي تمنح اللحظة عنوانها الأوضح.

ومن هذا المعنى، برزت أسماء الجُمع علامةً فارقة في الثورة السورية، فقد جمعت بين التعبير والتنظيم والتوثيق، وتحولت مع الوقت إلى سجلّ حيّ يروي، فكيف سمّى السوريون آلامَهم وآمالَهم، وصاغوا صوتهم الجماعي في وجه النظام البائد؟

في ذكرى ثورة السوريين في وجه النظام البائد، تستحضر الذاكرة واحداً من أبرز ملامح الحَراك الشعبي في بداياته «أسماء الجُمع» التي مثّلتْ عنواناً أسبوعياً للهُتاف، ورسالةً موحّدةً تعبّر عن نبض الشارع.

لم تكن تلك التسميات مجرّد عناوين عابرة، بل تحوّلت إلى سجلّ حيّ يوثّق تطوّر الوعي الشعبي، ويعكس مسار الثورة من لحظاتها الأولى حتى مراحلها المتقدّمة، حاملةً في طيّاتها مطالب السوريين وآمالهم.

وفي هذا التقرير، نقدّم عرضاً موجزاً عن أسماء الجُمع في الثورة السورية، وما حملته من وعيٍ مبكرٍ وتنظيمٍ للحراك الشعبي وتوحيدٍ للمطالب وَفقاً لما أوضحه لـ «مجلة الشام»، المنسق العام للثورة السورية، الدكتور عبد المنعم زين الدين.

البدايات.. وعي شعبي يتشكّل بسرعة

قال الدكتور عبد المنعم زين الدين: إنّ انطلاقة الثورة حملت في طيّاتها وعياً لدى السوريين، وأشار إلى أنّ المظاهرات الأولى، التي خرجت بروح تلقائية، سرعان ما انتقلت إلى مستوى متقدّم من الوعي، تَمثّل في قدرة الشعب السوري على الاجتماع حول كلمة واحدة ومطلب واضح.

ويضيف أنّ هذا التوافق لم يكن أمراً عادياً، في ظلّ واقعٍ عمل فيه النظام الأسدي البائد طويلاً على تفريق السوريين وتجزئتهم طائفياً ومناطقياً، إلا أنّ الحراك الشعبي نجح خلال مدة وجيزة في كسر هذه الحواجز، وإعادة صياغة الهُويّة الوطنية الجامعة من خلال شعارات موحّدة وأسماء جامعة.

تنظيم الحراك وتوحيد الرسالة

وأوضح زين الدين أنّ تسمية «الجُمع» برزت لتكون إطاراً جامعاً للحَراك، نظراً إلى ما يحمله هذا اليوم من زخْم جماهيري، حيث تتكثّف التجمعات الشعبية بعد الصلاة، إضافةً إلى كونه يوم عطلة يتيح مشاركة أوسع.وأضاف أنّ أسماء الجُمع كانت في البداية تُختار عبر صفحات الثورة والناشطين، قبل أن تتطوّر الآلية لاحقاً مع تشكّل لجان التنسيق واتحاد التنسيقيات، لتصبح عملية الاختيار أكثر تنظيماً، وأحياناً عبر التصويت بين عدة مقترحات.

ويرى زين الدين أنّ هذه التسميات لم تكن شكلية، بل جاءت استجابةً لحاجة ملحّة في تلك المرحلة لإيصال مطالب واضحة إلى الداخل والخارج، في مواجهة محاولات التضليل التي سعى النظام من خلالها إلى تشويه مطالب المتظاهرين وتقزيمها.

من «جمعة الكرامة» إلى خطاب وطني شامل

في هذا الإطار أوضح زين الدين أن هذه المسيرة بدأت مع «جمعة الكرامة» في 18 آذار 2011، التي مثّلت نقطة الانطلاق للثورة، قبل أن تتوالى الأسماء التي حملت مضامين مثل: العزّة، والحرية، والثبات.

ومع تطوّر الحَراك، بدأت التسميات تأخذ أبعاداً أعمق، فتوجّهت إلى مخاطبة شرائح محدّدة داخل المجتمع السوري، مثل «جمعة العشائر» و«جمعة آزادي»، في محاولة لتعزيز الوحدة الوطنية.

كما تطوّر الخطاب ليشمل رسائل واضحة إلى الخارج، خاصةً مع تحوّل الثورة إلى الطابع المسلّح، فظهرت تسميات مثل «الجيش الحر يحمينا»، و«جمعة تسليح الجيش الحر»، و«زودونا بمضاد الطائرات»، في تعبير صريح عن واقع المواجهة وحاجاتها.

ذاكرة حيّة توثّق الألم والأمل

وأكّد زين الدين أن أسماء الجُمع

لـم تقتصـر على التعبيـر والمطالب، بل أدّت دوراً توثيقيـاً مهماً، إذ سـجّلت في طيّاتهـا أحداثـاً مَفصِليـة، مـن ارتـكاب النظـام البائـد للمجـازر إلى اسـتخدامه الـسلاح الكيميائـي، وكرّمـت أسـماء الجُمع الشـهداء، كما أسهمت في تعزيز التضامن بيـن المحافظات السـورية في وجـه النظـام البائد.

ذاكرةٌ تصوغ رواية الثورة

كمـا أشـار زيـن الديـن إلى أنّ آليـة تسـمية الجُمـع مثّلـت أحد أبـرز مظاهر الوعـي المبكـر فـي الثـورة السـورية، حيـث أسـهمت فـي تنظيـم الحَـراك الشـعبي، وتوحيـد الهتافـات، وصياغـة خطـاب موحّـد يصـل إلى العالـم.

واليـوم، تبقى أسـماءُ الجُمع شـاهداً حيّـاً على مرحلـةٍ مفصليـة، ودلـيلاً على قـدرة شـعبٍ رغـم كل التحديـات، على صياغـة صوتـه الجماعـي، فضلاً عـن أنّ هذه الأسـماء غـدتْ ذاكرةً حيّـة تختزن تفاصيل الألم والأمل، وتؤرشـف مسـار الثـورة فـي وجدان السـوريين.

أبرز إصدارات الربع الأول من عام 2026 للهيئة العامة السورية للكتاب

أصدرت الهيئة العامة السورية للكتاب مجموعة متنوعة من العناوين خلال الربع الأول من العام 2026، وتشمل عددا من الروايات، والكتب البحثية، والمجلات الدورية، وفيما يأتي أبرز هذه الإصدارات:

الروايات والأعمال الأدبية

رواية «النسّاج الأخير»
تأليف غارديني الشامي

رواية «صندوق لوقيان»
رواية من نوع الخيال العلمي
من تأليف الدكتور طالب عمران.

رواية لليافعين، بعنوان:
«الطريق إلى البحيرة».
تأليف: محمد الحفري.

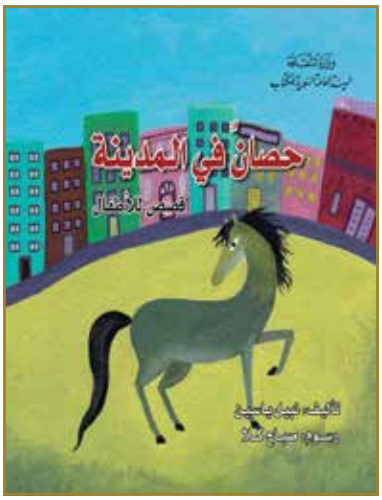

قصص للأطفال، بعنوان:
«حصان في المدينة».
تأليف: نبيل ياسين.
رسوم: صباح كلا.

مسرحية للأطفال، بعنوان:
«رحلةُ البحث عن الألوان».
تأليف: رامة محمد عيّان.
رسوم: قحطان الطلاع.

رواية لليافعين، بعنوان:
«رحلةُ القارب المطّاطيّ».
تأليف: حنان الحلبوني.
رسوم: أحمد حاج أحمد.

الكتب والدراسات المتنوعة

كتاب «الأزياء الشعبية وتقاليدها في سوريا».
تأليف الدكتور حسن حمامي.

كتاب «حماة في الكتابات المسمارية».

كتاب «الأبعاد النفسية والتربوية والأدبية في أدب الأطفال- نصوص هيثم يحيى الخواجة نموذجاً».
تأليف: د. راتب سكر،
و د. ربا ياسين

كتاب
«سهل بن هارون شاعراً»

كتاب
«بحوث في اللغة والأدب والرجال».
تأليف:
د. محمد عبد الله قاسم.

كتاب
«في نشأة النفس وتطور وظائفها العليا»
تأليف: د. بدر الدين عامود

كتاب «أصداء البحر والأيام – قراءات في شعر الخليج العربي»
للدكتور فايز الداية، وهو العدد (84) من سلسلة «كتاب المعرفة الشهري».

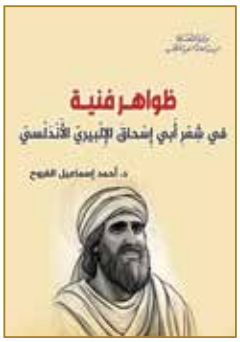

كتاب «ظواهر فنية في شعر أبي إسحاق الإلبيري الأندلسي»
تأليف الدكتور أحمد إسماعيل الفروح، وصدر بصيغة إلكترونية.

كتيب «ندوة الترجمة 2025م – الترجمة في التقانات الحديثة» من إعداد وتقديم الدكتور باسل المسالمة، ويوثق فعاليات الندوة الوطنية للترجمة.

المجلات الدورية

تستمر الهيئة في إصدار أعداد جديدة من مجلاتها المتخصصة، منها:

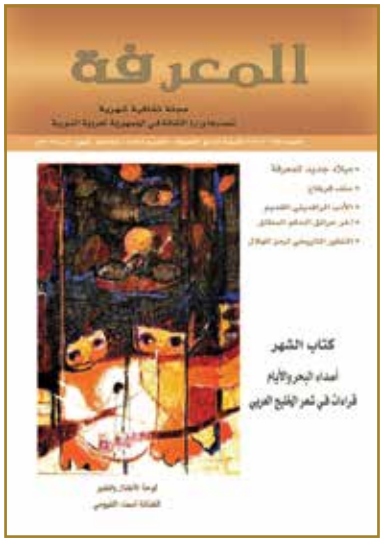

مجلة المعرفة
العدد المزدوج (730 - 731)
من مجلة المعرف

مجلة جسور ثقافية:
صدر منها العدد المزدوج (37-36)، والذي يتضمن افتتاحية لوزير الثقافة عن دور الثقافة في بناء جسور التواصل بين الأمم.

من بطولة يارا صبري وإخراج ماهر صليبي

وزارة الثقافة تقدّم «بروفة - يوم الحساب» قريباً على مسارح سوريا

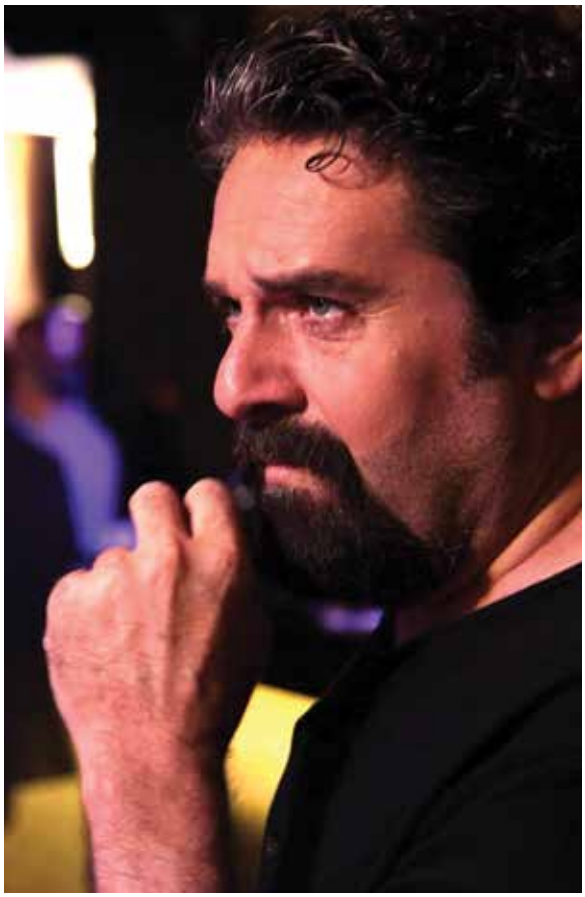

دمشق -مجلة الشام- خاص:

تنطلق التحضيرات في وزارة الثقافة لتقديم المسرحية الجديدة «بروفة -يوم الحساب»، من تأليف الكاتب فارس الذهبي وإخراج الفنان ماهر صليبي وبطولة النجمة يارا صبري، وبمشاركة فنانين سوريين، في عمل درامي مشحون بالتوتر النفسي والأسئلة الأخلاقية العميقة، ويقود الجمهور إلى مواجهة مفتوحة مع الذاكرة والعدالة والشك.

وتحمل المسرحية قيمة خاصة، لأنها تتوجه بتحية عميقة إلى المرأة السورية، بوصفها واحدة من أكثر الشخصيات حضوراً في الذاكرة السورية المعاصرة، وأكثرها قدرة على الاحتمال والصمود وحفظ المعنى الإنساني في قلب العاصفة؛ فالمسرحية، في جوهرها، تعيد المرأة إلى مركز الحكاية، وتمنحها مكانها المستحق بوصفها شاهدة على الألم، وحاملة للذاكرة، وصاحبة صوت يستحق أن يُسمع بكل ما فيه من وجع وكرامة وقوة داخلية.

وفي تصريح لمجلة «الشام» قال مؤلف المسرحية فارس الذهبي: «تسرد هذه المسرحية حكاية عن الماضي، وتدفع الجمهور إلى مواجهته في آن واحد.. كتبتُ (بروفة - يوم الحساب) من داخل أسئلة ملحّة: كيف نتذكر؟ كيف نحاكم؟ وكيف يمكن للضحية أن تحميَ إنسانيتها من التشوّه تحت وطأة الألم؟».

وبيّن الذهبي أن العمل يقوم على توتر داخلي عالٍ، وعلى شخصيات تتحرك فوق جمر الذاكرة، وتحمل ماضيها في صُلب واقعها اليومي».

وأضاف: «اهتممتُ بأن أضع الإنسان في لحظة اختبار قصوى، حيث تتداخل الحقيقة مع الخوف، وتتقاطع العدالة مع الرغبة في الانتقام.. وأرى في المسرح قدرة فريدة على كشف المناطق المعتمة في النفس البشرية، وهذه المسرحية تنتمي إلى هذا الأفق، وهي أيضاً نص عن سوريا من مدخلها الإنساني العميق، وأتمنى أن يصل إلى الجمهور بما يحمله من صدق وقسوة وأسئلة مفتوحة».

ومن جهته، قال المخرج ماهر صليبي لمجلة (الشام): «إن ما جذبني في (بروفة - يوم الحساب) هو بناؤها الدرامي المكثف، القائم على الانفجار الداخلي للشخصيات، وعلى تصاعد التوتر في

مؤلف المسرحية فارس الذهبي

كل لحظة من لحظات العرض».. وأضاف صليبي: «تكمن قوة المسرحية في إحكامها، وفي قدرتها على توليد قلق عميق ومستمر لدى المتفرج، وفي دفعه إلى التورط الوجداني والفكري مع ما يراه على الخشبة، فالشخصيات النسائية تنبع من قلب الثورة وتمثل وجعاً عميقاً عاشته المرأة السورية العظيمة، وفي هذه المسرحية نوجه تحية للمرأة السورية.

النص يضع الجمهور أمام مرآة حادة، ويوقظه على أسئلة تمس جوهر التجربة الإنسانية، وهذا ما أراه من صميم المسرح.. وتنطلق رؤيتي الإخراجية من تفعيل هذا التوتر، ومن منح الممثلين المساحة الكاملة لكشف هشاشة الشخصيات وعنفها وارتباكها الإنساني، بحيث تتحول الخشبة إلى فضاء حيّ للمواجهة».

كما عبّرت الفنانة يارا صبري عن سعادتها بالمشاركة في هذا العمل، وقالت: «سعيدة جداً بعودتي إلى المسرح في سوريا، ومشتاقة للقاء الجمهور السوري.. أدعو الجميع إلى مشاهدة (بروفة يوم الحساب)، لأنها مسرحية تمسّنا من مكان عميق، وتستحق أن تُعاش على الخشبة».

يذكر أن فارس الذهبي كاتب سوري اشتغل على الدراما والمسرح والبحث الثقافي، ويهتم في نصوصه بالأسئلة الإنسانية العميقة، وبالعلاقة المعقدة بين الفرد والذاكرة والسلطة والعدالة.

ويأتي نص «بروفة-يوم الحساب» ضمن هذا المسار، حيث يواصل انشغاله بالكتابة التي تضع الإنسان في قلب المواجهة الأخلاقية والنفسية.. من أعماله مسرحية (مولانا)، ومسرحية (طباخ روحه)، و(زفرة السوري الأخيرة).

أما الفنان ماهر صليبي فهو مخرج مسرحي وتلفزيوني سوري وأحد نجوم الدراما السورية، ينتمي إلى تجربة فنية تهتم بالعمل على الممثل، وبناء التوتر الدرامي، وتقديم عروض تقوم على الكثافة والصدق والحضور الحي على الخشبة.. يعد اليوم من أهم الأصوات المسرحية في سوريا والعالم العربي، من أشهر أعماله «كونشيرتو» و«الرقصة الأخيرة» و«فوتوكوبي» و«صمت الكلام» و«تخاريف».

وفي جديده «بروفة-يوم الحساب» يقدّم صليبي رؤية إخراجية تنحاز إلى المواجهة الداخلية للشخصيات، وإلى كشف الطبقات النفسية العميقة التي يحملها النص.

وتعدّ يارا صبري من أبرز نجمات الدراما المسرحية والتلفزيونية السورية، وهي علامة خاصة في ذاكرة السوريين خاضت تجارب في كتابة السيناريو التي بدأت فيها بتعاون درامي من خلال مسلسل «قلوب صغيرة»، وشاركت في كتابة سيناريو مسلسل «قيود روح».

من أهم أعمالها «التغريبة الفلسطينية»، و«بكرة أحلى»، و«تخت شرقي»، و«الفصول الأربعة»، و«الانتظار»، إضافة إلى العديد من الأعمال التي أدّت بطولتها وتركت حضوراً لا ينساه الجمهور العربي.

حازتِ العديدَ من الجوائز العربية والدَولية، وخلال سنوات الثورة برز دور يارا صبري في دفاعها اليومي عن المعتقلين ومساعدتها للأهالي والمنظمات الدولية لمعرفة مصيرهم.

ويؤكد فريق عمل «بروفة-يوم الحساب» أن أهمية هذا العمل تكمن في أنه يقترب من المرأة السورية من زاوية إنسانية عميقة، تلامس تجربتها في مواجهة الخوف، وفي حماية ما تبقى من الروح، وفي حمل الأعباء الثقيلة التي فرضتها السنوات القاسية.

حيث تظهر المرأة السورية بوصفها أكثر من شخصية داخل الحدث المسرحي، وتظهر كرمز حيّ للثبات، وصورة للقدرة على تحويل الجرح إلى وعي، والصمت إلى موقف، والألم إلى طاقة أخلاقية تفتح باب الأسئلة الكبرى عن العدالة والكرامة والنجاة.

كما تكتسب المسرحية أهمية إضافية لأنها تبتعد عن التناول السطحي للمرأة، وتقدمها بوصفها كائناً كاملاً، حساساً، مفكراً، منكسراً أحياناً، ومتماسكاً في لحظات أخرى، لا تتهاون مع حريتها، لكنها في جميع أحوالها تبقى قادرة على حمل العبء الإنساني الأثقل، وهذا ما يجعل التحية التي تقدمها المسرحية للمرأة السورية تحية صادقة ونبيلة، نابعة من الاعتراف بدورها الحقيقي في حفظ البيوت والذكريات والعلاقات، وفي حماية المعنى نفسه من الانهيار. وتفتح المسرحية المجال أمام الجمهور ليرى المرأة السورية بعين أكثر عمقاً وإنصافاً، وأن يدرك أن كثيراً من حكايات الصمود السوري كُتبت بيد النساء، وبصبرهن، وبشجاعتهن اليومية التي تجلت في تفاصيل الحياة كما تجلت في اللحظات المصيرية. ومن هنا، تبدو المسرحية بمنزلة وقفة احترام وجدانية وفنية أمام المرأة السورية التي لم تكن فقط جزءاً من الحكاية، بل كانت في كثير من الأحيان قلبها الأشد نبضاً، وضميرها الأشد صفاءً، وذاكرتها التي أبقت المعنى حياً وسط كل ما تهدم...

يذكر أن مسرحية «بروفة-يوم الحساب» ستعرض في دمشق على خشبة مسرح الحمراء، وستنتقل لاحقاً للعرض على مسارح محافظات سورية عديدة، كما ستشارك في مهرجانات مسرحية عربية وعالمية، مثل مهرجان قرطاج والقاهرة التجريبي، وغيرها من المهرجانات في الدول العربية والأوروبية.

الشبـاب
نهضة تضيء الطريق

منذر نواف العلو

أدى الشباب دوراً بارزاً عبر التاريخ في تنمية مختلف صنوف العلوم التطبيقية منها أو النظرية والنهوض بها، لكن الباع الأكبر كان لهم في ميدان الثقافة والفكر، فمعظم الثورات الفكرية والإصلاحية التي غيّرت الواقع وخلقت واقعاً أفضل كان الشباب في طليعتها، يحطمون حلكة الظلام ليصنعوا مشاعل نور تضيء للأجيال القادمة طريقها نحو الحياة، ومن هنا يظهر دور الشباب المثقف في إصلاح المجتمعات وبنائها، كقوة فاعلة لا يمكن تجاهلها.

الشباب، ومن خلال امتلاكه للطاقة والحيوية، لا يقف عند الفكرة والتغني بها فقط، إنما يتحول إلى مرحلة تطبيق الفكرة وتنفيذها ومواجهة التحديات والظروف الصعبة لأجلها، وهذا ما شهدناه خلال الثورة السورية المجيدة حينما كسر الشباب السوري عقوداً من الظلم والاضطهاد، وواجهوا البنادق بصدورهم العارية في سبيل الحصول على الحرية والكرامة.

اليوم، وبعد سقوط حقبة الظلام في تاريخ وطننا الحبيب وإشراقة شمس الحرية في سمائه، نتساءل: ما الدور الذي يمكن أن يؤديَه الشباب السوري في المشهد الثقافي؟ وما الذي يحتاجون إليه ليكونوا مؤثرين تأثيراً جدّياً وفعّالاً، وكيف يمكن أن يسهموا في وضع السياسات الثقافية للبلاد؟

الشباب هم واجهة المجتمعات وصوتها الذي تصدح به وتخاطب الأمم الأخرى من خلاله، وهذا يجعلهم داخل دائرة حساسة من الحذر، لأن أي خلل في التعامل معهم أو سوء استثمار في طاقاتهم وعقولهم سيجعل من هذه الطاقات مصادر تدمير لا تعمير، ومن عقولهم مصادر شقاء لا هناء.

أمّا تسخير طاقاتهم الفكرية بشكل سليم، وإتاحة الفرص لهم وفسح المجال أمامهم للمشاركة في جميع المجالات التي يرغبون بها، يعتبر من أنجح أنواع الاستثمار، وهو ما يسمى الاستثمار بالإنسان.

يواجه الشباب اليوم كثيراً من التحديات التي تمنعهم من المشاركة وتعيقهم من استخدام طاقاتهم وأفكارهم في خدمة مجتمعاتهم، وتدفعهم للهجرة خارج بلدانهم، كالفقر وانعدام الفرص والبطالة وعدم قدرتهم على تحقيق الاستقلال المالي والاجتماعي، وهذا ينعكس بشكل تلقائي على مجتمعاتهم، لأنهم عمادها وقوامها.

إنّ أهم ما يحتاج إليه الشباب اليوم في الجمهورية العربية السورية هو خطوات جادة ومبادرات حقيقية من قبل الحكومة والجهات الرسمية، تتيح لهم الوسائل اللازمة للتمكين المعرفي والثقافي والاقتصادي، ومن أهم هذه المبادرات والحلول:

أولاً: تحسين البيئة العامة للشباب:

- تحسين البيئة التعليمية والصحية والاجتماعية

ثانياً: تطوير المهارات والمعرفة:

- الدورات التدريبية والتثقيفية بما يخص وسائل التواصل الاجتماعي والإعلام الرقمي

ثالثاً: تمكين الشباب إعلامياً ومؤسساتياً:

- منحهم مساحة على وسائل الإعلام لمشاركة أفكارهم وسماع صوتهم
- تبني مبادراتهم

رابعاً: توفير فرص العمل والبحث العلمي:

- إتاحة فرص عمل لهم للحد من هدر الطاقات
- افتتاح مراكز بحوث ودراسات ومخابر في مختلف المجالات العلمية تتيح لهم البحث العلمي
- احتضان العقول والأدمغة والحد من ظاهرة هجرة العقول

خامساً: مواكبة التطور وربط المعرفة بالتطبيق:

- مواكبة التطور التكنولوجي
- الجمع بين المعرفة العلمية والعمل التطبيقي لجعل شخصياتهم متكاملة

سادساً: المشاركة في صناعة القرار:

- فسح المجال لهم للمشاركة في صناعة القرار والتعامل معهم بوصفهم قادة رأي
- إقامة ندوات حوارية مع الشخصيات السياسية في البلاد

لو أخذت هذه التحديات بعين الاعتبار وطبقت هذه الحلول فعليّاً، فسيكون الشباب السوري في المكان الذي ينبغي أن يكونوا فيه، وسوف يجني المجتمع السوري ثمارها من التطور والتنمية والازدهار، وما أحوج بلادنا اليوم إلى هذه الثمار.

كما أنه عندما تكون العلاقة ما بين المؤسسات الرسمية والشباب قائمة على جسور تواصل لا على فجوات، سيتمكن الشباب من المشاركة في صناعة القرار بشكل مباشر أو غير مباشر، وسيكون بمقدورهم رسم السياسات الثقافية للبلاد والتأثير بها، وهنا يبرز دور الشباب في بناء المجتمعات وإصلاحها بعد الأزمات.

وأخيراً، كما يقول أمير الشعراء أحمد شوقي:

شبابٌ قُنَّعٌ لا خيرَ فيهم ... وبورك في الشّباب الطّامحينا

إن طموح الشباب وآمالهم لا تمثل أحلام الأفراد فحسب، بل تعكس طموحات الأمم والشعوب، فهي أمانة لدى الحكومات والساسة وصنّاع القرار، لا يجوز التفريط بها أو التعامل معها إلا بالأولوية القصوى، فالشباب الطامحون هم من يضيئون دروب المستقبل، ويشكلون جسور النهضة الثقافية والاجتماعية التي تحتاج إليها بلادنا اليوم أكثر من أي وقت مضى.-

شراكة وطنية.. تصنع المستقبل

عفراء أحمد قصاب

اعتـدتُ كلَّ صباح أن أركب السـرفيس متجهةً إلى الجامعة، ويجلـس أخـي إلى جـوّاري في طريقـه إلى عملـه، كان المشـهد يتكـرر.. انتظـارٌ طويل، زحمـةٌ خانقة، ثـم مقعدنـا المعتاد قرب النافـذة، حيـث نتأمل التغييرات الصغيرة في شـوارع الشـام بعد التحريـر، غيـر أن ما حـدث اليوم خـرج عـن المألـوف؛ فبينما كنا ننتظـر، وقـع بصـري على بوسـتر إعلانـي يدعـو طلاب الجامعة للتطـوع فـي «معـرض دمشـق الدولـي للكتـاب»، بـدا الإعلان مختلفـاً، ليـس لجمـال التصميـم فحسـب، بـل لأنـه حمـل نداءً يخاطب الشـباب بوصفهم مبدعين ومسـاهمين، لا مسـتهلكين.

صعِدنا السـرفيس، واسـتوقفتني فعاليـةٌ أخرى بعنـوان «أنا وأنت سـوري»، تجمع شـباباً من مختلِف المحافظـات للقاء وزير الثقافة.

راقنـي المشـهد في خيالـي.. لهجـاتٌ متنوعـة، وملابس تعبر عـن مناطقهـا، وأفـكارٌ تنتمي إلى وطـنٍ واحد. شـعرتُ أن البلاد تحـاول إعادة أبنائهـا إلى دائـرة الحوار والفعل المشـترك.

التفـتُّ إلى أخـي، فوجدتـه يتفحـص إعلاناً عن تدريـبٍ مهني للشـباب السـوري، أدركـتُ حينئـذٍ أننـا موجـودون، وأنّ لدينـا طاقـاتٍ لا تتوقـف عنـد حـدود الدراسـة أو العمل.

شـعرتُ بيقينٍ عميق.. لا يمكننـا البقاء على الهامش، علينا أن نكـون جـزءاً من هذا الحَـراك، ولو أصبحـت هذه المبـادرات عادةً تراعـي اختلافات الشـباب فـي العمـر والمرجعيات، لخطـا وطنُنا بثقةٍ نحـو التعافي.

ومـا روتـه لـي صديقتي عـن صباحهـا لم يكـن بعيـداً عني؛ فبينمـا كانـت تتأمـل الإعلانـات في طريقهـا، كنتُ أجد نفسـي أمـام فرصـة للمشـاركة بوصفـي كاتبـةً فـي بـاب «مسـاحة شـبابية» بمجلـة الشـام.. أدركتُ أن المسـافة لا تلغـي الانتماء، وأن العلاقـة مـع المؤسسـات الثقافيـة تبـدأ من أي مـكان؛ من طريـقٍ مزدحـم بدمشـق، أو مـن مقعد مغتربـةٍ تمسـك بالقلم لتكـونَ جزءاً مـن هـذا الحَـراك المتجدد.

جيل الثـورة وكيـانـات البناء

بالنسـبة إلي، أنا الشـابة السـورية التي تعيش هـذه المرحلة، أرى أن الشـباب السـوري ليـس مجـرد إحصـاءٍ سـكاني، بل هو جيـلٌ وُلـد وعيـه في ظـل الثـورة، وكبر بيـن الأزمـات، وتكونت شـخصيته على تماس مباشـر مـع التحـدي والأمل، إنهـم الذين بنـوا أحلامهـم على أرضٍ تتغيّـر كل يـوم، وهـم اليـوم الركيـزة الأولى لإعـادة البنـاء المعنـوي قبـل المـادي، وشـركاء فـي أي مشـروع يحيـي الوعـي الوطني.

لذلـك، لا يجوز أن تبقى المؤسسـات الثقافيـة -مثل دار أوبرا دمشـق، والمؤسسـة العامـة للسينمـا، والمديريـة العامـة للآثار والمتاحـف، والمعهـد العالي للفنـون المسـرحية، والمعهد العالي للموسـيقا، والهيئـة العامة السـورية للكتاب، ومديريـات المراكز الثقافيـة فـي كل محافظة- كياناتٍ غامضةً أو احتفاليةً فحسـب، بـل ينبغي أن تتحـول إلى بيئاتٍ تفاعليةٍ ومراكز إصغاءٍ تسـتقبل صـوت الشـباب، وتحـول طاقاتهـم إلى مشـروعاتٍ تخـدم البلد؛ لتصبـح الثقافة قـوة حياةٍ لا مجـرد واجهة.

النموذج السعودي الملهم وما نحن منه

ولفهـم هـذه العلاقـة، أسـتحضر تجربـة المملكـة العربيـة السـعودية بوصفهـا نموذجـاً يُحتذى به فـي بناء جسـور حقيقيةٍ مـع الشـباب، كمغتربةٍ تقيم فيهـا، ألاحظ كيف جعلـت المملكة الثقافـة عنصـراً حيوياً في مشـروعها الوطني وفتحـت للمبدعين مسـاحاتٍ واسـعةً للإنتاج.. تجلى ذلك في مبـادرات هيئة الترفيه كبرنامـج «سـاحات شـبابية»، ودور وزارة الثقافـة فـي إنشـاء مراكـز وبرامج للابتعـاث الثقافـي، و«الصنـدوق الثقافي» لدعم المشـروعات الناشـئة. كمـا أدت مؤسسـة «مسـك» دوراً مهماً فـي تطويـر القيـادات الشـبابية، وقـدم مركـز «إثـراء» برامـج تُعنى بالمهارات المعرفية. هذه المؤسسـات حولت الشـباب من مسـتهلكين إلى منتجيـن ومبادرين، ومـن هنا، يمكـن القول إن رؤيـة المملكـة 2030 بمـا تحمله من اتجـاهٍ نحو تمكين الشـباب وتعزيـز دور الثقافـة فـي التنمية، تمثـل نموذجـاً ملهمـاً يمكن لبلادنـا أن تسـتمد منه، ليس بنسـخه، بل بتكييفـه مع خصوصية التجربة السـورية وتنوعهـا الاجتماعـي والثقافي.

يمكـن إسـقاط هذا النمـوذج على السـياق السـوري المتميز بتنوّعـه الديني واللغوي (العربيـة، والكرديـة، والآرامية، وغيرها) واللهجـي (الشـامية، الحمصيـة، والديريـة...).. إنّ هـذا التنـوع الجميـل والغنـي، وخصوصاً لجيـلٍ لم يعـرف بلاده إلا مقسـمةً، يتطلـب مقاربةً خاصة، يمكن لـوزارة الثقافة أن تطلـق «مراكز شـبابية فـي كل مدينـة» تراعـي التقاليـد المحليـة، وتدعـم مشـروعات تجمع شـباباً مـن خلفيـاتٍ متنوعـةٍ لتعزيـز الوحدة، مثـل المهرجانـات متعـددة اللغـات وتطبيقـات توثـق الذاكرة.

يشـمل ذلك أيضـاً ورشـات الصحافة المحليـة لتوثيق قصص المجتمعـات، وبرامـج الدعـم النفسـي لمـن عانـوا الاعتقـال أو الفقـد، لترميـم النفس قبـل الحجارة.

إن نقـل هـذه التجربة إلى السـياق السـوري يتطلـب وضوحاً فـي دور المؤسسـات وتقريبها من الشـباب كشـركاء دائمين لا كجمهـورٍ عابـر.. لا يمكن اختزال الشـباب في مشـاهير التواصل، بـل يجـب تمثيل شـباب الريـف والمدينة، مـن مختلـف الأعمار والطبقـات والعقـول، مـن المتعلميـن وغيـر المتعلميـن، مـن العامليـن في المهن الشـاقة والمتخرجين الجـدد، من المنخرطين فـي العمـل الثقافـي والطامحين فيه. فهـؤلاء جميعاً يشـكلون جـزءاً مـن جيـلٍ يُفتـرض أن تُبنـى معـه علاقـةٌ ثقافيـةٌ واعيـةٌ ومتوازنـة، لا يُستثمـر فيه لمـرةٍ واحدةٍ ثـم تُستبعد ذكـراه بعد ذلك، فالثقافة عندنا ليسـت ترفـاً، بل أداةٌ لإعادة إعمار الإنسـان والذاكـرة الوطنيـة الجامعة.

وإذا أردنـا علاقـةً مثمـرة، فعلينا أن نضعها في قلب مشـروع إعمـار سـوريا المعنـوي، وأن نفتـح الأبـواب لهـذا الجيـل بصيغ تراعي اخـتلاف تجاربهم، والأهـم من ذلك كله، أن يُسـتمَع إلينا؛ فمن هنا تبـدأ العلاقـة الحقيقية.

الشباب السوري لصناعة الثقافة

الأغيد السيد علي

تُعدُّ الثقافةُ هي النسيجَ الذي يربط الإنسان بالمكان الذي يعيش فيه، ويمنحه القدرة على فهم ذاته والعالم من حوله، ولا تنحصر -كما يعتقد كثيرون- ضمن إنتاجات فنّية أو أدبية، إنما هي منظومة متكاملة من قيم ورموز وتصوّرات تُشكّل الوعي الجمعي، وتحدّد ملامح الهُويّة الوطنية لكل مجتمع.

وكذلك اللغة التي تتحدّث بها الشعوب عن نفسها، والذاكرة التي تحفظ تجاربها. وعليه، فإنَّ أيّ مجتمع يسعى إلى النهوض الحضاري، لا يمكنه أن يغفل عن دور الثقافة بوصفها ركيزةً أساسيةً في بناء الإنسان قبل العمران.

لعقودٍ طويلة من القهر والاستبداد .. لم تحظَ الثقافة في سورية بالمكانة التي تستحقها، إنما على العكس، فقد عانت تهميشاً وتقييداً في ظل النظام البائد، حيث اختُزلت في قوالب دعائية ضيقة، تخدم خطاب السلطة أكثر مما تعبّر عن تنوّع المجتمع السوري وغِناه، كما أُفرغت المؤسّسات الثقافية من دورها الحيوي، وغابت المساحات الحرّة التي تسمح بالإبداع، ليحلّ مكانها خطاب أُحادي يُضعف روح المبادرة.. وهكذا، تحوّل جوهر الثقافة من قوّة نقدية حيّة إلى أداة جامدة، فاقدة لقدرتها على التأثير والتجديد.

أما في ظل التحوّلات التي شهدتها سورية الجديدة، فعادت الثقافة لتستعيد مكانتها تدريجياً، بوصفها مجالاً مفتوحاً لإعادة التفكير والتعبير، فلم تعد مجرد صدًى لصوتٍ واحد؛ إنما بدأت تتشكّل كمِساحةٍ تعدّدية تتقاطع فيها الأصوات والتجارب، فبرزت مبادرات شبابية، وعادت الفنون لتتنفس خارج القيود الذي فرضها النظام البائد، وظهرت في الأفق محاولات جادّة لإعادة بناء المشهد الثقافي على أُسس أكثر حرية.

كما أنَّ هذه المرحلة الصعبة، تحمل وعداً حقيقياً بأن تتحوّل الثقافة إلى قوّة فاعلة في إعادة بناء المجتمع السوري.

تقفُ الثقافة كنجمةٍ بعيدةٍ لا تُرى بالعين المجرّدة، لكنها تهدي القلوب التائهة، لأنها روحٌ تسري في الجسد الاجتماعي، حيث تحفظ توازنه حين يختل، وتُعيد إليه نبضه حين يوشك على الخفوت. وعليه، فإنَّ الشباب السوري اليوم يعيشون في زمنٍ مفتوحٍ على الاحتمالات، لأنهم جيلٌ تعلّم أن يرى العالم من زوايا مختلفة، ويعدُّ دورهم في تشكيل المشهد الثقافي دوراً جوهرياً وأصيلاً، فهم يعيدون كتابة الوعي وتشكيل الحساسية الجمالية والإنسانية للمجتمع.

ولعلَّ الثقافة -أيْ في سياق إعادة بناء المجتمع السوري- تسعى لأن يُصبح الشباب رواة الحكاية الجديدة بأصواتٍ متعدّدة تُشبه فسيفساء سورية، وكما قال الفيلسوف الألماني «نيتشه»: «من يملك سبباً للعيش؛ فيمكنه تحمّل أيّ كيف. وهنا، تكمن وظيفة الثقافة، بأن تمنح هذا السبب، لتعيد المعنى إلى الحياة، غير أنَّ هذا الدور، لا يمكن أن يزدهر دون شروط حاضنة للإبداع، فالشباب اليوم بحاجةٍ إلى فضاءات تُشبههم: (مفتوحة، ومرنة وآمنة) تسمح لهم بأن يخطئوا ويتعلّموا ويجرّبوا، كما أنهم بحاجة إلى مؤسّساتٍ ثقافية تحتضن الاختلاف، وإلى تعليم يُنمّي الحسّ النقدي، وإلى فرص تتيح لهم التواصل مع تجاربَ إنسانية أخرى، لأنَّ روح الثقافةَ؛ حوارٌ لا ينتهي!

يعتبر إشراك الشباب السوري في صياغة السياسات الثقافية مدخلاً أساسياً لبناء مشهد ثقافي حيّ ومتجدّد، فيمكنهم أن يسهموا بشكل فعّال في إحياء الثقافة عبر المبادرات، العمل المدني والمنصات الرقمية التي تحوّلت إلى مِساحاتٍ بديلة للإنتاج والتأثير، وكما قال المفكّر المغربي «المهدي المنجرة»: «المستقبل يُبنى في عقول الشباب قبل أن يُبنى في السياسات»، فالمجتمعات التي تُقصي شبابها؛ إنما تُقصي مستقبلها!

وفي قلب هذا كله، تبقى مسألة الهُويّة الوطنية هي التحدّيَ الأعمق، فكيف يمكن بناء هُويّة جامعة تحتضن، لا تُقصي ولا تُذيب الفروق؟ هنا يظهر دور الثقافة بوصفها أداةَ صياغة، والشباب السوري -بحكم تجاربهم المتنوّعة- قادرون على تخيّل هُويّة سورية .. هُويّة لا تخاف من الاختلاف، ولا تنغلق على الماضي، وكما قال المفكر الفلسطيني «إدوارد سعيد»: «الثقافة هي وسيلة لخلق شعور بالانتماء، حتى في أكثر الظروف قسوة»، وحين يتجذّر هذا الانتماء؛ يتحوّل مباشرةً إلى قوة بناء. والشباب السوري يقف على تخوم مرحلة جديدة، فهم جيلٌ مؤسّس، قادر على إعادة رسم ملامح المشهد الثقافي، وهم اليد التي تمسك مطرقة إعادة تشكيل الواقع، والنبض الذي يمنح الثقافة حياة.

وفي الختام، لا يكفي أن يكون الشباب مجرد فاعلين ثقافيّين على هامش المشهد، إنما ينبغي تمكينهم من المشاركة الفعليّة في صياغة السياسات الثقافية، من خلال مقترحات قابلة للتطبيق، حيث يمكن طرح إنشاء مجالس ثقافية شبابية محلّية في المدن والقرى والجامعات، تعمل مِنصاتِ حوار بين الشباب وصُنّاع القرار في دمشق، وتقوم هذه المجالس على آليات واضحة، مثل: انتخاب ممثّلين شباب بشكل دوري، وعقد جلسات تشاركية لصياغة توصيات ثقافية تُرفع إلى الجهات المعنية في وزارة الثقافة السورية.

كما يمكن دعم هذا التوجّه عبر إطلاق مِنصات رقمية وطنية، تُتيح للشباب تقديم مقترحاتهم ومشروعاتهم الثقافية ومناقشتها بشكل مفتوح.

وإلى جانب ذلك، فإنَّ إدماج برامج تدريبية في «السياسات الثقافية» ضمن المبادرات التعليمية ومنظمات المجتمع المدني؛ سيساعد في تأهيل جيل قادر على فهم آليات صُنع القرار والتأثير فيها بوعي وكفاءة، فتفعيل دور الشباب بهذه الطريقة يحوّلهم إلى شركاء حقيقيّين في بناء المشهد الثقافي، ويجعل من الثقافة عملية حيّة تتشكّل من القاعدة إلى القمة، وبذلك، تُصبح السياسات الثقافية أكثر قدرةً على التعبير عن تنوّع المجتمع السوري وتطلّعاته نحو المستقبل المُشرق.

الشبـاب
بين الحضور الرمزي وصناعة القرار الثقافي

محمد سعيد الجبولي

لم يعد السؤال اليوم إن كان الشباب قادرين على التأثير في المشهد الثقافي، بل لماذا ما يزال تأثيرهم محدوداً في صناعة القرار؟ رغم هذا الحضور الواسع؟

من تجربتي في العمل الشبابي والتطوعي، لم يكن الوصول إلى الفعل الثقافي هو المشكلة، بل الوصول إلى التأثير فيه، كنا نحضر، وننظّم، ونُبادر، ونبذل جهداً حقيقياً في تنفيذ الأنشطة، لكننا نادراً ما كنا جزءاً من الأسئلة الكبرى: ماذا نطرح؟ ولماذا؟ ولمن؟ كنا قريبين من المشهد، لكن خارج صناعته.

هذا الواقع لا يمكن فصله عن طبيعة العلاقة بين الشباب والمؤسسات الثقافية، التي ما تزال في كثير من الأحيان تُبقي الشباب في دائرة التنفيذ، وتتحفّظ في منحهم مساحة القرار، في المقابل، يُطلب من الشباب أن يكونوا مبدعين ومبادرين، دون أن تتوفر لهم دائماً البيئة التي تحتمل هذا الإبداع أو تستوعب نتائجه.

لكن الجرأة تقتضي الاعتراف أن المشكلة ليست في جهة واحدة؛ فبعض المبادرات الشبابية، رغم حماستها، تقع في فخ التكرار أو العمل الموسمي، وتفتقر إلى الاستمرارية أو الرؤية بعيدة المدى، كما أن الخوف من الخطأ أو من الرفض، يدفع كثيرين إلى البقاء ضمن المساحات الآمنة، بدل اختبار أفكار جديدة قد تكون أكثر تأثيراً.

إلى جانب ذلك، تبرز فجوة حقيقية بين الأجيال، لا تقوم فقط على اختلاف في العمر، بل على اختلاف في طريقة فهم الثقافة ودورها، هذه الفجوة تُنتج أحياناً خطاباً لا يشبه الشباب، ولا يعبّر عن أسئلتهم الفعلية، ما يدفعهم إما للانسحاب، أو لصناعة مسارات موازية خارج الأطر الرسمية.

إذا أردنا الحديث بجدية عن دور الشباب في تشكيل المشهد الثقافي، فلا بد من الانتقال من إشراكهم كـ «حضور» إلى تمكينهم كـ «فاعلين»؛ وهذا يتطلب خطوات عملية، أولها فتح المجال أمامهم ليكونوا جزءاً من لجان التخطيط وصناعة القرار الثقافي، لا مجرد منفّذين لبرامج جاهزة، كما أن دعم منصات النشر والتعبير، يتيح للشباب تقديم رؤاهم دون خوف أو تقييد، ويخلق حواراً أكثر صدقا مع الواقع.

ومن خلال تجربتي، أؤمن أن التدريب وحده لا يكفي، إذا لم يترافق مع فرصة حقيقية للتطبيق. لذلك، فإن ربط البرامج التدريبية بمسارات فعلية للمشاركة في المشروعات الثقافية، يسهم في تحويل المعرفة إلى أثر، كذلك فإن احتضان المبادرات الشبابية وتحويلها إلى شراكات مستدامة، يمنحها فرصة للنمو بدل أن تبقى تجارب مؤقتة تنتهي بانتهاء الحماسة.

المشهد الثقافي اليوم لا يحتاج إلى مزيد من الفعاليات بقدر ما يحتاج إلى إعادة التفكير في من يصنعها وكيف تُصنع، فالشباب لا ينقصهم الحضور، بل المساحة التي تعترف بهذا الحضور كقوة قادرة على التغيير.

في النهاية، لا يمكن بناء سردية ثقافية جديدة دون إشراك حقيقي للشباب في كتابتها، فالثقافة التي لا تشبه جيلها، تفقد قدرتها على الاستمرار والشباب، حين يُمنحون الثقة والمساحة، لا يكتفون بالمشاركة، بل يعيدون تعريف المشهد بأكمله .

أدب الفنتازيا
نافذة الشباب لرؤية المستقبل

سلسبيل بلال عسكر

تُعد الثقافة الرقم الصعب في معادلة نهضة الشعوب وصياغة وجدانها، فهي الجسر الرابط بين الماضي والمستقبل. وفي هذا السياق، يبرز الخيال ليس كمحض وسيلة للهروب من الواقع أو الانفصال عنه، بل كونه النافذة الأوسع التي تطل بنا على بستان ثقافي ثري بالقيم والمعاني. إن الخيال هو أحد أسمى عناصر الجمال التي تمنح الحياة طعماً أدبياً متجدداً، وهو القوة الإبداعية التي تفتح أبواباً موصدة لترينا جوهر الحياة والوجود بمنظور مغاير، مما يسهم في تشكيل وعي جماعي قادر على الابتكار والتغيير.

وما أجمل أن يكون الكاتب فناناً ينسج من خياله زخارف تضفي على ثوب الحياة بهاءً خاصاً؛ فالخيال في جوهره ينقسم إلى مسارين متكاملين: مسار يطرق أبواب الابتكار ليصوغ أحداثاً ورؤى جديدة تفتح عيون المجتمعات على عوالم بكر، ومسار آخر أعمق أثراً، وهو الذي يستنطق قصص الشعوب الغابرة وحضاراتها العريقة.

إن استدعاء التراث ونقله عبر الأجيال ليس مجرد توثيق بارد، بل هو إعادة صياغة إبداعية معاصرة تمتزج فيها أصالة الماضي بجموح الفنتازيا، مما يجعل الهوية الثقافية حية ومتجددة.. ومن هنا، يبرز أدب الفنتازيا عنصرَ جذب ساحر لعقول الشباب، ليس لأناقته اللغوية أو عوالمه الغرائبية فحسب، بل لكونه يشكل معايير جمالية تشد القارئ إلى عوالم موازية تحمل بين طياتها عبراً إنسانية وقصصاً ملهمة.

إن هذا النوع من الأدب يخلق حالة من الشغف المعرفي، حيث يجد الشاب نفسه منغمساً في أحداث تعيد تعريفه بذاته وبثقافته، وتمنحه القدرة على رؤية الواقع بعين الناقد والمبدع في آن واحد.

وفي هذا السياق، أقترح ضرورة الالتفات الجاد لدعم الكتاب الناشئين؛ فهنالك العديد من المواهب الفذة التي تمتلك أدوات إبداعية استثنائية، لكنها تفتقر لليد التي تمسك بها وتوجه بوصلتها نحو النور، إنني أطمح لرؤية ورشات عمل تخصصية تُعنى بأدب الفنتازيا المستوحى من التاريخ الملحمي، حيث يجري تدريب هؤلاء المبدعين على تحويل رواياتهم إلى نصوص بصرية وسيناريوهات لأفلام، لتصل أفكارهم بطريقة تعبيرية تتجاوز حدود الورق، وتعكس رؤاهم المشتعلة بشرارة الأمل لهذا الوطن العظيم، كما أدعو إلى توسيع دائرة الدعم لتشمل الكتاب اليافعين ما دون سن السادسة عشرة وما فوقها، من خلال إطلاق حملات توعوية ومسابقات أدبية دورية تمنحهم منصة حقيقية لإثبات ذواتهم.

إن هذه الخطوات ليست مجرد دعم أدبي، بل هي استثمار في عقول ستبني صرح الثقافة، فكل قلم شاب يجد الرعاية اليوم هو مشروع لمبدع سيحمل مشعل التنوير غداً، ليؤكد أن الشباب هم المحرك الحقيقي لمعادلة البناء الثقافي.

وفي الختام، إن جمال الأفكار التي تزهر وتنمو داخل تلافيف عقلنا البشري لا يمكن اختزالها أو وصفها بأنها مجرد أفكار مبعثرة، أو أنها نتاج خيال عابر بتصورات طفولية بسيطة؛ بل هي في حقيقتها بذور لوعي متكامل. ففي كثير من الأحيان، تحمل تلك التخيلات في طياتها قصصاً ذات عبرة عميقة، تسهم في تنمية ثقافات الشعوب وتغرس في بستانهم الأدبي فكرة جوهرية مُفادها: أن الإنسان الذي يمتلك القدرة على التخيل، هو وحده القادر على رسم ملامح مستقبل مشرق يتجاوز به تحديات الحاضر.

إن الخيال هو المختبر الأول الذي تُصاغ فيه الحضارات قبل أن تتحول إلى واقع ملموس، وهو المحرك الذي يدفع الشباب نحو الابتكار والتمسك بالهوية في آن واحد، لذا يجب أن نؤمن يقيناً بأن الاستثمار في خيال المبدعين هو استثمار في بقاء الأمة ورفعتها، فالتاريخ علمنا درساً لا ينسى، أن الشعوب التي لا تتخيل، هي شعوب لا تستطيع بناء مستقبل يليق بطموحاتها.

بين الأصالة والخوارزميات: معركة الشباب في تشكيل الثقافة المعاصر

آية أمين جمعة

في ضجيج الفضاء الإلكتروني المعاصر، حيث تتلاشى الفروق الدقيقة وتُسمع فقط الأصوات التي تتقن فن «الفراغ» لأنه باب النجاح السهل ، يجد الشباب أنفسهم أمام مأزق وجودي وثقافي.

إن الدور المترتب على شباب اليوم في تشكيل المشهد الثقافي يتجاوز مجرد «المشاركة»، ليصبح معركة «الأصالة» في وجه «الخوارزميات».

إن أولى التحديات التي تواجه المشاركة الثقافية الحقيقية هي هيمنة «الرقم». لقد اختزل المشهد الحالي القيمة الفنية والفكرية إلى كمية رقمية، فصار عدد المتابعين هو شهادة الأصالة الزائفة، وعدد الإعجابات هو مؤشر الأهمية. .. في هذا السباق المحموم، يُضطر الشاب المبدع إلى ارتداء أقنعة لتحقيق «الرقم الأكبر»، معتقداً أن الرقم هو البوابة الوحيدة للصوت المسموع، لكن الحقيقة المرّة هي أن البقاء في دائرة الضوء الرقمي غالباً ما يكون ثمناً لتشوية الوجه الحقيقي، والتخلي عن الروح البشرية المتنوعة في طبيعتها لصالح شخصية مسطحة يسهل تداولها واستهلاكها.

هنا تبرز الفجوة بين الشباب والمؤسسات الثقافية، كيف يمكننا ردم هذه الفجوة؟

فبينما تحاول المؤسسات التقليدية احتواء الشباب ضمن قوالبها الجامدة، هنالك حل سهل يقدمه الفضاء الرقمي الواسع أن تملك منصتك الخاصة لكنّه يَفرض عليك «تنازلاً مقدساً».

لكي تكون مؤثراً اليوم، يُطلب منك أن تكون «براند» (علامة تجارية) متسقة ومضمونة، حتى لو كان ثمن هذا الاتساق هو التضحيةَ بالأصالة.. الأصالة التي باتت في عرف السوق «بلا طعم ولا لون» لأنها لا تخضع لخوارزميات الانتشار السريع ، يكافئ الانتشار لا العمق.

إذا أراد الشباب دوراً فعلياً في صياغة سياسات ثقافية مؤثرة، فعليهم أولاً التمرد على «لعبة الأرقام» لننتقل من الاستهلاك إلى صناعة القرار، فالشباب بمرونتهم و انفتاحهم هم القوة الدافعة القادرة على تشكيل الثقافة بلغتهم العصرية وادواتها الرقمية التي باتت تشارك في رسم صورة الثقافة الحالية.

بعد معاناة الشعب بما يكفي للظلم الجائر و التشويه الذي خلفه بحق الشعب السوري فجعل همه الأكبر قوت يومه وكيف يغادر سوريا، تصبح الثقافة لبنة توحّد أبناء المجتمع لتعيد لهم هُويتهم الثقافية السورية ووضعها في مكانها وصورتها الصحيحة.

إن الشاب المثقف اليوم، وتحديداً في واقعنا المثقل بالجراح، مطالبٌ بألا يقف متفرجاً أمام تسطيح مآسينا وتحويلها إلى مجرد محتوى رقمي عابر.. فصناعة السياسات الثقافية تبدأ من الإيمان بأن الكلمة الصادقة المسموعة، حتى لو لم تحصد آلاف الإعجابات، فهي التي تبني وعياً حقيقياً يواجه محاولات محو الهوية.. نحن بحاجة إلى ثقافة «تشتبك» مع الشارع، وتنصت لأنين المتعبين، لتصوغ من هذا الأنين فكراً يرمم ما هدمته السنوات.

إننا بحاجة إلى سياسات ثقافية تحمي المبدع دون تهميشه، أي حق المبدع في ألا يكون مشهوراً بالضرورة ليكون مؤثراً، وحقه في الحفاظ على وجهه الحقيقي دون تشويه.

لنخلق مساحات «خارج الخوارزمية» دعم منصات ثقافية محلية ومادية (واقعية) تعيد الاعتبار لجودة المحتوى وعمق الفكرة بعيداً عن هوس «الترند».

نوادي قراءة لجميع الفئات العمرية ونوادٍ سينمائية ومقاهٍ أدبية تفوح منها رائحة الورق لا نقرات الشاشات.

توجيه دعم دون تعقيدات إدارية للمشروعات التي ترفض «التسليع»، وتلك التي تخاطب الروح والصدق بدلاً من مخاطبة عدادات المشاركة.

في نهاية المطاف، أن تصبح «ناجحاً» رقمياً قد يعني أن تفشل في أن تكون حقيقياً.. ومن تشبث بوجهه الحقيقي في هذا الزمان فقد يُنظر إليه على أنه «فاشل» لأنه لم يحقق الأرقام.. لكن هذا هو «النجاح القديم» في أبهى صوره، النجاح في الحفاظ على الذات.

إن دور الشباب اليوم هو أن يقودوا مشهداً ثقافياً يرفض الاستسلام لقواعد اللعبة، مشهداً يؤمن بأن الفشل في معيار الأرقام هو النجاح الحقيقي في معيار الروح والصدق، لنعيد ترتيب المعايير في أذهان شبابنا، الذين انخرطوا في هموم الناس و اشتبكوا مع قضاياهم اليومية فالساحة عطشى لصوت المثقف الحقيقي.

كاريكاتير

موفق قات

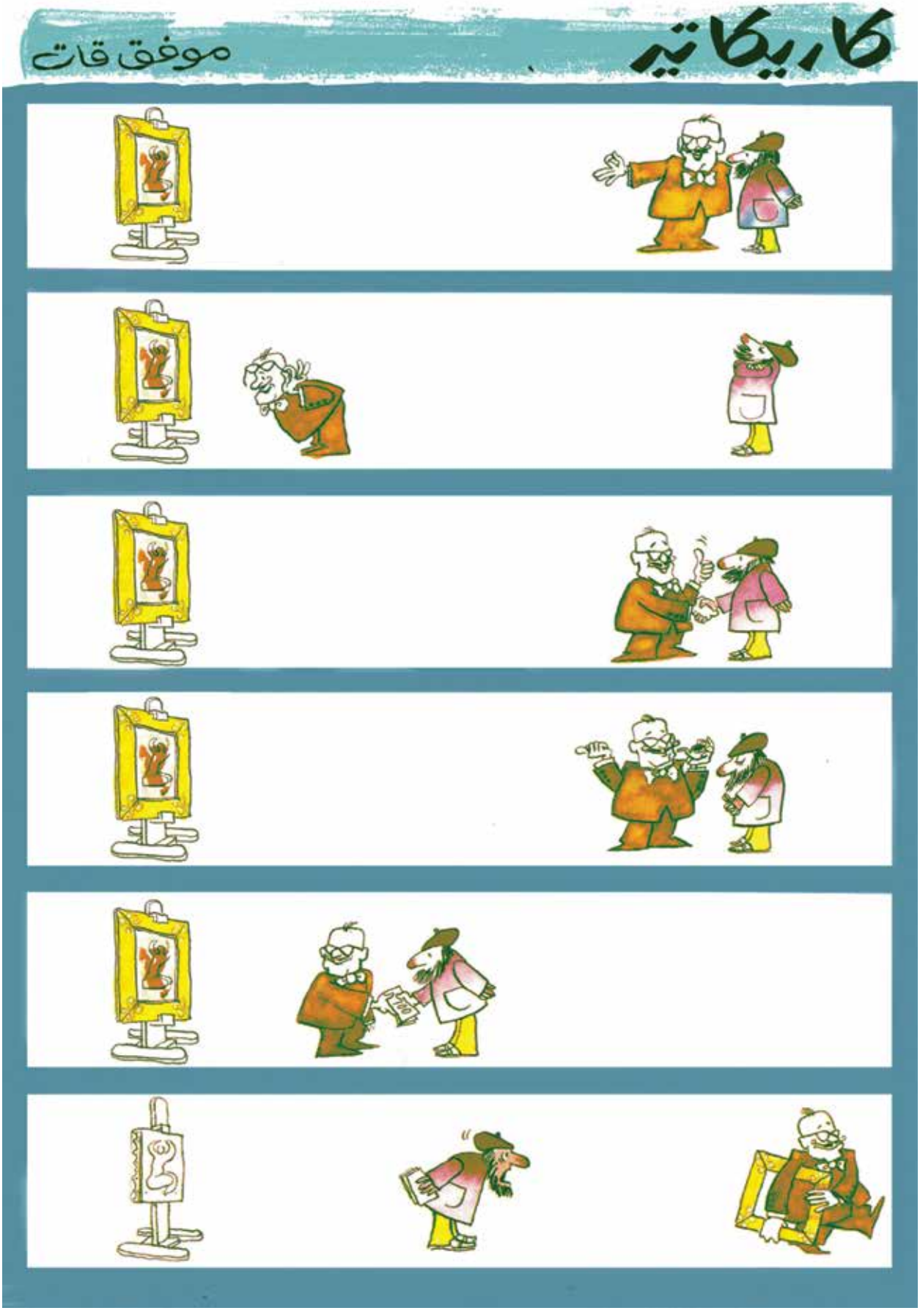

وزارة الثقافة

دمشق
مؤسسة دمشق للثقافة والدراسات والتنمية

شراكة وتعاون مع المجتمع المدني والمؤسسات الأهلية

منصة
دمشق الإخبارية

مركز دمشق
للدراسات والأبحاث

مجلة دمشق الثقافية

مشاريع مؤسسة دمشق
لترميم وتوظيف
المواقع الأثرية

مشروع دمشق
لترجمة الأدب السوري
إلى اللغات العالمية

فعاليات ثقافية

مؤتمرات أدبية

ندوات فكرية

ميدالية دمشق
السنوية

د. عدنان وحود
فارس الحلو
د. أحمد أيبش
إبراهيم الجبين
مازن الناطور
Prof. Dr. Stefan Weber
د خلدون الشمعة
José Miguel Puerta
مراد الناطور
د أحمد عبد العزيز
يوسف خرسة
Peren birsaygili mut
Persa Koumoutsé
د. برهان غليون
نوري الجراح
سلامة كيلة
جورج صبرة
أسعد فرزات
ياسر الفرحان
د أحمد برقاوي
Karin Adrian von Roques
د. ممتاز الشيخ
مفيد نجم
فارس الذهبي
عصام العطار
موفق قات
د. خطار أبو دياب
د عبد الرزاق معاذ
زهير أبو شايب
د أحمد موفق زيدان
عماد الأرمشي
عواد علي
جنين الخرسة
د. أسامة قاضي
د صادق جلال العظم
د هشام الذهبي
Francesca Maria Corrao
سلمى الحفار الكزبري
الأب باولو دالوليو
نبيل فحص
هالة الحمصي

دمشق
أرض الحرية
وسماء الخيال

www.dimasheq.org

Photograghed by Hala Qasqas

مجلة الشام

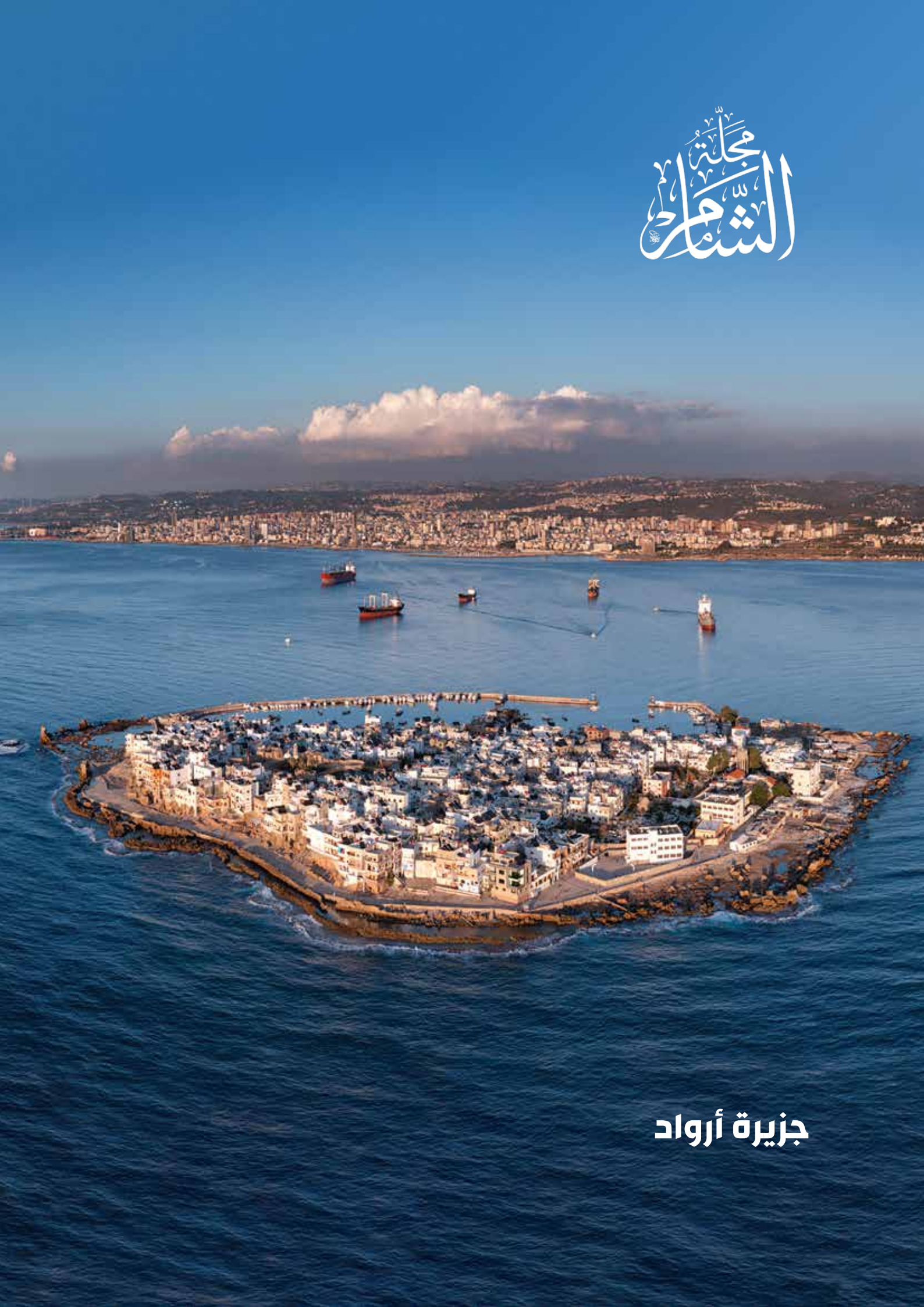

جزيرة أرواد